

رواية

مِن مَّيِّمٍ إِلَى نُونٍ...

عنزة بندق

إسم العمل: من ميم إلى نون / رواية

الكاتب: عزة بندق

رقم الإيداع: 2018/23650

الترقيم الدولي: 978-977-6056-77-0

التصحيح اللغوي والتنسيق الداخلي الكاتبة والروائية: هناء عودة

تصميم الغلاف: لينا شاهين

شهرزاد للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية

القاهرة

هاتف: 01091744511

shahrazadpub@gmail.com



جميع الحقوق محفوظة للناشر

وأي إقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

مِنْ مِيسَم إِلَى نُون...

إلى الأرواح المغتربة داخل أوطانها
وخارجها..

كالسلفاة، أحمل بيتي على ظهري وأمشي..
جلوريا أنزالدوا

مُقدِّمة

أنا فرحانة..

شعور عام بالرضا لم أستشعره منذ فترة طويلة.
لا أعلم مصدره، بلى أعلم ولكن أقصد لا أعلم إن كنت
أستحقه، بلى أستحقه.

في الواقع أنا أستحقه عن جدارة، عن شعور بالإكتئاب دام لما
يقرب من أربعين سنة.
كيف بدأت كل هذه التعاسة؟

سؤال جيد والإجابة: ليست لدي فكرة. آه أقصد ربما كنت
أعرف ولكن لا أريد إخباركم. لم أكتب إذن؟ سؤال آخر جيد.
تمام لنبدأ من البداية وسأكون صادقة فيما أقول. أو فلنقل أنني
سأحاول تحرّي الصدق فيما أقول.
أصبحت جدة منذ ساعات قليلة.
أنا "ميم" ..

أصدقائي يدعونني "ميم". في الواقع ليس لدي أصدقاء، أعني
لدي صديقة واحدة، أوريما أكثر قليلاً الآن. "نون" الفتاة التي
كدت أن أقتلها ليلة رأيتها أول مرة. أحيانا كثيرة تلعب الصدفة
دورا مجنوناً في كيفية تعرفك على آخر، والباقي يرجع لك.
في حالتي هذه، كنا كلنا مجانيين، الصدفة التي جمعتنا، ونون
وأنا.

بداية..

١

بَحيرة الغُرُوب

الرابع والعشرون من يناير، يتساقط الثلج بجنون في هذا الوقت من العام. أقفلت الطرق وثلت تماماً لليوم الثاني على التوالي. عربات الخدمات والإطفاء لا تكف عن جرف الثلج، والثلج لا يكف عن التساقط. يذكرك هذا بلعبة القط والفأر. ألغيت الرحلات بالطبع لسوء الأحوال الجوية. في الواقع رحلتي كانت الأخيرة، ازدحم مطار JFK بالرواد الساخطين الذين لم يتمكنوا من استباق العاصفة.

بعض أصدقائي اضطروا للمبيت في فندق المطار. كنت محظوظة. ليس لأن رحلتي لم تلغى فحسب. ولكن لأنني كنت قد اتفقت وكازو على حجز تذكرتي العودة معاً. هومن اليابان وأنا من مصر. وأقول أنني محظوظة لأنني لم أكن لأتحرك خطوة في هذا الطقس المجنون من دونه. وصل هو مبكراً عني ساعتين، وقضى الوقت في شرب القهوة الساخنة في مقهى المطار، والعمل على جهاز اللاب توب.

شئ أساسي يجب أن تعرفوه عن كازو، هو أنه يعمل ويعمل ويعمل ويعمل.

وصلت أنا وبعد الإنتهاء من إجراءات الوصول وإستلام الأمتعة اتجهت لساحة المطاعم، حيث اتفقنا أن نلتقي.

كان قد فقد قليلاً من وزنه ولكن لم يكن هذا هو التغيير الوحيد.

- مستر كازونوري ياماساكي؟ باغته

- هاه نون! مرحبا صديقتي العزيزة.

- كازو، قصصت شعرك أخيراً.
قلتها وأنا أمرر يدي بحركة سريعة على رأسه.
ضحك ولم يقل شيئاً.
شئ آخر يمكنكم معرفته عن كازو هو أنه لا يتكلم كثيراً، ولهذا
أحبه أنا كثيراً.
توقفنا عند البوابة الأخيرة التي تفصلنا عن الشارع في محاولة
منا لنقيس مدى سوء الوضع.
بساط أبيض يتقاذف عليه الكثير من الأسود والأحمر والأزرق.
ناس تجري وتهرول هنا وهناك. عربات تزمجر وأخرى لا
تقدر على الحراك. رجل يفقد توازنه ويسقط. امرأة تضحك
عليه. عمال يرشون الملح الخشن في الممر الذي تم جرفه منذ
قليل. ستظل نيويورك من أكثر المدن إزدحاماً بثلج وبدون ثلج.
أشار برأسه ناحية الشارع
- جاهزة لخوض المعركة؟
هزرت كتفي
- ربنا يستر.
شنطة كبيرة وكاري أون وأخري هاند باج ومعه المثل، مع كل
هذا الثلج وكل هذه الهرجلة، لفظة معركة وصف غير مبالغ
فيه. دقيق كازوفي اختيار كلماته القليلة. خرجنا الشارع لتقابلنا
موجة من الثلج ضربت وجهينا مرحبة بنا على طريقها
الخاصة.
- اتشووو!
نظر لي باستغراب فضحكت..
- هي هي هي. هذا أول تعارف رسمي لي مع الثلج.

أحكمت الكوفية حول رقبتني وأخذت أتلفت بحثاً عن تاكسي.
أشار كازوللهرج من حولنا

- علينا أن نمشي.

أومأت موافقة. مشينا باتجاه الباص، كان شارعاً واحداً ولكن
هذا الجووالحقائب معنا جعلنا المهمة مستحيلة. أنا أجر الشنطة
الكبيرة والكارى أون و (كازو) يجر الشنطة الكبيرة والكارى
أون ويحمل الهاند باج.

مسكين (كازو). يتوقف ليلقي نظرة على ليراني لازلت بنفس
النقطة التي تركني بها، يترك الحقائب، ويعود ليأخذ مني
الشنطة الكبيرة. يسبقني وبصبر ينتظر حتى ألحق به. وبعد
الكثير من التعثر والوقوف والعودة للوراء وتبادل الحقائب،
وصلنا الباص.

أعطينا التذكريتين للسائق، الذي سارع بحمل الحقائب ووضعها
في بطن الباص الجانبي. تنهد كازو عندما أدرك أنه قد تخلص
أخيراً من الحمولة. زحف بنا الباص ببطء عبر الشوارع
المثلجة ونحو محطة القطار الرئيسية بنيويورك، شارع ٤٢
شرق ، بالقرب من الجادة الثالثة. ومن المحطة نأخذ القطار
المتجه لبوكيبيسي، أوكيبيسي كما يطلق عليها الأمريكان.

كنا قد قررنا الذهاب لنيويورك أنا وأصدقائي في سبتمبر
الماضي.

- تذكرة ذهاب وعودة من فضلك.

- لا تبدين أنك هنا.

- اه أنا من مصر، وأدرس هنا في جامعة فاسار-Vassar.

- أوه جميل أنت هنا في كيبيسي إذن؟

كان سؤالاً بديهيًا لا يحتاج جواباً في الواقع، ومصحوباً
بابتسامة رائعة.

- لا، فاسار في بوكيبسي.

رفع حاجبيه في دهشة، صمت لحظة يتأكد مما إذا كنت
أمزح، ثم برقت عينيه الزرقاوين في مرح، لقد قرر أنني
أمزح، الحمد لله تم إنقاذني من الإحراج.

جامعة فاسار للفنون الحرة من أعرق الجامعات الخاصة وأقدمها. محظوظة بمدينتها التي تقع في المنتصف بين نيويورك وألباني. تعتبر بوكيبسي واحدة من مدن كثيرة في شمال أمريكا الشرقي الواقعة في حوض وادي هدسون. يخترق الوادي نهر هدسون. وهونهر هجين تختلط مياهه المالحة والعذبة. ويستسلم الوادي للمساته السحرية فيعمل النهر تعويضاته وينثرها فوق كل ورقة شجر وكل قطرة ماء. اكتشفه البحار الإنجليزي هنري هدسون سنة ١٦٠٩. ينبع النهر من جبال أديرنوداك عند بحيرة دموع السحاب شمال نيويورك، ويصب في الأطلنطي.

إن كان للسحاب دموع وللدموع فائدة فقد تسببت في خلق كل هذا الجمال. يتجمد نهر هدسون في الشتاء ولا يزيده هذا إلا رونقا وسحرا. يمتد النهر لمسافة ٣١٥ ميل ويعمل كحد سياسي بين نيويورك ونيوجرسي.

بوكيبسي نقطة إنطلاق ممتازة لتتعرف على وادي هدسون المشهور بامتلاكه لجبال من الأشجار التي تتلون بألوان رائعة وخلابة في الخريف، بالإضافة لعشرات وعشرات من الأشجار النادرة التي يضمها حوض الوادي.

وجسر هدسون كعبة للجولات والزيارات الأسرية والطلابية لمن يجيئون لفاسار أول مرة أولمن يمرون ببوكيبسي. باختصار هدسون جنة من جنان الله على الأرض. تنهدت - راجعة لك يا وادي الخير.

أنت تتمنى نوماً هنيئاً لأسرتك وتنام، لتستيقظ على بساط أبيض يغطي كل شئ. ترى متى خلق الله كل هذا البياض؟ ضمنت الكوفية حول رقبتى وعدلت من الباطوا الأحمر الطويل الذي أرتديه، ألقيت نظرة أخيرة من النافذة على الثلج بالخارج وأدرت مقبض الباب.

الساعة السادسة صباحاً، الوقت باكر. توقعت أن أنام أكثر فقد وصلت بالأمس فقط. وكان وصولاً مرهقا في الحقيقة. سيتأخر كازوفي النوم اليوم بالتأكيد. ولكن لا بأس فهذا أفضل، سأستمتع بأخذ لفة سريعة حول البحيرة المتجمدة قبل أن أبدأ يومى. اليوم ليس به محاضرات أصلا ورسميا نحن لازلنا بإجازة الشتاء.

تبدأ الدراسة في الخريف وتنتهي في الصيف، يتخللها أجازة قصيرة في الخريف وأجازة طويلة في الشتاء وأجازة أطول في الصيف، ليس سيئا أبدا. يبدأ الطلاب في التوافد على الجامعة من منتصف يناير. قضوا ما يزيد أو يقل قليلاً عن الشهر مع أسرهم وأصدقائهم للإحتفال بالكريسماس. فقط القلة هم من بقوا في حرم الجامعة، الطلاب الدوليون (المطاريد) الذين لا يمكنهم تكبد حق العودة لأسرهم، إما لبعد المسافة أو لقلة المال أو الاثنين معا.

تخيل معي حرم الجامعة الدافئ الجميل الممتلئ بالأشجار المزهرة والورود الجميلة، والسنابج، لا تنسى السناجب التي تركز مختبئة بين فروع الشجر، وأيضا القارض أو (وومب وومب) كما يسميه الفاساريون، تخيل كل هذا يختفي ويُغشى بلحاف هائل من الثلج.

أيضاً يتقلص عدد الطلاب والعاملين وهيئة التدريس ليقصر على مجموعة الطلاب الدوليين تعيسي الحظ. ولكن الجانب المشرق أنهم يبقون معاً ويقضون النصيب الأكبر من الوقت في الحديث والتندر والنوم ، الكثير من النوم. أه والأكل طبعاً. صحيح يتم إغلاق المقصف الرئيسي أو (القلعة) كما أسميه وأصدقائي ، ولكن يظل الكانتين الفرعي مفتوحاً طوال شهر الأجازة بالتأكيد. يشفق من تبقى من الموظفين والعاملين به على الطلاب فيقدمون لهم الشورية الساخنة بالمجان.

نزلت من الباب الخلفي، ولم أنس وضع كرتونة صغيرة كي أمتع غلقه بشكل كامل. يجب وضعها بحرص وإلا انطلق جرس الإنذار. اعتدنا أن نضع الكرتونة الصغيرة كي لا نضطر للإلتفاف وإستخدام البطاقة الممغنطة للدخول من الباب الرئيسي. صدقتي في هذا الجو، لا بأس من أن تعد الخطي. لوكنت محظوظا ستعود لتجدها وتفتح الباب، وإن لم تجدها، لن تفتح الباب وسيعني هذا أن رجال الأمن اكتشفوا فعلتك وهم يقومون بدورية إستكشاف في المبنى السكني. حينها ستضطر إلى الإلتفاف والدخول من الباب الرئيسي للمبنى.

الأمن يقوم بعمله على أكمل وجه من دون أن يشعر بوجوده. إجراءات الأمن تنفذ بدقة وسرعة. وعند وجود أي شبهة تهديد تسارع إدارة الأمن بإرسال إيميلات تحذيرية للجامعة بموظفيها وطلابها مع ذكر الإجراءات الوقائية المفترض اتباعها تبعاً للموقف.

تملك الجامعة حرماً واسعاً به بحيرة وملعب تنس وملعب جولف إلى جانب المزرعة والمحمية الطبيعية. الكثيرون من

الزوار والطلاب يأتون للتمتع بكل هذا واستكشافه. فاسار مجتمع مفتوح بكل المعاني الكثيرة التي قد تفهمها من الجملة. مع هذا لا وجود لأي فرد أمن على البوابة ليسألك أن تخرج هويتك ويفتح معك سين وجيم. طوال وجودي لم يحدث أن استوقفني أحدهم.

اه تذكرت مرة كنت أقوم بنقل بعض الأدوات والكتب. كنت قد جمعتها في كرتونة واحدة كبيرة وكانت ثقيلة بعض الشيء. سمعت صوت عربة تقترب وتتوقف على بعد خطوات مني لتظل من نافذتها إحدى أفراد الأمن وبابتسامة سألتني إن كنت بحاجة إلى مساعدة أوتوصيلة؟ فشكرتها حيث كنت على بعد خطوات من السكن.

الجامعة بها تسعة منازل رئيسية للطلاب. أسكن في المنزل رقم ٧ ، (سترونج) أوقوي، هذا اسم المبنى. منزلي من أقدم وأولى المنازل التي تم بناؤها عام 1893.

يسمى (سترونج) لأنه المنزل السكني الوحيد في الجامعة الخاص بالفتيات فقط، وليس مختلطاً كباقي المنازل. هومليء بالفتيات القويات والمستقلات.

(سترونج) به أقل عدد من الأدوار، ثلاثة فحسب. تمكنت أنا من أن أكون واحدة من ١٦٢ طالبة التي يتسع لهن المنزل. أنا أسكن بالدور الأول غرفة ١٣٤. بجانب ماتيلدا ١٣٣ وأن ١٣٥. مصر وفرنسا وألمانيا نجحوا في تكوين صداقة ثلاثية قوية مثل المبنى تماما.

ألقيت نظرة على نافذة ماتيلدا وأن، الستائر مغلقة، أن لا بد نائمة، أما ماتيلدا فقصت أجازة الشتاء مع زوجها وستصل اليوم مساء. في المبنى المقابل، وفي الغرفة المقابلة مني يسكن

كازو، وصديقتي الأرجنتينية ناتاليا بالغرفة التي تجاوره. ناتاليا وأن لم تسافرا. بقيتا معا وهذا جيد أن إحداهما لم يكن عليها البقاء بمفردها.

لم أعد أشعر بالبرد، ما أن تخرج وتمشي قليلاً حتى يعتاد جسدك الحرارة، عينك هي التي تحتاج وقتاً كي تقدر على إحتواء كل هذا البياض. عندي رغبة عجيبة في الإرتماء بحضن هذا الثلج. أحس بأنه سيكون دافئاً، أكثر دفئاً من ناس كثيرين.

من الجيد أنني لبست البوت الطويل البلاستيكي المقوي ذوالأرضية الخشنة والألوان المبهجة، اشتريته عندما كنت في بورتلاند مين Portland Maine الخريف الماضي. قمنا بإجراء قرعة، هناك الكثير والكثير من الأماكن، القليل من النقود والوقت. سان فرانسيسكو وأشلالات نياجرا.

استبعدنا سان فرانسيسكو بسرعة، فهي في الساحل الغربي وبحاجة إلى ست ساعات من الطيران الداخلي. كما أنها من أكثر المدن السياحية غلاء في الأسعار، ربما سنذهب في الصيف.

شلالات نياجرا كانت خياراً لا بأس به، ليست بعيدة فهي في الشمال أيضاً، تبعد بضع ساعات عن نيويورك نستطيع الذهاب بالباص، المشكلة التي واجهتنا، أوواجهتني أنا على وجه الدقة هي في إجراءات السفر، مصر بحاجة إلى فيزا والفيزا بحاجة إلى ما لا يقل عن ثلاثة أسابيع للصدور، للتأكد من أنني لست إرهابية محتملة. ونحن معنا فقط أسبوعين. شكرا يا كندا ! سنذهب إلى بوستن.

وبوستن لم تخذلنا أبداً. مدينة رائعة تطل على المحيط الأطلنطي. أحببتها من أول نظرة، في الواقع أحببتها أكثر من نيويورك. بوستن أكثر هدوءاً وأقل ازدحاماً إلى حد ما. المتحف المائي الذي يمتد لعدة طوابق، الشوارع الواسعة يتخللها رائحة ملح الأطلنطي، ولن أنسى هارفارد بالتأكيد. مستحيل أن تذهب إلى بوستن دون أن ترى جامعة هارفارد. هارفارد العريقة مزار سياحي، والحرم الجامعي بالكاد يخلو من الجولات الآتية والغادية. في الواقع أنا أشفق على الطلاب في هارفارد لاضطرارهم التعامل مع كل هذا الصخب.

أما بورتلاند مين فهي قصة أخرى، أصغر من بوستن وأكثر هدوءاً، وأكثر مطراً. فمنذ خطت أقدامنا المدينة، ولثلاثة أيام متتالية، طوال فترة بقائنا، لم يتوقف المطر. كنا نسير في الشوارع وقد تبللت أحذيتنا وجواربنا، لذا كان لابد من شراء بعض البوتات المضادة للمطر. مطر ومحيط أطلنطي وكافيه دافئ تتحلق حول طولاته أنت وأصدقائك، وإستاكوزا، الكثير والكثير من الإستاكوزا.

مررت بالمبنى الرئيسي. يمتد لمسافة ٥٠٠ قدم ويرتفع لخمسـة أدوار. كان ماثيو فاسار مشغولاً بإيجاد فكرة لتخليد اسمه، وفي إحدى جولاته بأوروبا قرر تأسيس جامعة للفتيات لربط اسمه بهذا الإنجاز الإنساني الضخم. كان (فاسار) معجباً بالتصميم الروماني لقصر تويلر بفرنسا، المقر الرئيسي لنابليون الأول. تم تجديد القصر في عهد نابليون الثالث وقت الإمبراطورية

الثانية، وظل مقرا ثابتا للحكم الملكي إلى أن تعرض لحريق أثناء الثورة.

ومن القصر المهيب استقى فاسار التصميم وعيّن مقاول وعمدة بوكيبسي في هذا الوقت، للقيام بالمهمة التي تكلفت \$١٧٨٠٠٠. المبنى الرئيسي واجهة مشرفة وعريقة بالفعل. هو أول ماتقع عليه عينك حين تدخل من البوابة الشمالية. كان مسكنا لكثير من الشخصيات المشهورة.

خرّجت فاسار الكثير من مشاهير الفن والإعلام والسياسة والرياضة. جاكليين كينيدي، جين فوندا وميريل ستريب وأن هاتاواي وليزا كودرو. أنتوني بوردوين وجستين لونج والكثير غيرهم.

اتجهت يساراً، بضع خطوات لأمر بمبنى ساندرز الذي أدرس به الكتابة الإبداعية. أه تذكرت الآن، على أن أقوم بتعديل قصتي القصيرة قبل توزيعها على زملائي لمناقشتها أمام بروفيسور سمبسون في اللقاء القادم.

تجاوزت المبنى وبدأ الطريق في الإنحدار، تمهيداً للدخول في حرم البحيرة. ساعدتني أرضية البوت الخشنة في ألا أنزلق نزولاً. البحيرة المتجمدة أمامي الآن. هناك بعض الطلاب بدأوا التزلج مبكراً. تمام، لست المجنونة الوحيدة التي قررت الخروج الآن.

تعالّت الضحكات والصرخات، بقيت على الجانب الآخر من البحيرة، بعيداً عن صخب الطلاب قدر استطاعتي. من الجيد أنهم يمرحون. في بعض الأوقات تقول اللافتة بأنه ممنوع التزلج خوفاً من هشاشة الثلج في أول الشتاء، لكن نظرا لكمية

الثالج التي تتساقط بلا إنقطاع قبل عودتي، هم بأمان تام.درت بعيني فيما حولي بانبهار.شكرا يا ماثيو فاسار.

كانت فكرة مؤسس الجامعة أن يتم إضافة البحيرة للحرم الجامعي الشرقي. احتاجت الفكرة لأربعين سنة للتنفيذ، وبعد إجتماع دوري للجنة الأمناء، أجمعوا على إحياء فكرة المؤسس وضرورة خلق بحيرة آمنة لطالبات فاسار كي يتزحلقن عليها في الشتاء، ويصطدن ويمشين حولها باقي الفصول.

تم اختيار الفناء الخلفي لفاسار كي يكون مركزا للبحيرة، وراء كاتدرائية فاسار امتدت البحيرة نحو ٢٠٠ قدم عرضاً، و ٣٠٠ طولاً.

تلفت يميناً ويساراً أقيس بعيني طول البحيرة. قمت لأقترب من الحافة المتجمدة. هدا الطلاب قليلاً، يفترشون زلاجاتهم على الحافة المقابلة.

أنا الآن أمشي فوق سطح البحيرة التي يصل عمقها من سبعة إلى تسعة أقدام.

في بادئ الأمر كانوا يطلقون عليها اسم البحيرة الصناعية. أصبحت البحيرة إضافة رائعة ومزاراً لكثير من الطلاب في الجامعات القريبة، ولسكان المدينة في بعض المناسبات.

الكثير من السمك يسكن قاع البحيرة، وأسراب البط والإوز تنتشر حولها في غير الشتاء. في الصيف والخريف والربيع يستمتع الطلاب بالإستلقاء على حافة البحيرة للتلذذ بأشعة الشمس. الفتيات في فاسار اعتدن على اصطحاب أصدقائهن لتبادل قبلاتهم الأولى عند البحيرة وقت الغروب ، وثبت الاسم مذاك الحين.

كان يوماً دافئاً مخالفا لما اعتدناه من شتاء المنصورة في السنوات الأخيرة. أنهيت عملي مبكراً. نيل المنصورة ساحر في هذه البقعة التي اخترتها.

جلست على السور الحجري المتهدم، رفعت رجلي، ودرت حتى دأيت رجلي ناحية النيل. أجمل ما يميزه أنه خال من المراكب التي تحتله طوال الصيف لتدمر هدوءه بالأغاني الشعبية التي تعتمد في نوتاتها على (الرقع والهدب)، مصحوبان بأي صريخ والسلام.

تقوم المراكب بجولات من الحافة اليمنى لليسرى في تتابع رتيب بخمسة جنيهات للفرد الواحد، وهذا لا يشمل بدل الغرق بالطبع. مزاجي رائق اليوم، لم أتشاجر مع أي من الحثالة الموجودين معي في الشارع. ولم تمطر منذ فترة، هذا جيد. أكره المطر وأكره كل من يحبونه.

أخرجت علبة الكشري من الكيس البلاستيك. مزاجي رائق اليوم لذا سمحت لنفسي بطلب علبة حجم كبير، لا بأس من بعض الإسراف، كما أن الدايت لن يتأثر. أزحت الغطاء، قضمت كيس الصلصة بفمي، وزعت محتوياته على العلبة ووضعت في الكيس البلاستيك لأرميه لاحقاً في الزباله، كيس الشطة لاقى نفس المصير. مددت يدي أبحت عن المعلقة - يخرّب بيت أمك يا صبحي، نسيت تحطلي معلقة برده.

باي باي مزاجي الرائق. رفعت رجلي لأدور وأواجه الشارع،
قمت بسرعة وأنا أسب وألعن صبحي وسنين صبحي، نظرت
للعبة بأسى

- ياني يامه! الكشري هيبرد يابن ال..

أفقت على ارتطامي بشيء ما، لا أذكر وجود عمود هنا،
حاولت إنقاذ علبة الكشري ولكن لا فائدة. تعثرت وسقطت
علبة الكشري فوقى وفوق الشيء الذي تعثرت به. باي باي
علبة الكشري. لا معلقة ولا كشري.

- ايه ده، مش تاخذ بالك!

قالها الشئ الذي ارتطمت به. لازلت حزينة على الكشري في
الواقع. لم أتحرك من رقدي. ولم أكف عن السباب.

- يادي النيلة، ده أنا شعري جه عليه صلصة كمان ولا ايه ده؟
استمر الشئ في الحديث، لم أتبين باقي كلماته ، كان من
الواضح أنه غاضب. مهلاً، على سيرة الغضب، قمت
كالصاروخ من رقدي. ومن حنجرتي أنطلق شخيراً عالياً

- انتي طلعتيلي من أي داهية؟

أفقت تماماً الآن. الشئ ليس شيئاً، بل فتاة غبية تحاول تجفيف
طرحتها من الصلصة العالقة به.

لو إختلف الموقف لربما عرضت عليها المساعدة، لكن
المساعدة التي يسمح بها مزاجي الآن هي أن أقص شعرها من
جنوره كي أخلصها من الصلصة خاصتي التي أهدرتها على
الأرض.

- الصلصة يا بنت الهبله!

بالفعل جررتها من رأسها أرغب بتحطيمه، انفلتت الطرحة
ليصبح شعرها كله في يدي. لم أتبين لونه لكنه ناعم.

- انت مجنون! هصرخ وألّم الناس عليك.
حاولت التخلص من قبضتي دون فائدة، أدرتها نحوي لألکمها
- انت واحدة! أقصد انتي واحدة، طب سيبي شعري، أرجوكي.

قالتها بهدوء وقد ذهب خوفها عنها فجأة فزاد ذلك من غضبي
- والكشري الي دلقتيه، والصلصة الي مالیه شعرك دي؟
- هجيبلك غيره بس سيبيه.
- انتي فاکراني شحاتة ولا ايه؟

تركت شعرها في حركة عنيفة. أخذت تلهث وهي تمرر يدها
على شعرها، بدا الألم جلياً على محياها. كانت عيناها ممتلئة
بالدموع، إلا أنها لم تبكي. عدلت من ملابسها، ومسحت
شعرها. أعادت لف طرحتها بسرعة. كل هذا وأنا أراقبها بعين
غاضبة.

- انتي لابسة ولد ليه؟
- وانتي مال أمك، انتي وقعتيلي أکلي، وجاية تصاحبيني کمان
ولا ايه؟

- انتي ليه عنيفة كده!
- بقولك غوري من وشي الساعة دي بدل ما أذیکي.
کورت قبضتي إستعدادا لتحويل تهديدي الشفوي إلى فعل.
رفعت يدها
- خلاص خلاص.

رجعت خطوتين للوراء وهى تنظر إلي خوفا من أباغتها من
الخلف.

نظرت لي بطريقة لم أعدها من قبل، نظرة تحمل الشئ وعكسه.

غريبة لكن مألوفة. تقول الكثير دون أن تنطق به. هزت رأسها علامة الإستسلام، وذهبت. تابعتها بعيني حتى رأيتهما تتجه ناحية الكافيه في الجهة المقابلة من الشارع، وقفت أمام الباب، مترددة في الدخول. حسمت أمرها والتفتت نحوي - أنا نجوى، وأصحابي يقولون يا نون. ودون أن تنتظر مني رداً، دفعت الباب أمامها واختفت.

في اليوم التالي لم يتوقف المطر، خلت الشوارع أوكادت. كنت عائدة من عند صبحي، صبحي يعمل في جاد. يعطيني السندوتشات والكشري ودائما ما ينسى وضع المعلقة ودائما ما أذهب لسبه وسب أمه ويكتفي هو بالضحك ويعد بألا ينسى المرة القادمة. لكنه ينسى المرة القادمة فأعود لأسبه ويعود هو ليضحك. بوابة البارون خالية من الطلاب. لا يقفون أمامها كالذباب مثلما يفعلون. الأمن الجامعي نائم. أيقظت عادل فتى الأمن وأعطيته علبة الكشري خاصته. فتح العلبة وأخذ يأكل في نهم.

- ياني يامه! أنت كنت بتحلم بالأكل يا وله!
الدراسة لم تبدأ بعد، أجازة نصف العام تنتهي اليوم أو غدا، لا طلاب، باستثناء طالب أواثنين قررا لسبب أو لآخر النزول في هذا الجو، والانتظار أمام البوابة في ترقب. توقف تاكسي أمام البوابة ونزلت فتاتان، واحدة قصيرة رفيعة، والأخرى قصيرة بدينة، رفعتا شنطة يدهما ليقيا وجهيهما من المطر الذي من شأنه أن يلطخ المكياج الذي حتما وقفنا أمام المرأة لساعات كي يتقناه.

آه.. الآن فهمت لم قرر الطالبان المخبولان النزول. تهللت أساريهما حين رأيا الفتاتان وسارعا بفتح المظلة التي معهما. ذهب الفتى والفتاة الرفيعة ناحية اليمين، واتجه الآخر مع البدينة ناحية اليسار. هزرت كتفي، ليس الأمر أني أحسدهم، فقط أرى أن من يمد يده لأخذ المصروف ليس بمقدرته أن يعي الحب ومسؤوليته. ولكن ما شأنني أنا؟ هزرت كتفي ورفعت رأسي للسماء. هووف أكره المطر وأكره كل من يحبونه. كنت يوما بعمرهم، كلا لم أكن أبدا بعمرهم. كنت طفلة شاخت فجأة.

لم أمر بمرحلة مرافقة ولا شباب، قفرت من الطفولة للشيخوخة هكذا في غمضة عين. أنا لا أبلغ، فعلا نمت وصحوت لأجد نفسي وقد شخت. ماعلينا.

تابعت المشي وأنا أركل بقدمي كل ما يقابلني. طوب وزلط وكراتين، زجاجات مياه، كانزات كولا، علب أكل فارغة أنصف فارغة تلهوبها القطط أمام كنتاكي وبستوستيريو. آه صلاح لم يأتي اليوم. صلاح ترقى وتعين زبالا لإحدى المدارس الحكومية، يعمل دون تثبيت بالتأكد، ولكن على الأقل العمل مريح، ينام على الدكة أمام المدرسة للظهر ، والأطفال هم من يلّمون الزبالة في حصص الألعاب بالطبع. قلت لكم زبال!

يأتي بعد الظهر ليمسك مقشته ويبعثر الزبالة كيفما اتفق. يعود لإمرأته وعياله الخمسة ليرتاح قليلا، ثم مرة أخرى يذهب إلى عمله كنبطشي على مزرعة فراخ من المغرب للفجر. وكل هذا ليصبح مجموع راتبه مائتين وكام جنيه تقريبا. أخبرني صلاح يوما أنه يسرق الفراخ من المزرعة.

- مش كثير والله، أنا بسرقة بس لما العيال توحشهم طعم الفراخ.

وسألني إن كان هذا حراماً أم حلالاً. لم أجبه. مالي أنا والحلال والحرام.

- ياني يامه! انت عينتني شيخة امتي يا أبو ميادة؟

فقط أخبرته بأني لا أريد أيا من فرخاته المسروقة، وبارك الله له فيما سرق. إن غاب القط العب يا فأر، صلاح أستاذ ورئيس قسم في تبني هذا المثل.

ممدوح أبوسالم هو المسؤول عن المنطقة وهومن يوزع مهام النظافة من المحافظة وحتى الجامعة بكل بواباتها. بإستثناء بوابة توشكى والقرية الأوليمبية فهي من اختصاص الباز أفندي. اسمه ليس الباز، في الواقع اسمه هاني، لكنه يرى أن اسم هاني مهين لواحد زبال. يقول لي في غضب - كده محدش هيحترمني!

لذا هو من قام بإختيار إسم الباز أفندي حتى إلتصق به. أخبرني صلاح أن الباز أفندي يزوغ هو الآخر ليجلس على ناصية شارع جيهان ليشحت. أحياناً أخرى يجلس أمام المستشفى العام. الباز أفندي من قرية بعيدة، وهو أكبرنا سناً. رزقه الله بتوأم. أولاده كان من الممكن أن يرتادوا الجامعة لكن الباز أفندي رفض تماماً. ولولت أم العيال ولكنه لم يعرها اهتماماً. ترجته تارة وهددته تارة، أخبرته أنها ستتحمل التكاليف من تنظيفها في البيوت ومن الخياطة التي تقوم بها - اهي نواية تسند الزير يا أبو العيال.

- ولا نواية ولا زير يا أم العيال، كفاية علام لحد كده. وقد كان. تم تزويج البنت لصاحب القهوة. صاحب القهوة مقتدر ومتزوج من ثلاثة وبنت الباز أفندي رابعتهن. البنت تساعد أمها في خدمة البيوت دون علم زوجها. والولد اشتغل صبي قهوجي في قهوة القرية التي يملكها زوج أخته. لم تعرف أم العيال السر وراء تثبيت زوجها بفكرة لا علام بعد اليوم، لم تعرف ولم تسامحه أبداً. لم تسامحه حتى بعدما ماتت بعدها بثلاث سنوات وهي ملتحفة بمرض موتها الأخير قالت لبنتها بصوت واهن - قول لي لأبوكي، أمي مش مسامحك.

الباز أفندي لم يحضر دفنة زوجته لأنه كان يشحت وقتها ولم
نقدر على الوصول له. عرفت أنا السر بعدها بشهور. أخبرني
الباز في يوم أغبر كما وصفه بأن ...
- الواد والبت جالهم جواب التعليم ولا سخام ايه ياختي على
جامعة المنصورة.

هزرت كتفي

- وأنا مال أمي يا باز؟

فأشار حائقا

- ازاي بس يا منصوره بقولك الجامعة دهيه! يعنى عايزاني
أبقى قاعد أكنس زبالة ابني وبنتي؟
- ده الى مضايك يا باز، انك تكنس زبالتهم؟ مش مضايك
إنك تكون قاعد تشحت يوم تقوم تلاقي ابنك ولا بنتك هما الي
بيدولك الجنيه ولا النص جنيه فايدك؟
لاحت الصدمة على وجه الباز أفندي. تمام، أنا لا أعرف كيف
أنتقي ألفاظي، هذا واضح.
- خلاص ياعم باز انت عارفني مدّب.
نكس رأسه

- ياني يامّه! خلاص بقى قلنا.

مشى دون أن يرفع رأسه ومن يومها وأنا أظاهر بأننا لم نجر
هذه المحادثة من الأساس.

أنا أهتم بالكورنيش، ليس بالكورنيش كله ولكن جزء كبير منه،
من فيلا غيث وحتى مول مترو. لا أحد يقول لي أين أذهب
ولا متى، حتى ممدوح أبوسالم نفسه يتحاشى التعامل معي.
طالما أنا أقوم بشغلي دون أن يطلب مني فلا أحد له عندي
شيء.

عندما أحب، أقوم بتنظيف المحلات في الجهة المقابلة في مقابل الطعام والنقود وأحياناً يسمح لي بأن أبيت بالداخل بشرط ألا آخذ شيئاً من مكانه. منصوره عبدالكريم معروفة بالكثير والكثير مما قد يقف له شعر رأسك، لكن السرقة ليست من ضمن ما ستعرفه وما عرفته بالفعل.

تابعت المشي حتى وصلت ناحية مترو، وقبالته توقفت أقرب التمثال الغريب الموضوع في منتصف الشارع. لأفهم ماهدف الحكومة من أن تملأ الشوارع بتمائيل قبيحة. وظيفتي تنظيف الشوارع، ولكني لا أقدر على زحزحة هذه (الكومة) الفنية. لا أدري أهوعلبة مناديل مثلاً؟ ما الهدف من صنع تمثال على شكل علبة مناديل؟ علبة مناديل مملوئة بالشخابيط والسباب من كل حذب وصوب. أنا نفسي كتبت سبة هنا ذات يوم. هزرت كتفي في عدم فهم.

- ياني يامّه!

تاكسي قرر أن يسرع فجأة ليرشني بالمياه فأطلقت سبة عالية لم يسمعها أوعله سمعها وقرر أن يتجاهلها خشية النزول في هذا الجو. ألقيت نظرة سريعة على ملابسي - ابن الجزمة طيّن الهدوم.

أطلقت سبة أخرى. كنت أرتمي بنطلونا بنياً وقميصاً من البيج الفاتح، أصبح القميص بنياً هو الآخر. وحده الكاب على رأسي لم يطله الطين. رفعت الكاب وعدلت الطاقةية الصوف تحته، ولبسته من جديد. قررت النزول للمشاية السفلية وإكمال المشي من هناك حتى أصل لبقعتي على الكورنيش. الرصيف نظيف ويبرق، بالطبع ألسنت أنا المسؤلة عن نظافته؟

ارتفع أذان العصر من أحد الجوامع القريبة، بدأت محلات الملابس في فتح أبوابها. حيّاني من يعرفوني، رددت تحية البعض وتجاهلت البعض الآخر. توقف المطر لكن الشمس لم تطلع بعد، نظرت أمامي فرأيت شخصاً ما يجلس على الكرثونة التي وضعتها على السور حيث توجد فرشتي. من

الغبي الذي يجروء على فعل كهذا؟ أسرع من خطايا وأنا
أشمر عن ساعدي وأعدل الكاب على رأسي.

- أنتي ثاني؟

- أنا نون.

- عرفت إن إنتي زفت، ما إنتي قلتيلى امبارح، حد قالك إنني
مسطولة؟

- براحة بس، أنا حبيت أتأسف لك عشان وقعناك الكشري
بتاعك امبارح. امم ايه طين هدومك كده؟

قامت الفتاة من على الكرستونة واتجهت نحوى ببطء، أعتقد أنها
لا زالت خائفة مني لكنها تتظاهر بالعكس. وكأنها تقرأ أفكارى
قالت وعينها مثبتة علي
- أنا مش خائفة منك.

آه تلك العيون العسلية، أنا رأيتها في مكان ما، لكن لست أدري
أين. عسلية أم بنية لست متأكدة. تباً لذاكرتي اللعينة. اقتربت
أكثر. كانت يداها في جيب بنطلونها الجينز الذي ترتديه،
ترتدي معه بلوزة رصاصي عليها كتابات بلغة لم أفهمها.
نزلت بعيني لأرى الكوتشي الذي ترتديه ، كوتشي أسود له
كعب عالي. قصيرة هي وتحتاج لكعب يرفعها قليلا. شعرها
البنى تظهر خصلاته من تحت طرحة أبيض في أسود. لا
جاكت، لا شنطة يد، لا شيء.

- خلاص خلصتي؟

انتبهت على سؤالها

- خلصت ايه!

- فرجة علي؟

أطلقت سبة

- وأنا هتفرج عليكى ليه يعنى يا خبيتها؟
انتسعت عينيه العسليتين في دهشة حينما سمعت السبة التي
ألقيت بها
- مش لازم تحطي شتيمة في كل جملة بتقولها على فكرة.
- وانتى بقى جاية تعلميني أتكلم ازاي بروح أمك؟
- ياستي أنا لا جاية أعلمك ولا أي حاجة أنا بس الشتيمة
بتعصبني.
قالت بنفاد صبر. هممت بإطلاق سبة لكنها أوقفتني بإشارة من
سباتتها ،ليحين دوري أنا لرفع حاجباي في دهشة. لم يسبق
وأوقفني أحدهم عن إطلاق سبة، أبدا.
- ايه رأيك نعمل اتفاق؟
تابعتها دون أن أتكلم
- كل ما تيجي تشتمى قوليلي أعمل حسابي الأول وأسد وداني
مثلا ايه رأيك؟
ثم ضحكت فوجدت نفسي أبتسم رغما عني. اقترب تاكسي
بسرعة كبيرة لكنى كنت منتبهة له فجذبته بعيدا عن الطين
وأطلقت بصقة أفخر بأنها طالته ثم سببته ما يقرب من
العشرين سبة. التفت لها لأجدها في مكانها وقد عقدت
حاجبها في إعتراض. رفعت يدي أضرب بها جبهتي إشارة
لنسياني وغمرت لها
- سدي ودانك.

القلعة

الساعة التاسعة صباحاً، أرسلت واتس آب لكل من كازو وناتاليا أخبرهم أنني بانتظارهم أمام القلعة. ومشيت في طريق العودة. سأخذ الطريق الذي أتيت منه وسأكمل حتى البوابة الشرقية، وقبلها بخمسين قدماً تقريباً سأجد الكانتين. سمعت رنة تعلن وصول رسالة

- ياترى مين الي صحي؟

أخرجت هاتفي

- كازو وناتاليا، وأن في الطريق.

سمائلي فيس وإرسال. وضعت الهاتف في جيبي ولم أشعر بنفسي إلا وأنا أطيّر لأسقط على ظهري. وأخيراً وقعت! ياللمفاجأة! خفف البالطوا الأحمر الميطن من قوة الارتطام، لم أشعر بشئ فقد حدث الأمر بسرعة. استلقيت على ظهري لبعض الوقت.

- كنتي عايزة تحضني التلج يا نجوى؟ اهوه حضن بالإكراه.

قمت بحذر وأرسلت رسالة واتس آب أخرى أحذرهم من الممر الزلق. وجلست على المقعد المقابل للمبنى أنتظرهم.

اليوم هو الأول لفتح الكانتين الرئيسي بعد العودة من أجازة الشتاء. يفتح الكانتين أبوابه من الساعة السابعة والنصف، يأخذ راحة من الثانية عشرة وحتى الثانية ثم يقوم بغلق أبوابه. لكن إن كنت بالداخل وأحببت ألا تخرج، فبإمكانك البقاء. ويعود ليفتح حتى الثامنة والنصف مساءً.

المبنى على طابقين، الأول هو الذي نأكل به والثاني مخصص للحفلات.

في الفصل الأول قمنا بالاحتفال باليوم العالمي للأعلام. يمكنك أن تشارك بعلم الدولة الخاص بك وبقول كلمة صغيرة عما يميزها.

هو نوع من حفلات إذابة الثلج، في الأيام العشرة الأخيرة من أغسطس يبدأ الطلاب الدوليون بالوصول، وآخر أسبوع يطلقون عليه اسم: أسبوع الطلاب الدوليون.

وصلت في الثالث والعشرين من أغسطس، في الخامسة مساءً. أنهيت إجراءات الوصول في المطار وخرجت لأجد لافتة باسمي وفريق من الجامعة بانتظاري أنا وطلاب آخرين. يا للراحة لن أتوه في نيويورك.

أخذنا باص الجامعة من JFK وحتى المنزل المعين سكننا فيه. تمنوا لنا نوما هائنا وطمأنونا بأننا سنقابل غدا صباحا للحديث عن كل ما يشغلنا. تملك الجامعة قسما رائعا للطلاب الدوليين. فيزا (VISA) أو منظمة فاسار للطلاب الدوليين، ترعى الطلاب الدوليون وتهتم بشؤونهم واحتياجاتهم، وعلى رأس تلك الاحتياجات ألا تشعر أنك غريبا ودخيلا.

يبرع الأمريكيان في إذابة الثلج بشكل كبير. ستندهش من تعدد الجنسيات الموجودة بالجامعة وستشعر بأنك لست وحيداً أبداً. ألم أخبركم أن الأمريكيان بارعين في إذابة الثلج؟ بهرتني الفكرة ولهذا انضمت للعمل بدوام جزئي في فيزا لاحقاً.

توقعت ألا أنام على الإطلاق، أول ليلة أبيتها وحدي دون أسرتي. أنا في بلد غريب، بل في قارة غريبة ويفصلني عن بلدي محيط أواثنين وقارة أواثنين وثلاثة عشر ساعات رحلات طيران وترانزيت. كمّ هائل من التخطيط والشحطة، وبالرغم من كل هذا نمت كطفل رضيع.

الإبتسامة التي تلقفوني بها واسمي الذي رأيته مكتوبا على اللافتة أشعرتني بأني لم أعد غريبة أبدا. وإن لم يكن هذا كافيا، ففي الصباح استيقظنا، وقراءة التاسعة تجمعنا كلنا في حجرة المعيشة العامة بكل منزل.

خرجنا معا يصطحب كل عشرة طلاب، طالب من فيزا. يلعب دور القائد والمرشد ويمشي بظهره حيث ينظر لنا ويقدم شرحاً سريعا مشيرا بيده يمينا ويسارا على كل ما نقابله من معالم ومباني. وطبعا كانت أعيننا تتلفت في كل الاتجاهات دون أن نسمع حرفا.

وصلنا إلى المبنى الرئيسي للجامعة وهناك تجمعت باقي الفرق في البهو الرئيسي الخاص بساحة المطاعم، كانتين مصغر مصنوع خصيصا لنا. قامت فيزا بتقسيم البهو إلى طاولات تتسع كل طاولة إلى خمسة أوسنة أفراد. كل طاولة عليها مجموعة من المقبلات، الشيبسي والبسكوت والنانشوا والتوست والزبد والمربى. وفي الجانب البعيد امتلأت الطاولات بالمياه والصودا وطاولة أخرى في ركن آخر عليها الكثير من حقائب الظهر والإعلانات. تركونا نجلس كيفما اتفق. وبالطبع بدأنا التعارف دون أي إشارة منهم لذلك.

بعد ما يقرب من النصف ساعة، كنا قد علمنا أسماء من على طولتنا ومن أين أتوا، وماتخصصاتهم وكم عدد أخواتهم

كذلك. تابعنا بفضول أحد أفراد الفيزا وهو يقف في منتصف البهو الواسع، ابتسامته لا تفارق شفثيه، يبدو وثقا ومطمئنا لأقصى درجة. عيان زرقاوان، شعر أشقر مجعد، وعضلات ذراعان تتناسق وباقي جسده. هيبح! تمام ، باختصار كان شابا وسيما.

- اسمي سترابير مكماهن. أنا طالب دولي من ألمانيا، أنا جونيور وهذا معناه أني أدرس بالسنة الثالثة ، أخصص بالقانون والرقص.

ياخبر! قانون ورقص. ترى أيهما صعب؟ الرقص على السلم الموسيقي أم الرقص على عتبات القانون والمحكمة؟ صمت سترابير دقيقة ليسمح بتمتمات الترحيب

- أنا متطوع في فيزا ، وسأكون معكم هذا الأسبوع وسنقوم بالكثير من الأنشطة المرححة والمتعة. ارتفعت يد في الطاولة التي تجاورني وبلهجة متلعثمة قالت

- عذرا لدي سؤال.

لم تفارقه ابتسامته

- عرفينا بنفسك أولا.

كانت فتاة بيضاء، ذات شعر أسود وفم دقيق تزينه شفثين ممثلثتين. ترتدي بلوزة حمراء فاقعة وبنطلونا أسودا.

- أنا ناتاليا من الأرجنتين.

- أهلا ناتاليا، وسؤالك؟

- أنت قلت أنك ستكون معنا لأسبوع؟

أوما برأسه موافقا فاحمر وجهها الأبيض واقتربت شفثاها الحمران في ابتسامة خبيثة ثم غمزت

- وماذا بعد الأسبوع؟

علت موجة زرقاء بحر عينيه فزادت من بريقها وضحك
بإستمتاع..

- سأكون أيضا هنا.

أخبرنا سترایدر أننا لدينا يوما حافلا، مليئا بالألعاب
والمغامرات، طلب منا أن نبقي قليلا لنكمل طعامنا، ولكن
بشرط أن نغير من أماكن جلوسنا لننتعرف على باقي الزملاء.
كان هناك مكانا خاليا بجانب ناتاليا، فاتجهت نحوها، جلست
ومددت يدي.

- أنا نجوى سليمان، من مصر.

بدا عليها الإرتباك ، يبدو أن اسمي صعبا وطويلا

- أنا نون-N من مصر.

- اه أهلا، وأنا ناتاليا من الأرجنتين.

- أه نون برده يعنى. وضحكنا.

- أنتِ بخير؟

ركضت ناتاليا نحوي حين رأنتي جالسة على المقعد أمام القلعة. أن تبعثها وكازوأیضا.

- أنا كويسة مافيش حاجة، متوقعين ايه من واحدة مصرية بتشوف تلج لأول مرة بره التلاجة والتلفزيون؟

ضحكنا واتجهنا للداخل نحو الدفء. سلّمنا بطاقتنا للموظفة المسؤولة كي تخصم منها وجبة الإفطار، بعد أن تبادلنا القبلات معها واحدا تلو الآخر.

إنها روزالي امرأة في منتصف الأربعينات، لها بنت واحدة اسمها أماندا وتدرس الإقتصاد في جامعة الولاية. انفصلت روزالي عن زوجها منذ كانت أماندا في الثانية، ولم تره إحداهما منذ ذلك الوقت.

تعمل روزالي بجهد كي توفر لأماندا مصاريف الجامعة. أخذت قرضا من البنك بضمان عملها، وتعمل على تسديده كل شهر بخصم جزء من راتبها. امرأة طيبة، تتقاسم شقة بالإيجار مع زميلة أخرى لها. وقد دعتنا لشقتها في عيد الشكر، آخر خميس من نوفمبر الماضي.

مددت لها يدي

- حاجة بسيطة من مصر.

أشرك وجهها كله واعتصرتني في حضن طويل.

دخلنا بعد أن تمكنا بمعجزة من الهرب من حضن روزالي الدافئ. ألقينا التحية على كل أصدقائنا العاملين وأصدقائنا من الطلاب الذين عادوا. كان إفطارا رائعا، أعدوا لنا كل الأصناف التي نحبها.

بان كيك بالتوت والشوكولا والموز، هامبرجر وهوت دوج ،
كل أنواع الجبن والزبد والمربى، وخضار وفواكه. كان البوفيه
رائعا بحق. افتقدت المكان فعلا. وقفت في الطابور أنتظر
دوري لطلب البيض.

- هطلبك معايا يا كازو، وهات انت القهوة.

لم يكن الطابور طويلا

- صباحك جميل يا جوليا

- صباح الخير عزيزتي إن، مرحبا بعودتك، تحبين البيض
مثل كل مرة؟

- أيوة يا جوليا بس زودي كمان بيضتين لكازو. متنسش أنا
من غير بورك ولا سبانخ.

- لا تقلقي أنا لم أنس. أعرف أن المسلمين لا يأكلون الخنزير.

- لكن هل كل المسلمين لا يأكلون السبانخ ؟ غمزت لي
وضحكت.

وأخيراً، إلتفنا ثلاثتنا حول الطاولة، نشرب القهوة ونأكل
التوست بالمربى.

نتبادل الحديث ونقوم من حين لآخر للترحيب بصديق آخر
يصل.

- فقط ماتيلدا تأتي ليكمل الفريق.

قالت ناتاليا وهي تشرب آخر رشفة من القهوة. وقامت لتملاً
الفنجان من جديد.

- ستصل اليوم مساء؟

سأل كازو فردت أن

- لست متأكدة، نون هل تكلمتي معها؟

قاطعتنا رنة وصلت لهواتفنا في الوقت نفسه

- إيميل من الجامعة.

أوضحت أن ففتحناه معا كلا من جهازه لنجده بعنوان: احترس من الثلج الأسود. ويحتوي الإيميل على إرشادات وتعريفات بماهية الثلج الأسود الذي يتكون على الأسفلت والخطر أنه مثل الزجاج وغير مرئي تماما. وتكون سقطته موجهة للغاية. دلكت ظهري بخبث

- متأخر شوية الإيميل ده.

وضحكننا. فردت المربي على التوست وأخذت قضمة

- ماتني ستصل عصرا.

- سنتعشى معا إذن.

- أكيد.

أكدت ناتاليا قبل أن تجلس. اعتدلت على كرسيها لتضيف بحماس

- ما رأيكم أن نطبخ اليوم احتفالا بالعودة؟

- فكرة جيدة.

قالت أن بحماس

- فلنتتركوا الحلوى لي، سأقوم بعمل سويس رول بالقرفة.

ضمت أصابعي وقربتها من فمي

- يم يم.

أما ناتاليا فاختارت تجهيز بعض الخضار المشوي على الطريقة المكسيكية، وستزيد السبانخ لأن أن تحبها ولأنني أكرهها بالطبع. لكزتها في كتفها

- اي! حسنا فقط لأن أن تحبها.

- هممم ما رأيكم في تجهيز بعض السوشي؟

وافقنا جميعا واتفقنا أن أذهب وناتاليا للتسوق بعد أن تأتي ماتيلا على أن تبقى أن لأنها ستجري محادثة سكايب مع صديقها في ألمانيا. أما كازوف بالطبع عليه أن يعمل. هووف حالة ميؤوس منها. أنهينا إفطارنا وقمنا لنأتي بالفاكهة والحلوى. مشيت أنا وأن وسألتها:

- هتتكلما النهاردة هاه؟

شوّحت بيدها:

- العلاقة البعيدة صعبة جدا يا إن، يكون مشغولا عندما أحتاحه، وأكون غير متوفرة عندما يحتاجني، أنا خائفة.. توقفت عن المشي عند هذا الحد وهمت بالبكاء
- أنا أحبه كثيرا ، لكن لست متأكدة، هو طول الوقت عصبي ومتوتر، يفتعل المشاكل معي بسبب ودون سبب، تعرفين هولم يكن هكذا ، هذا ليس طبعه أبدا.
ومن الحب ما وجع!

كم أنت رقيقة يا أن، رقيقة كوردة تيوليب بيضاء في حديقة شكسبير. أذكر أنك كنت تحبين أن تصحبينا معك في الخريف لتفقدنا يوماً بعد يوم.

قابلت أن للمرة الأولى، مساء اليوم الذي تعرفت فيه على ناتاليا.

كنت عائدة من الحمام حين سمعت ارتطام شيء ما في الحجرة المجاورة، لابد ان صاحبها تواجه مشكلات في ترتيب الحوائب.

أدرك هذا لأن حجرتي كانت عبارة عن مأساة كونية ليومين كاملين، حتى تمكنت أخيرا من تنظيم كل شئ كما أردت. طرقت الباب وسمعت صوتا رقيقا من الداخل لم ينجح الباب في أن يحجب التعب الذي ألم به - من هناك؟

- أنا نجوى، زميلتك بالحجرة المجاورة.
فتحت الباب قبل أن أنهى كلامي، مدت يدها وتصافحنا
- عذرا لا بد أنني أزعجتك بالزلزال الذي أحدثته منذ قليل.
- ههه لا أبدا، من أين نبدأ؟

بعد ساعة تقريبا، بدأت معالم الحجرة في الإيضاح، وبعد ساعة أخرى كنا قد أتممنا المهمة بنجاح، ودون سؤال اتجهنا نحو حجرة الزميلة الجديدة من فرنسا والتي كانت تحدث زلزالا جديداً في غرفتها بدورها.

بعد ساعتين أخرتين من الترتيب ارتمينا ثلاثتنا على السرير وقد غزانا التعب.

- أنا جعانة.

- أشعر بالجوع.

- أريد أن أكل حالا.

قلناها معا في وقت واحد وضحكنا كثيرا. الموقف نفسه لم يكن ليستدعي كل هذا الضحك. كنا نضحك لنؤكد لأنفسنا بأننا لسنا وحدنا في هذا البلد الغريب. ثلاثة فتيات التقين من ثلاثة بلدان مختلفة وتمكن في أقل كثيرا من نصف يوم - من تأسيس صداقة ستستمر دون الإكتراث لسياسة ولا حدود ولا حكومات. أقبلت ناتاليا مع صديق آخر..

- أقدم لكم، كازو صديقنا من اليابان.
تبادلنا التعارف واتجهنا لتناول أول عشاء لنا في المبنى الذي
ضمّنا نحن الخمسة. لست أذكر مَنْ مِنْ بيننا أسماه القلعة ولكن
أذكر السبب جيدا، القلعة مبنى محصن، يشعر من بداخله
بالأمان ولسبب أواخر تشعر أرواحنا الهائمة بالأمان ونحن
معا، مُتَحَدِّين سويا أي لغة وأي عائق أوحازر قد تخلقه الغربية
بقصد أو بغير قصد.

بالأمس كان عيد ميلادي، أتممت عامي الثالث والثلاثين. خرجت أنا وزميلاتي للإحتفال في كافيه اعتدنا الجلوس فيه منذ كنا بالجامعة. رحْتُ مرغمة.

كانت هناك الكثير من الإختلافات. أولها ، أن مها لم تكن مطلقة. أما أنا فازددت تيباً. لم تعد تشغلنا نفس الإهتمامات ولا تستثيرنا نفس المواضيع. هل كبرت؟ أم هم من صغروا؟ لست أدري. الآن ستخبرنا وفاء عن فلانة التي تزوجت أوعلانة التي علمت بأمر حملها من أسبوعين.

مالي أنا وفلانة التي ضبطت زوجها يخونها؟ وعلانة التي تشكومن حماتها؟ هوووف أنا أختنق. زواج وطلاق وخيانة وحمل ورضاعة وتطعيم وإسهال وسخونة وصداع. موجات عالية من الصداع تغرق عيني فلا أرى سوى إهتزازات.

- فرح جهاد محمد كان من أسبوع.

شهقت وفاء بانفعال. فعلا! ياله من إنجاز.

- كل سنة وهوطيب.

قلت متهمكة

- لا دي عروسة يا نجوى.

لا يكففن عن إبهاري!

- خلاص كل سنة وهي طيبة.

وغمرت لمها فضحكنا بإستمتاع أما الباقيات فمطين شفاهن في شفقة لحالنا.

مزيد من أخبار الزيجات بمجلة النميمة التي تتولى وفاء رئاسة تحريرها، موجة عالية أخرى من الصداق ، وسنة حلوة يا جميل.

توالت التهنئات وأنت التورتة. ما الذي أتى بي إلى هنا؟ أحتفل بصمودي في متاهة نفسي عاما آخر. افتعلت ضحكات السعادة لما يقرب من الخمس دقائق. حتى الرضيعين مع اثنتين من زميلاتي كانا قد توقفا عن البكاء المتواصل واستمعا لغنائنا.

شردت من جديد. كانت مها أول من تزوجت وهي في السنة الأخيرة. فجأة ودون مقدمات أتت لتخبرنا بأن..

- كتب كتابي الأسبوع الجاي، وأنا عايزاكوا معايا، أنا ماليش غيركو.

ولم نتركها، كان الفرح بعد عقد القران بأسبوع واحد. في أسبوعين اثنين تم اختطاف مها من وسطنا. لا تعود دهشتي لفكرة أن مها تزوجت وهي تدرس. دهشتي كان مردودها أن مها تزوجت من الأساس.

مها كانت دوما ما تخبرنا بأنها ترغب بنيل درجة الماجستير، وقبلها كانت تحلم بأن يتم تعيينها معيدة. لذا كان تقديرها العام ممتازا طوال الثلاث سنوات. ما فهمته منها بعد محايلات وضغط ، أن أباه هو من ضغط عليها لتوافق على ابن عمها المقاول الكبير.

ابن عمها الذي لم تكن تشعر نحوه بأي عاطفة تؤهلها للزواج منه والذي يكبرها بخمسة عشر سنة كاملة. وحينما سألناها لم التسرع إذن؟ قالت بأن هذه رغبة امرأة عمها وعمها وأبيها في

أن تتم الزيجة قبل أن يسافر العريس ليعود إلى شغله بالسعودية.

أذكر شكلها جيداً يوم الفرح. كانت متماسكة وباردة لأقصى درجة، لا ضحك ولا ابتسام ولا بكاء ولا أي شيء. كانت كمن تساق إلى حتفها، عيناها كانتا في مكان آخر. روحها كانت في قاعة المحاضرات، عقلها كان في إمتحانات الترم القادم وماستحمله لها.

أما قلبها فكان تحت حذاء أبيها وعمها وعريسها، يتبادلون الدعس عليه.

كان أبوها أول من قام بنزعه من صدرها حين أنبأها بأنه وبقرار شخصي - قام بإلغاء كل ماحلت به، حين قرر تزويجها من ابن عمها.

عمها تلقفه من أبيها وألقى به أرضاً حينما قرر هو الآخر تحديد موعد العرس مع امرأته وذلك في أسبوعين اثنين كي يرغب ابنه على الزواج قبل أن يسافر. أما ابن عمها فقد داس على قلبها بحذائه حينما رفض رفضاً تاماً قبول رجائها في أن تعود للجامعة بعد أن يسافر لتكمل سنتها الأخيرة فقط.

- ده أنا نزلت بُست على جزمته يا نجوى.
قالتها لي من وسط عبراتها ونههاتها المتشنجة حينما ذهبت لزيارتها بعد سفره.

- طب ماقلتيش لأبوكي يمكن يقدر يآثر عليه؟
علا نشيجها..

- أبويا قالي اسمعي كلام جوزك، أنا دلوقتي ماليش حكم عليك، انتي في بيته هو دلوقت. أي بيت وأي جوز ده يا

نجوى؟ ده قعد معايا أسبوع واحد، وأي بيت ده ؟ أنا معرفش فيه حاجة ومخترتش فيه حاجة.
توقفت عن البكاء فجأة..

- أنا أمي وهي بتموت وصته علي وقالتله يسيبني أكمل تعليمي لأنها كانت بتعلم تكمل تعليمها.
عاودها البكاء..

- لكن هو مستكثر عليها ترتاح وهي ميتة، مش كفاية إنه اتجوز عليها وهي بتموت واحدة قدي ومتكلمتش؟
أخذتها في حضني وبكىنا...

طردت الذكرى السوداء باستماتة وبعدت بناظري بعيدا عن
مها، التفت نحو رضيع وفاء أداعبه..

- عقبال ماتجيبني واحد زيه.
- قصدك عقبال ما ربنا يرزقني بواحد زيه، أنا يعني هجيبه من
السوبر ماركت؟ ده رزق يابنتي.
ضحكنا ...

- الأسطورة بتقول إن فيه حياة عادية قبل الجواز فاكراها؟
سألت فردت مها

- علميا مافيش حاجة اسمها كده يا ماما. البنيت لو طلعت القمر
وكتبت كتاب عن علاقة ألين وبريداتور بتأثير التدخين على
المواطن هنا ، فالأم هيكون موقفها..

قاطعتها وأنا أيمم كفتي يدي نحو السماء في وضع التضرع
- عقبال كتب كتابك يابنتي ومش مهم يكون بيدخن، بكرة
هيتغير بعد الجواز والخلفة.

ضحكنا بجنون وأكملتُ مشيرة بسبابتي لوفاء

- وعلى فكرة الخلفة دى رزق،مش شرط أول ما أتجوز أحمل وأخلف،في ناس بتتجوز صغيرة ومبتخلفش غير بعد الثلاثين.
اندفعت وفاء

- وده مين الى هيصبر عليكى لبعد الثلاثين إن شاء الله؟
لاح أثر الضيق على وجهي،أمسكت الشوكة وقطعت من التورطة ألوكةا في فمي بغلّ.

- نون بتتكلم صح يا وفاء،كل حاجة رزق.

صرخت مها

- وانتي اش دخلك انتي؟طب انتي واحدة فاشلة معرفتيش
تحافظى على جوازتك،عايزاها تخيب خيبتك؟

تكهرب الجو فجأة. تحول وجه مها إلى اللون الأزرق.
انقطع عنها الأكسجين وأحسست وكأنها ستفقد الوعي. حتى
الرضيعين انفجرا بالبكاء وكأنهما تأثرا بهجوم وفاء العنيف.
- كل سنة وانتي طيبة يا نون ...
قالتها مها ببطء وكأن الكلمات تتصارع بداخلها كي تخرج،
واندفعت هي كقذيفة نحو باب الكافيه.

لو بقيت كنت لأمزق وجه وفاء بالشوكة في يدي،ولكنى أثرت
الخروج وراء مها. لحقت بها عند الباب..
- أرجوكي يا مها استني،انتي عارفة وفاء متخلفة ولسانها
متبري منها.

لم تسمعني ، تحول وجهها من الأزرق إلى الأسود الآن، أمسكت بيدها محاولة منعها من ركوب التاكسي الذي أوقفته فهتفت بي في رجاء

- عشان خاطري يا نجوى سيبيني أمشي.

تركت يدها وتابعت التاكسي بسخط وهويتعد. حدث الأمر كله في دقائق. اه لماذا أتيت؟ كنت أعلم بأنني لودخلت المطعم الآن سأتسبب في فضيحة، أقسم بالله لوكانت وفاء بمفردها دون رضيعها لدخلت وجررتها من شعرها الآن.

وفاء طبعها حاد وعنيف، مسحوبة من لسانها مثلما يقولون. لكن من منا بلا أخطاء؟ كلنا نمشي على حبل رفيع كالبهلوانات، في محاولة لخلق نوع من التوازن بين النقيضين. أحيانا نتغلب على الجانب المعتم بداخلنا، وأحيانا يغزونا ظلامه ويقهرنا كما حدث في الداخل منذ قليل.

هداني تفكيرني أن أعبر الشارع نحورصيف الكورنيش. مشيت نحو السور وأنا أشعر بدمي يغلي في عروقي. وفجأة ارتطم بي شخص كبير الحجم وشعرت بشيء لزج يغطي طرحتي ويتشربه شعري. صرخت وتعثرت وشدت الرجل معي دون قصد. كان رجلاً غريباً لم يتوقف عن السباب بالرغم من أنه هو المخطيء. هو من ارتطم بي.

- ايه ده مش تاخذ بالك؟

لم يتحرك الرجل ولكنه أخذ يسب ويلعن، سبات بذئبة تضاعف من غضبي. تركت وفاء في المطعم لأجد وفاء أخرى هنا. ياللقرف!

قمت بسرعة

- يادي النيلة ده أنا شعري جه عليه صلصة ولا ايه ده؟

منك لله يا وفاء، هذا مادار بتفكيري. صرخ الرجل
انتي طلعتيلي من أنهى داهية؟

ولم أفق إلا وهو ممسك بشعري بين قبضتين حديديتين. طرحة
شعري تهدأت. كان غاضبا لأنني أهدرت الصلصة على
شعري. لم يتوقف عن السب واللعن المصحوبان بأصوات
نابية من حنجرته. إن كان الأمر بيدي لأخبرته أنني لست
معتادة على غسل شعري بالصلصة وبأنه هو من أخطأ ..
مهلاً هذا ليس رجلاً !

- انت واحدة! أقصد انتي واحدة؟

كانت امرأة في ملابس رجل، حركاتها، ملامحها وحتى
صوتها، كانت فجة جدا وعنيفة جدا جدا، فوجئت بنفسي أفكر
في أمر آخر تماما غير ما يفترض أن أفكر فيه.
فبدلاً من أن أصرخ بلا توقف مثلاً، أو أن أحاول ضربها
والهرب.

وجدت نفسي أتساءل عن مقدار الغضب الذي من الممكن أن
يتواجد بداخل إنسان ما ليكون بكل هذا العنف.
الغضب بداخل هذه المرأة يقارب ما بداخلي تماماً والدليل أنها
أمسكتني من شعري مثلما كنت أنوى أن أمسك بوفاء منذ
دقائق.

كيف يمكن لغربيين لا يعرفان أصلاً بوجود أحدهما الآخر أن
يمرا بنفس الشعور ويقوما بنفس الفعل في نفس الوقت تقريباً؟
لعله نصيب الغرباء ذو الأرواح المشردة المقدر لهم أن
يضمهم القرب في يوم ما.

هدأت فجأة ورجوتها أن تترك شعري على أن آتيها بعلبة
كشري أخرى ولكنها دفعتني بعنف وصرخت في بأنها ليست

شخّاة، عدلت من طرحتي وتركتها وعبرت الطريق واتجهت نحوالمطعم.

إنّويت أخذ حاجياتي والإستئذان دون كلمة زيادة وإلا سوف أغير رأيي وأتي بوفاء من شعرها بجد هذه المرة، كنت أخطو نحوالمطعم وأنا أشعر بعينيها ترقباني.

كانت تشغلني فكرة أخرى تنتابني من حين لآخر، فكرة التخفي من الوجود.

الإحتماء بطاقةية الإخفاء.

عرفت بأنني سأعود لأسألها الكثير من الأسئلة التي لا أعرف لها إجابة.

إلتفت نحوها لأجدها فعلا لازالت تراقبني بعينيها فهتفت:

- أنا نجوى، وأصحابي بيقولولى يا نون.

دفعت الباب أمامي ودخلت.

جَادَة رَايْمُونْد

لفاسار أربعة بوابات. تحيط جادة رايموند ببوابتي فاسار الشمالية والغربية. تحوي الجادة الكثير من المنازل الخاصة بهيئة التدريس وبعض الطلاب الذين يفضلون السكن خارج الحرم الجامعي. موقعها متميز ويبعد مسافة سير بسيطة فقط عن الحرم الرئيسي، كما أن المنطقة تتسم بالهدوء والخصوصية.

هناك بعض المطاعم التي تعد وجهة للكثير من الطلاب الذين يرغبون بكسر الروتين والهروب من وجبات المقصف الرئيسي.

تتنوع المطاعم في محاولة لجذب الأذواق المختلفة، فهناك مطعم هندي وآخر مكسيكي وياباني وإيطالي وعربي. للأسف المطعم العربي مقفل منذ الخريف الماضي لذا لم نتح لي فرصة الذهاب والتعرف على الناس هناك. لكن أحيانا ما أذهب أيام الجُمع للصلاة في الجامع الصغير في حارة العرب في جادة كوليدج، أيضا ليست بعيدة عن هنا كثيرا. تقريبا ثلث ساعة بالتاكسي.

وجنسيات كثيرة من المغرب العربي وحتى الخليج. كل جمعة تنظم أسرة مختلفة الغداء. مرة الأكل من المطبخ المغربي وأخرى من الشام. كبسة سعودي ومنسف كويتي ومقلوبة أردنية وكسكس مغربي وكشري مصري. وحدة عربية مصغرة على طاولة الغداء، لا بأس بها أبدا طالما لن أجوع.

تضم الجادة أيضا متجر فاسار الخاص وأنا للأسف لا أستطيع المقاومة، فكلما مررت بالمتجر أشتري تذكارا أو اثنين، ولهذا فقد تقرر أنه ممنوع علي دخول المتجر إلا للضرورة القصوى لشراء الكتب الدراسية وبشرط أن يصحبني واحد من الرفاق. لقد أعلنّا حالة التقشف القصوى من أجل التجهيز لأجزة الصيف. وبناء عليه صدر فرمان.

وصلت ماتيلدا من ساعة. سلّمتنا عليها وتركناها لتترتاح قليلا. خرجت أنا وناتاليا للتبضع وشراء حاجيات العشاء. خرجنا من الممر الخلفي ومررنا بقاعة شيكاجوالموجود بها أقسام اللغات. تقدم المنحة التي فزت بها- لطلابها عرضا مميزا، فإلى جانب تلقينا الكورسات والدروس كطلاب ، بإمكاننا العمل كمدرسين مساعدين. كلّ يقوم بتدريس لغته الأم تحت إشراف الجامعة والقسم الخاص به، وذلك في مقابل راتب شهري بسيط. لذا تعتبر قاعة شيكاجوالمقرر الرسمي لعملا. سنجهز العشاء في مطبخ القاعة ومن ثم سنأكل في أحد الأقسام التي يقع عليها الاختيار. سيقع الاختيار في الغالب على قسم اللغة الألمانية لأنه الأقرب للمطبخ.

- ناتاليا، هل تملكين في كارد خاصتك؟ أنا تقريبا نسيته! سألت وأنا أفتش جيوبي بقلق. لا أستطيع دخول حجرتي دون المفتاح في بطاقة الهوية.

اه نسيته،بالطبع متجر فاسار يسمح لك باستخدام الكاش على البطاقة،ولذا تم سحب البطاقة مني. الرفاق جادون جدا فيما يتعلق بقرارهم غير القابل للنقاش.

ملعب التنس مشغول بمباراة ودية بين مجموعة من الطلاب والطالبات. يقع الملعب في الجانب الغربي من الحرم. ويفصله بضعة مترات عن البوابة الخارجية.

خرجنا من البوابة، عبرنا الطريق واتجهنا ناحية المتجر. محل
الورود مفتوح إلى جانبه كافيه للقهوة والدونات. رائحة الورد
والقهوة تجذبان الزبائن فلا تكاد الطاولات تفرغ إلا في المساء.
اه لو نملك وقتاً! قطعت ناتاليا محاولتي في مهدها وبادرتني
بسؤال نجح في شغل تفكيري عن دخول الكافيه أو المتجر
كيف حال إم؟

- بخير الحمد لله، عملت لي عيد ميلاد رائع!
أخذت أثرثر وأحكي لها. منحتني ابتسامة حنون ووضعت يدها
اليمنى على كتفي، إلثقتُ ورائي
- اممم ألا نستطيع المرور لتفقد الكتب فحسب ؟
ضحكت وضممتني إليها في حب.

سوبر ماركت الهند الجديدة يرحب بعودة طلاب فاسار.
هذا ما قالته اللافتة الكبيرة التي لابد وأن أديتي قام بثنيتها
لقرب إنتهاء الأجازة.
أديتي خان هندي لطيف في أواخر الأربعينات.أتي أمريكا
لأول مرة في تبادل طلابي وقرته حكومة الهند لمدارس
المرحلة المتوسطة.
ولد أديتي في قرية صغيرة شمال الهند. هو الأخ الأكبر لثلاث
بنات.
كانت والدته تعمل خياطة في المنطقة التي يسكنون بها، أما
والده فتقاعد مبكرا بسبب إصابة عمل اضطرته أن يمشي على
عكاز.
لم يعتمد والد أديتي على العكاز الخشبي بقدر ما اعتمد على
أديتي نفسه.
لذا كان حلم أديتي ومسؤوليته أن ينهض بمستوى أسرته.
تقدم الحكومة فرصة للطلاب المتفوقين من الهند في القдом
والبقاء لمدة فصل دراسي كامل في إحدى مدارس الولايات
المتحدة التابعة للإتفاقية. كان ذلك في أوائل التسعينات تقريبا
حينما وصل أديتي الصغير ذوالخمسة عشرة عاما إلى ولاية
نيويورك أو(نون الكبيرة) كما يحب أن يسميها و(نون
القصيرة) كما يحب أن يسميني أنا.
التهم أديتي كل شئ بعينه. الشوارع والمنازل والمباني.
كان يلتقط صوراً لكل ما يمر به ويخزن ما يلتقط في ركن
سري من عقله.
كان يتلفت في كل الاتجاهات بشكل كان مثيراً لأعصاب
المشرف المسؤول عنه وباقي زملائه.

- منذ شهرين وأنت لم تتوقف عن التلفت يا أديتي، ألم يزل انبهارك بعد؟

- أنا لا أتلفت لأنني منبهر يا أستاذ.

- لماذا إذن؟

سأل أستاذه بفضول وارتفع حاجباه دهشة لجواب تلميذه الواصل.

- أنا أحاول الاحتفاظ بكل العناوين في رأسي حتى لا أتوه عندما أعود وحدي.

وبالفعل نفذ أديتي وعده وعاد بعد أكثر من خمس سنوات. وبعد محاولات كثيرة من ملء الإستمارات وخوض الإختبارات والأسئلة الشفوية والتحريرية. استقر أديتي في الولايات المتحدة الأمريكية، عمل مساعدا لرجل إيراني وزوجته.

- فزت بالوظيفة لأنني طويل.

كان دائما ما يضحك وهو يعايرني بقصري.

- لو كان الأمر معكوساً لعدت إلى مصر من أول يوم.

بدأ أديتي بترتيب الرفوف العلوية للمتجر الإيراني.

لخمس سنوات كان هذا أحب شئ إلى قلبه. حياته كلها تركزت في الرفوف العلوية. كان يأكل ويشرب وينام هناك.

اكتسب ثقة الزوجين الإيرانيين وعامله كابن لهما وقبل أن يموتا ساعدا أديتي الصغير في تأجير المتجر من بعدهما.

تزوج أديتي وأتى بأسرته: امه وابيه واخواته الثلاث وزوجته وسميرابنه الصغير ذوالخمس سنوات.

أسرته الصغيرة مثلما يقول. وهم يساعدونه في إدارة المتجر الآن.

همس لي يوما بأنه يأتي بالسلم ويصعد لينام في الرفوف
العلوية عندما يجافيه النوم. أنا لا أتوه أبدا. هذا ما يتفاخر به
دوما أمام الجميع وخاصة أنا.

تساقطت أوراق الشجر بألوانه الخلابه لتخلق طرقا وممرات ملونه مبهجه.رياح سبتمبر معتدلة. كانت قد امتدت موجة حارة للغاية مصحوبة بالمطر في أواخر أغسطس لما يزيد على العشرة أيام.

هنا يتساقط المطر في الصيف وتثلج في الشتاء. لابد وأن الصيف كان مستاء للرحيل لذا كان متشبثاً بحرارته لآخر يوم في أغسطس.

ولكن سرعان ما رضح وانهمز أمام خريف سبتمبر.

الساعة الثانية عشرة ظهرا.

كان يوماً خريفيّاً رائعاً.

لم أكن أعلم أن الشجر وحده قد يكون مبهجاً لهذه الدرجة. لبست بطاقة هويتي الممغنطة حول رقبتى كي لا أنساها. وأخذت الخريطة وخرجت. كان من الحمق أن أظل حبيسة غرفتي في يوم جميل كهذا.

أردت أن أكسر حاجز الخوف عندي وأخرج في جولة حرة وحدي.

أنا هنا من أسبوعين تقريبا. وهناك طاقة سحرية في الجو تجبرك على الخروج والإستكشاف والتجول.

أشعر بأنني لا أستكشف المنطقة وإنما أستكشف روحي. منذ أتيت وأنا أشعر بأنني أخرى. أنا أخرج. أنا أتكلم. أنا أبتسم. أنا أعمل. أنا أدرس..

أنا أتنفس.

هذا كل ما كنت أرجوه وقد تحقق رجائي أخيرا. أنا حقا أتنفس. وقفت وفتحت ذراعي.

أخذت نفساً عميقاً وحبسته داخلي وأخيرا زفرت.

زفرة محبوسة منذ ثلاثين عاماً.
كنت قد ارتديت قميصاً من الرصاصي والمارون، لون
الجامعة الرسمي، وبه حرفي VC. كان هذا أول ما شترت من
المتجر.
ارتديت معه جينز أسود..
غطيت شعري ببونيه مارون مخطط.

لم أتوقف أمام المرأة لأرى ما إذا كانت ملابسي متناسقة. لم
أقلق لكون أحد سيلحظ إذا ما كان الكم شفافاً قليلاً من عند
الكوع.
من سيهتم لأمر كوعي هنا؟ هل القميص واسعاً قليلاً أم ضيقاً
كثيراً؟ أيضاً لا يهم.

مشيت ومشيت ومشيت، لم أمشي كل هذه المسافة طوال حياتي
والغريب أنني لا أشعر بالتعب، لم لا أشعر بالتعب؟ وهل يجب
أن أشعر بالتعب؟ كل هذا لا يهم.
توقفت كثيراً لأتبين اتجاهاتي ومررت بالكثير من الأبنية التي
سأحفظها عن ظهر قلب قبل إنتهاء سبتمبر. كنت مأخوذة ولم
أرد تضيق لحظة في التساؤل.
وبعد ساعة أخرى من المشي شعرت فجأة بالجوع وبالعطش
الشديد، مددت يدي في جيبي لأنظر في ساعة الموبايل،
الساعة الخامسة والنصف. أنا أمشي من خمس ساعات.
- تمام أنا جعانة فعلاً وعطشانة.
تلفت حولي، كان هناك الكثير من الأبنية التي لا أذكر اسمها.
اتجهت لأقرب مقعد وفتحت الخريطة.

- أنا هنا عند البوابة الغربية.
رفعت رأسي لأجدها على بعد ٣٠ متر تقريبا، رفعت رأسي
عن الخريطة ونظرت باتجاه البوابة.

أخذت نفسا وقمت، كان متجر فاسار في الجهة المقابلة، عبرت
الشارع ودخلت المتجر، بالطبع ليس بالداخل مشروبات ولكني
استمتعت بالتجول حتى نسيت عطشي وجوعي.
نسيتهما لفترة قليلة ولكن سرعان ما عاودتني الرغبة في
الشرب.

فخرجت وعبرت الشارع مرة أخرى لأجد مجموعة من
السوبر ماركت.

أستطيع أن ألمح مكتب البريد من مكاني ولكن لا وقت للذهاب
الآن، فالشمس تقارب على المغيب، كما أنه ولا بد مغلق الآن.
انتقيت أقرب متجر ودخلت، كان متجرا كبيرا.
- مساء الخير.

قلتها للرجل الجالس على الكاشير، فأوماً لي بابتسامة ودخلت.
السوبر ماركت مقسم إلى أروقة عديدة، اتجهت نحو كن
المشروبات أولا.

أخذت زجاجة مياه، فتحتها وشربت نصفها فورا.
اتجهت لركن المأكولات الخفيفة والبسكويتات، انتقيت بسكويتا
صغيرا بالبندق. ولكنني تركته حينما رأيت علبة أخرى ملونة
ومكتوب عليها اسما غريبا، حسنا لا أعلم ماهو الفلاب جاك،
لإسمه وقعا يبدو كلعبة قمار يمكن أن تلعبها في فيجاس.
اه فهمت إنه الجرانولا.

لا أعلم ماهي الجرانولا ولكن مكتوب أنها قالب للطاقة، أنا بحاجة إلى الكثير من الطاقة خاصة بعد الجولة الجنونية التي قمت بها طوال اليوم.

-تعالى يا جاك.

فتحت القالب وأكلته، طعمه حلوا، أخذت واحداً آخر، بحثت بعيني عن الكاشير حتى وجدت واحدا في الركن الجنوبي فاتجهت نحوه، شربت زجاجة المياه في الطريق وأخذت أخرى، معي الآن قنات قالب جرانولا وزجاجة مياه فارغة. وقالب وزجاجة أخرى جديدين.

الشمس غابت بالفعل وأنا خرجت من باب آخر غير الذي دخلت منه.

- برافويا نجوى!

لا داعي للخوف لابد وأنني في الناحية الخلفية للمبنى. مشيت حتى ابتعدت عن الباب. فقط سألتف حول ال...

قطع أفكاري صوت ارتطام زجاج بالأرض، لم أرى شيئاً ولا أحداً، وفي لحظة واحدة امتلأ ذهني بكل أفلام السفاحين والقاتلين المتسلسلين والكائنات الفضائية.

ما الحل؟

هل أركض نحو المتجر أو أستمر في الركض نحو الشارع؟ هل أصرخ؟

لا ركض ولا صرخ...

سأعود إلى المتجر وأخرج من الباب الذي دخلت منه

- لا حاجة لكلام فارغ يا.....

صرخت وبترت كلامي عندما شعرت بيد توضع على كتفي

- عذرا هل أخفئك؟

لم أنطق.
- خرجت من المتجر ورأيتكِ تتلفتين حولكِ.
لا زالت محاولاتي في النطق فاشلة ولكني قادرة على هز
رأسي الآن.
تفحصت المواقف أمامي...
ملامحه ودودة للغاية...
طويل واختلط شعره الأسود مع الأبيض..
وابتسامته واسعة تلتهم وجهه البني كله
- أنا أديتي، وانتِ؟
أخذني أديتي من يدي ولففنا حول المبنى
- هذه هي البوابة.
تابع بابتسامة هادئة
- هل تحبين أن أمشي معكِ قليلاً؟
هززت رأسي مرة أخرى وعبرنا الطريق.

كان أديتي حنوناً حقاً، لم يشعرني بالحرص ولم يشر إلى أنني
تهت أبداً، إلا عندما نكون وحدنا فهو يستمتع حقاً بإغاطتي وأنا
كالطفلة أغضب وأنكر فيضحك ويهز رأسه في تتابع سريع
مثلما يفعل دوماً وهو فرحان، ثم نضحك معاً.
عرض علي أديتي أن يمشي معي قليلاً، لا أن يوصلني ولا أن
يعرفني الطريق. وكأني أنا من أمنحه خدمة بالسماح له بالمشي
معي.

حقاً اختيارك للكلمات قد يغير موقف الناس ورد فعلهم كلياً..
فما قد تفسده كلمة، قد تصلحه كلمة أخرى، والعكس، شريطة
أن تكون صادقة.

وصلنا للبوابة ودون اتفاق منا لم نتوقف.
استمرينا في المشي والحديث.
حتى كانت الساعة ووصلتني رسالة واتس أب على جروب
المطاريد بأنه موعد العشاء وبأنهم بانتظاري في القلعة.
عرضت على أديتي أن أصحبه للعشاء لأعرفه على أصدقائي
ولكنه شكرني بأدب لإرتباطه بموعد عشاء مع زوجته.
أخبرني عن متجره ووعدته بزيارته ومن يومها وأنا والكثير
من أصدقائي نشترى حاجياتنا من عنده.
ومن يومها وأنا لم أتوه أبدا.

- سوبر ماركت الهند الجديدة يرحب بطلاب فاسار.
- دفعت الباب وأنا أُلقد المكتوب على اللافتة بهندية مكسرة.
- بوغت هو ورفع رأسه بفرح، وفي قفزة واحدة كان أمامي.
- إن القصيرة
- فتح يديه وهَمَّ باحتضاني. لم تهتز ابتسامتي ولم أرجع للوراء
- أعرف بأن الفتيات المسلمات لا يقمن باحتضان الرجال
- الغرباء.
- مددت يدي واحتضنت يده في سلام طويل، وبهنديتي الركيكة
- قلت
- وحشتني.. يا أديتي.. ووحشني.. دروسنا.
- وأنا أيضا يا صغيرتي القصيرة، افتقدتك كثيرا.
- عدت للإنجليزية
- يا أديتي أنا لست صغيرة ، ثم انا احتفلت بعيد ميلادي ٣٤
- في الأجازة وأنا في مصر.
- هز رأسه يمينا ويسارا في تتابع سريع
- لا صالح لي بهذا كله، أنتِ صغيرتي.
- التفت لنا تاليا وكأنما لاحظ وجودها الآن. اعتذر ومد يده ليسلم
- عليها، فرفعت حاجبها في مكر
- أنا أحتضن الغرباء على فكرة.
- ألقت بنفسها في حضنه. بعدها التفتت نحوي وفرقت سبابتها
- سنحتفل بعيد ميلادك مرة أخرى هنا بالمناسبة.
- فهتف أديتي بحماس
- أنا موافق جدا.

هممت بالإعترض فرفعت ناتاليا يدها أمام وجهي علامة
إنهاء النقاش مثل كل مرة. التفت إلى أديتي فهز رأسه في نفس
اللتابع السريع. تنهدت
- أين الولد سمير حبيب عمته نون ؟

أخبرتني أنها بالأمس فقط كانت تحتفل بعيد ميلادها. أتت ومعها قطعة من جاتوه الشوكولاتة والكريمة وشوكتين، وأصرت أن نتقاسمها معا.

جلسنا على السور الحجري. وجهنا للنيل وظهرنا للشارع. غابت الشمس أوكادت. بدأت أنوار نوادي طلخا في الجهة المقابلة بالتألول. غريبة هي هذه الفتاة. تتكلم فأسمع. تطلب فأنفذ.

حتى أنها طلبت مني أن أكف عن السب ولكني أخبرتها أن هذا مستحيل. السب والشتم هي الوسيلة الوحيدة التي بفضلها لم أفقد عقلي بعد.

أخبرتها أنني وبعد الخامسة عشرة بكام سنة، وأنا في الشارع وللشارع قوانين لا بد وأن تتبع. على رأس تلك القوانين ألا تدع في نفسك شيئا إلا وقلته. إن فرحت اضحك بأعلى صوتك. وإن حزنت املا الدنيا صراخا وعويلا وابك كما لم تبك قبلاً وكأن الشارع ملكك وحدك. وإن غضبت فثر وكسر وسب واشتم.

هناك من تحتم علينا بيئته أن يكتم كل هذا. الضحك بصوت عال غير مقبول. والغضب والعصبية لا يجوزان. والحزن نكد لا محل له من الإعراب. قل لي ما الذي يتبقى لك بعد أن يسلبوك مشاعرك؟

- جوة كل واحد مننا الحلو والوحش، الشارع بيطلع أحلى حاجة قّي، لكن برده بيطلع العرجي الي جوايا.

قلت لها فضحكت. يا الله ضحكتها جميلة هذه البنت. لست أدري السبب بالضبط ولكن يبدو أن كل شيء وأي شيء أقوله يضحكها.

والغريب أن هذا لا يستثيرني، بل يفرحني في الواقع. ودون حساب مني بدأت أثرثر وأثرثر دون توقف.

أنا أصلا من الصعيد الجواني، لا أذكر اسم قرينتنا ، ولكن أخبرتني أمي أنها في أسوان. كان أبي الحاج عبدالكريم يشتغل بالزراعة. كان عنده قيراط أرض ورثها عن جده لأبيه. كان جدي ابنا وحيدا، وأبي أيضا كان ابنا وحيدا. إن كانت أسرتنا تتوارث شيئا فهي الوحدة لابد. استيقظت ستي في صباح يوم من الأيام وحكت عن حلم راودها بأنها تأكل التمر عند الكعبة.

- بلح أسود بيلمع مشفتش زيه يا أبو عبد الكريم. أصبح شغلها الشاغل تحقيق الحلم. ولكن من أين؟ لم يكونا ليملكا حق الذهاب، حتى لوباعا القيراط. ثم كيف يبيعه وهوسند عبد الكريم الوحيد.

تعبت ستي فجأة دون مقدمات. يهتز جسدها ويرتعش ويستحيل ثلجا. يجمع جدي أغطية البيت الفقير ويستدين من جيرانه. ولا تهدأ الإرتعاشة ولا يدفأ الجسد. الحق يقال لم يتوان جدي ولم يتقاعس عن محاولاته لمعرفة ما ألم بستي بالضبط. اصطحبها معه لكثير من الأطباء في الوحدة الصحية بالقصرية، ولكن دون فائدة. أشارت عليه إحدى جاراتهم بأن يصحبها للشيخة صابحة. والشيخة صابحة، لا شيخة ولا يحزنون ولا أحد يعرف لها أهلا ولا بيتا. فقط رأوها في صباح أحد الأيام عند الساقية القبليّة ومن يومها لم تتحرك لا شتاء ولا صيفا. أشارت عليه الشيخة بأن الست لابد وأن تحقق حلمها. وذلك قبل أن ينطق جدي بحرف واحد وقبل حتى أن يشير من قريب أوبعيد لأي حلم ليلتها أحضر جدي ابنه عبد الكريم ذوالعشرة

أعوام ،أو الاثنا عشرة لست متأكدة. وأخبره بأنه مسؤول عن
قيراط الأرض الآن. وبأنه وأمه ذاهبان لأكل التمر عند الكعبة.

- هترجع امتي يابا؟

سأل أبي بهلع فأجابه أبوه وهويربت على كتفه بأنه سوف
يطعم أمه التمر ويعودا فوراً. وعندما تجمعت الدموع في عين
أبي أحاط جدي به يضمه بقوة ووعدته بأنه سيأتي له ببعض من
تمر أمه ، فتكمل هي..

- بلح أسود بيلمع ومشفتش زيه يا عبدالكريم يا ضنايا.

شئ من اثنين: إما أنه لم يكن موسم التمر. وإما أنهما أحبا البلح
الأسود الذي يلمع ولم يريا مثله، فلم يقدرا على تركه والعودة.
فأبي لم ير أبواه بعد تلك الليلة. ولم يذق البلح الأسود الذي يلمع
أبداً. لم يعرف حتى إن كانا قد وصلا للكعبة أم لا.

المهم أن الناس من يومها أخذوا يطلقون عليه هولقب حاج
وكأنهم بهذا يعوضونه عن خسارة فقد أبويه وفقد التمر الذي
وُعد به.

كل هذا أخبرتني به أمي وأكثر. أخبرتني أن جيران أبي لم
يتركوه وقد قاموا بتزويجه ابنتهم التي أصبحت أمي فيما بعد.
لم يخن الجار عهد صاحبه. أخذ ابنه وزوجه طفلة. لم يكن
زواجا بالمعنى المفهوم فقد كانا (عيال) لا يفهمان بعد معنى
الزواج ولكنهما أحبا أحدهما الآخر فليس للحب سن أو قانون
يحكمه.

أن تجد روحاً أخرى وتشعر بأنها من تكملك وتمدك بالأمان
الذي تحتاجه دون النظر لسن أولغة.لربما هذا هو الحب ولربما
هي المودة والرحمة التي تحدث عنها ربنا في قرآنه الكريم.

كان جدي وستي لأمي ينمان على الكنبه الكبيره وينام أبواي على الحصريه تحت أرجلهم. " كنا مستورين" تحكي أُمي. ومثلما أحب جدي ستى. أحب أبى أُمي. تمام، تتوارث أسرتي الحب أيضا، لا الوحدة فحسب.

كان بيتنا في البلده التي لا أذكر اسمها، يبعد عن قيراط أبى قرابة كيلوأواثنين. وكانت تمشيها أُمي كل يوم وليله دون كلل أوتعب لتوصل الغداء لأبى ظهرا ،وتعمل معه حتى المغرب ليعودا معا في العشاء.

يأكلان لقمة ويناما ليعيدا الكرة من جديد. كانا سعداء. شئ واحد كان ينغص عليهما عيشتهما وهوأنه قد مر على زواجهما ثلاث سنوات دون أن يرزقا بأولاد.

تخبرني أُمي بأن هَذه كانت أسوأ ثلاث سنوات في عمرها كله. عمرها الذي لم يتجاوز الأربعين عاما على كل حال،ولكن ماعلينا.

بدأت ستى لأُمي (بالزَن) لَتَّت وعجنت كثيرا والملخص: أن هذه الزيجة شؤم. وإنه خطأهم من البدايه أنهم لم يزوجوا ابنتهم لابن عمها الذي معه "زوربه عيال" - جوَرنَا عيلة لعيل ياختى.

كانت تولول...

كان جدي ينهرها دائما

- ياوليه بلاش هيل دول لسه عيال.

ولكن لا فائده.لم ترتدع إلا بعد أن حلف عليها جدي بالطلاق إن ذكرت هذا الأمر أمامه مرة أخرى ليرميها في النيل للتماسيح. فأصبحت لا تذكره إلا من ورائه.

وقتها أذن جدي لأبي بأن يعود إلى بيته القديم هووأمي لكي
يسلما من لسان امرأته.

- أمي شارت علي أروح للشيخة ياسي عبكريم.
أمي كانت دائما ما تأكل الألف واللام ومعهم الدال ليخرج اسم
أبي هكذا "عبكريم". انتفض أبي غاضبا وأقسم بكل الأيمان
بأنه يستحيل يترك امرأته تذهب لحتفها برجليها. لم ينس أبي
أن تلك الشيغة هي من أشارت على أبيه بترك ولده وأرضه
والرحيل.

بكت أمي كثيرا. وحين تعبت من البكاء، أشارت على أبي بأن
يتزوج.
فحضنها ولم يقل شيئا...

أنهينا قطعة الجاتوه. فركت كفي أخلصها من بقايا الجريمة
البيضاء. لمحت نون تنظر إلى باطن كفي بفضول.
ترغب في سؤالي عن آثار الحروق بالطبع ولكنها غيّرت
رأيها.

ثم عدلت من وضع كم قميصها وأشاحت بوجهها بعيدا. قرار
جيد منها ، ليس هذا وقته ثم أنا لا أضمن نفسي ولا رد فعلي.
أمسكت نون العلبة والشوك لترميها في النيل. أمسكت يدها
بعنف.

اخشوشن صوتي

- انتي هتعملي ايه؟

نظرت لي بخوف فأكملت..

- لورميتي الزبالة دى هنا أنا هرمىكى وراها.

تعثرت الكلمات فوق شفتيها..

- أنا.. أنا اسفة أنا..

هاجمتها..

- انتي ايه بالظبط؟ فاكرة عشان انا عايشة في الشارع أبقي

زبالة؟ ولا فاكرة عشان بلم الزبالة أبقي زبالة؟ انتي الي زبالة

مش أنا.

وتركتها لصدمتها ومشيت ...

المَطَا رِيد

دخلنا واتجهنا مباشرة للمطبخ. وجدنا كازو وماتيلدا هناك، أن لم تصل بعد. صفقت ماتيلدا بيديها بجزل وأنت تفتش في الأكياس عما اشترينا.

- هل أحضرتما أرز السوشي؟ سأل كازو

- أكيد. أجابت ناتاليا وهي تناوله إياه.

سألتهما عن أن ...

- نتحدث مع صديقها وقالت بأن نسبقها.

فابتسمت بإطمئنان. طالما يتحدثان سيكون كل شيء بخير. حتى وإن كانا يتجادلان فهذا جميل أيضا. أن تتجادل مع من تحب، وأن يصل صوت شجاركما للجيران وجيران الجيران، خير من أن تصمتا و تقتلا الحوار بينكما تاركين الدفة للتجاهل ينهش كل ما بينكما ببطء.

اتهمني بالجنون ولكن عندما تكف المرأة عن مجادلتك، ابدأ بالخوف فورا. إذا ما وجدت أن حبيبك توقفت عن معاندتك، وقلّت محاولاتها الطفولية في مقاوحتك ونكشك، قف واضرب نفسك قفا لتفريق، فهذا معناه أن هناك خطب ما. ماذا إن لم تقدر على ضرب نفسك بنفسك؟ سؤال جيد، اسألها هي أن تضربك لتفريق، وكلما سارعت باكتشاف المشكلة كلما حلت الموضوع قبل أن يتفاقم.

الصمت أقوى من كلمات كثيرة، والصمت في حضور من تحب عبادة.

هذا إذا ما كان بين ضلوعك، تحتضنه يديك وتضمه عينيك. لكن أن تكون في واد ومن تحب في واد آخر فهذا ليس تعبدًا وإنما كفرا.

لي صديق تعرفت عليه في إحدى فعاليات الجامعة، علّمني الكثير بهذا الشأن. أقسم لي صديقي بأنه قد قارب على ترك حبيبته لكثرة التيه والتوتر الذي نشأ بينهما فجأة ودون مقدمات. لم يعد يدري ما المشكلة أصلاً! كانا قد تعرفنا على بعضهما في السنة الأخيرة.

كانت تتخصص في علم الحيوان ويدرس هو البرمجة. التقيا في صف لليوجا. كانا في عش الحب ويخططان لكل شيء معا ولمستقبلهما بعد التخرج.

بدأ في اختيار المدينة التي سيسافران إليها بالفعل. كان قد قدم ونجح في الالتحاق بوظيفة متدرب لدى إحدى شركات البرمجة الكبيرة في واشنطن. في حين أنها كانت ترغب بالسفر إلى بوسطن والعمل على دراساتها العليا بالمتحف المائي هناك.

واشنطن وبوسطن، بدأ الأمر مستحيلاً ولكنهما نجحا في الوصول إلى حل. وثبت القرار على أن طلب هونقله إلى فرع الشركة ببوسطن لمدة عام لحين انتهاءها هي من مشروعها. وافقت هي وهو إيماناً بالفكرة التي تحميها وتقيها شرور علاقة بعيدة المدى.

- لا مانع لدي من علاقة طويلة المدى، فأنا أرغب بالإحتفاظ بك طول عمري، ولكن لا أوافق أبداً على أن تجمعنا علاقة بعيدة المدى.

هذا ما كانت تلقيه على مسامعه دوماً. وهما يأكلان الفشار بعد فيلم يوم السبت.

وهما يتمشيان على ضفاف البحيرة. وهما يقطفان التفاح معا ويتذوقان النبيذ في المزرعة.

- أنا عشت عمري للآن وحيداً، ولكن لن أكمله وحيداً أبداً، ليس بعد أن وجدتكَ.

ويأخذها بين ضلوعه في حضن طويل. ودون أية مقدمات قلّ حديثهما، هكذا فجأة، بعد أن كانا يتحادثان طول الوقت، أصبحا لا يتحدثان إلا لمأماً.

حاول كثيراً وحاول وحاول ولكن دون فائدة... قرر أن يعزمها على العشاء ليتحدثا معا للمرة الأخيرة وليخبرها بصدق في أنه لم يعد يستطيع الاستمرار.

كان قدر قرر تركها معتقداً بأنها تتعمد تجاهله وكلما سألها كلما اشتد صمتها. تعب صديقي وقرر بأن ينهي الأمر برمته مؤمناً بأن هذا ماتريده، ووافقت هي...

بهدهوء ثم شكرته على العشاء وخرجت. يخبرني بأن هناك هاتف ما أوصوت داخلي أنبأه بأن يقوم ورائها.

لم يدري لماذا فعل ما فعل. إن كان قد جلس لكان الأمر انتهى بالفعل ولما كان ليراها أبداً وما كانت لتصبح أم ابنه وبنته بعدها بعدة سنوات. وجد نفسه يلحق بها ويناديها

- فقط أخبريني ما المشكلة بالضبط لأفهم ؟

ولما لم تدعن لندائه شدها قسراً ليحدها تبكي بصمت

- أنت لم تعد تتجادل معي مثل ذي قبل.

هذا كل ما قالتة بعدها انفجرت بالبكاء وارتمت بحضنه، هي لم تجرحها كلماته ولا ألمها جداله، ما كان موجعا لها بحق ،ومالم تقدر على تحمله، كان صمته.

يا الله! المرأة هي المرأة، مصرية أوأمريكية أوأمريخية حتى. الفرق أن لوكان هذان الزوجان في مصر لانتهى الأمر قبل أن يبدأ. لأصبحت هي مثالا للمرأة النكدية المصرية الأصلية وهوللرجل الخائن.

والحقيقة في حالات ليست بالقليلة - أن لا هي نكدية ولا هو بصباص، ولكن كلاهما انهزاميان.

تركا الصمت يسيطر على صوت العقل ويبتلعه ليترك لهما فراغا كبيرا وصدى يرد علي ذكرياتهما بالوجع والخيبة.

كازوهو المسؤول عن تجهيز الأرز للسوشي. ذات مرة ألححت على كازو أن يتركني أساعده وبعد الكثير من الزن وافق. - الأرز الياباني الذي نستخدمه للسوشي غير الأرز العادي ، واضح؟

سألني بحزم فهزرت رأسي كتلميذ نجيب! - لذا لن نقوم بتقليبه ولن نرفع الغطاء ولن نزيد المياه عن المقدار الذي حددته لك.

- فهمت طبعا. لن أزيد المياه كي لا يصبح عجينا. هل تظنني حمقاء لهذه الدرجة؟

نظر لي كازو بشك ولم يملك سوى أن يهز كتفيه.

- سأذهب سريعا لتسليم ورقة المشروع وأعود.
وبالفعل لم يكن هناك أي داع لقلق كازو. وضعت المياه التي
حددها ولم أرفع الغطاء ولم أقلب الأرز. في الواقع نسيت
أصلا الأرز على النار وتركت المطبخ كله.
خرجت للحمام، لمحت واحدا يدخله، فانتظرت حتى انتهى
وخرج، وعند عودتي قابلت صديقة لي كانت تحضر صفا
مسائيا، وأخذنا نتحدث حتى سمعنا جرس الإنذار.
- ماهذا؟ يبدو آتيا من المطبخ.
- من الواضح أن أحدهم نسي الموقد.
قلتها براحة تامة وأنا ألوح بيدي، يانهار أسود! أنا من نسي!
كازو سيقنلني، سمعتي ضاعت، سيتم تصنيفي إرهابية ولا
شك.
ضاع مجد العرب...
فلتسامحني يا فتيات لقد خذلتكن وحرقت الأرز.
ليس أرزا عاديا ولا أرز بسمتي حتى وإنما أرزا يابانيا!
- جتك خيبة مش عارفه تعملى شوية رز يا مائلة؟
وبختني ميم عندما حكيت لها في الأجازة.
جريت نحوالمطبخ لأجد كازو هناك بالفعل ممسكا بالحلة
الكهربائية يتصاعد منها الدخان ليغطي نظارته.
اتجهت نحو جرس الإنذار وأطفأته.
أنت ناتاليا وأن وماتيلدا وقبل أن ينطق أيا منهم أشرت بإصبع
مهتز نحو كازو..
- احم .. أنت من طلبت مني عدم فتحه أو الاقتراب منه!.

تمام، يكفي أن أقول أنني الآن مسجلة خطر قسم أرز ياباني.
إن حدث وقرر اليابانيون منحي الجنسية، سيظهر كازو فجأة
ليخبرهم بواقعة الأرز الشهيرة. كازولا يعرف أبيه في هذه
المسائل!.

كان كازو حريصا على أن يترك مسافة آمنة بيني وبين الأرض. لم ينفع الزن بأي حال. على كل هو المسؤول هذه المرة ولكنه كان طيبا فسمح لي أن أقوم بتقطيع الشرائح البحرية وتجهيزها للحشو. ناتاليا تقوم بتجهيز الفرن من أجل شواء الخضار. كنت أنا وماتيلدا على طاولة عالية في ركن قصي، نقوم بتقطيع البطاطس.

- ناتو، هل نقوم بتقشير البطاطس؟
- لا اتركي القشر كي يمنحها القرمشة التي تحبها ماتيلدا. أكدت ماتى ..
- أنا أحب المقرمش.
- لو لم يحب الفرنسيون المقرمش من سيحبه؟ ضحكت ماتيلدا ..
- وماذا يحب المصريين؟
- الأرض المحروقة.
- أجاب كازو دون أن يلتفت. رميته بحبة بطاطس كانت في يدي وضحكنا بهستيرية. طلبت ناتاليا من ماتى أن تترك تقطيع الخضار لي ولتبدأ هي بتحضير بعض شرائح الهامبرجر.
- أم ستحرقينها؟ أعرف بأن الفرنسيون يهونون إشعال الحرائق.
- غمزت ناتاليا.
- عمّ تتكلم؟
- سألت فأجابتنى ماتيلدا وهي تضحك
- تقصد قصر نابليون. ومطت شفيتها
- أنا درسته في صف الفن الكلاسيكي، اه كان بناء رائعا. خسارة.

صفتت بكفيها في جزل ..
- لكن مبنى فاسار الرئيسي مستوحى منه. أذكر أنني قرأت هذا.
- وقصر الشناوي في المنصورة.
نظرت لي بإستفهام!
- سأحكى لك عنه لاحقا. هل أتولى أنا التحمير والقلي؟
- أنتي أيضا ممنوعة من استخدام البوتجاز، نسيتي؟
أخرجت ماتيلدا لسانها تغيظني
- أووف الحق علي، سأسكت أفضل لي.
- على سيرة الحرائق..
إلتفتنا نحو ناتاليا التي أكملت..
- هل تعرفون أن المبنى الرئيسي قد تعرض لحريق كبير
زمان؟

تمام، أنا وفريقي الدولي عنصريون ونفتخر. أيقننا أننا أصبحنا
عائلة لا مجرد أصدقاء عندما أصبحنا نتبادل النكات العنصرية
وننتهكم على نفسنا بنفسنا. توقف كازو عن لف السوشي فجأة
حينما أنته رنة وصول إيميل. سألت ناتاليا بغيظ:
- هل هناك شيئا آخر في حياتك بإستثناء العمل؟
- يا ناتاليا كازو ياباني لولم يقم من الفجر للعمل سيحترق يا
ماما.
- ماذا عنك يا إن؟
- ماذا يعمل العرب تحديدا؟
سألني كازودون أن يرفع رأسه عن الهاتف.
- لقد حصلنا على منحة تفرغ للإرهاب.
- تأخذون الجمعة والسبت للتجهيز؟

- فعلاً! وباقي الأسبوع للتنفيذ.
ضحكنا. انفتح الباب فجأة فتوقفنا في ترقب لنجدها أن رفعت
ناتاليا يدها وشدت جسمها
- هايل هتلا!
وتقطعت أنفاسنا من الضحك.

هناك stereotype أوسيناريو، صورة بذاتها يحتفظ بها
عقلك لما قد يكون عليه طباع وميزات كل شعب. لكن هناك
دائماً من سيشذ عن القاعدة سواء بالإيجاب أو السلب. مثلاً،
الأمريكان يعرف عنهم الشيء وضده.
شوارع نيويورك أقرب مثال على ذلك. شوارع المدينة
المزدحمة التي لا تنام. إن جربت وتابعت وجوه الناس في
الصباح وقت ذهابهم إلى العمل. ستجد طوفانا من البشر
يمشون في صفوف طويلة دون أن تختل ودون أن تتوقف
لحظة لإلقاء تحية أو تبادل نكات وأخبار.
في الواقع يقوم الناس بترك حارة خالية على الرصيف لمن
يتجول من السياح. بالطبع لم نكن نفهم وكنا نتخبط وسطهم.
كنا نقف فجأة لنشير لتمثال أونبدي إعجابنا بمبنى لنفاجأ بأننا
ارتطمنا بشخص ما فنعتذر ويمشي الشخص دون أن يقبل
أويرفض الاعتذار فننتأف نحن ونبدي شفقتنا على
النيويوركيز الذين ابتلعهم دوامة العولمة فقضت على
إنسانيتهم.

هراء يا صديقي، دعني أقولها لك بصدق. نحن من لا نرى
جيداً فإذا ما دققت في هذه الروبوتات التي تمشي ستجدها
تبتسم لك ودون أن تتوقف أو تؤخر طابور الناس حولها.

ابتسامة لا تتعدى اللحظة تلتقطها عيناك وتعتادها حين تختلط بهم أكثر أو حين تنضج كفاية، وتسمح لنفسك برؤيتها. أيضا من الطرائف التي خالفت سيناريوهاتى، أن الأمريكان بارعين في انتقاء ملابسهم. بالرغم من أنهم يملكون أشهر بيوت الأزياء ويتبنون أسبوع الموضة في نيويورك وغيرها، لكنهم في الحقيقة لا يهتمون بملبسهم. بروفيسور اللغويات أتى إلى الصف أكثر من مرة مرتديا لوحة من الألوان المتداخلة. بنطلونا بنيا مخططا على قميصا أزرقا كاروه ، مصحوبا بقبعة أبيض في أسود. ومرة حينما ارتدى قميصا أبيض وبنطلونا أسود ووجدت نفسي غير قادرة على النظر إليه. عيني كانت تؤلمني ووجدته باهتا بعد أن اعتدت رؤيته في ألوان غريبة وغير متناسقة.

أما الألمان فمعروفون بالصرامة والحزم. ثم أتت أن من مدينة هامبرج. أو مدينة الهامبرجر كلما أحببت أن تغيظنا بأنا ندين لهامبرج بفضل اكتشاف الهامبرجر. فلو لم يذهب الرحالة النيويوركز إلى ميناء هامبرج ثاني أكبر مدينة ألمانية، في مطلع القرن التاسع عشر لما تم تقديم (شريحة هامبرج) من اللحم المفروم ذات التوابل المميزة والشهية لهم. وبالتالي ما كانوا ليسموها هامبرجر، وما كنا نحن لنجد ما نأكله اليوم. لذا فالعالم كله مدين لألمانيا بالشكر على واحدة من أشهى المأكولات التي حمته من أن يموت دون تذوق تلك المعجزة. تقول وتخرج لسانها لنا وتختتم إغاضتها لنا بضحكة تتخطى حدود هامبرج نفسها.

ضحكتها التي تستمر حتى في أحلامها، وبهذا قد نسفت فكرتي هذه تماما.

عموما لسنا الوحيدين الذين نقع فرائس لنظريات اخترعناها أو استقيناها من مصادر غير موثوقة. يقع بعض الأمريكان أيضا فريسة لما تبثه لهم نشرات الأخبار أو بعض الأفلام مجهولة المصدر والتي تبين أن العرب عموما والمسلمون خاصة يتناولون القنابل على غير ريق ويدربون صغارهم على قتل الأجانب والسياح قبل أن يحكون لهم حدوتة ما قبل النوم. عندما كنت أفكر بأن هذه ستكون صورتني وسطهم بالخارج كنت أتقلب في سريري كالمجنونة. كيف أمحو هذه الصورة؟ هل أقول بأن العرب مشهورون بالشيشة وفقط؟ آاه تعبت ورميت بسيناريوهات من أقرب شباك.

" كلما اقتربت منها ابتعدت"...

ميم- منصوره عبدالكريم...

هذا الكيان الغامض الذي يحمل الشئ ونقيضه. أخيرا بدأت في كشف أوراقها. أخذت تحكي وتتحدث دون توقف. أخبرتني عن أهلها وعن منشأها. عندما بدأت الحديث لم أكن أعتقد أنها ستنتهي بهذا الشكل.

لست أدري ما الذي يشدني نحو ميم هذه؟ هل الجواب أوضح من أن أراه؟ هل أرى فيها نفسي؟ هل منصوره عبد الكريم هي مستقبل نجوى سليمان أم ماضيها؟ إن كان مستقبلا فهو أسود بالتأكيد.

أم تراني أرى فيها تطبيقا حيا لفكرة الماجستير التي سيطرت على تفكيري لسنوات؟ الهجين. الأرواح المهجنة التي تعيش بيننا دون أن نراها أو نشعر بها.

الهجين الذي تناوله بحثي كان هجينا نفسيا وثقافيا. هجين يتسلل بخفة تحت جلدك دون أن تشعر.

أصل الحكاية تبدأ مع هجينين من جنسية مختلفة، ثقافة مختلفة، لغة مختلفة، وفكر مختلف.

إلتقيا وارتبطا واندمجا واتفقا واختلفا وذلك عبر سلسلة متشابكة من النمطية المنظمة، أو النظام العشوائي، وأخرجنا للوجود هجينا آخر وآخر وأخرفي سلسلة لا تنتهي.

نار وتلج. شمال وجنوب. نهار وليل. هل لك ان تتخيل حياة مثل هذه؟ أن يكون عقلك شرقيا لكن قلبك غربي؟ الكل يمشي

من اليمين ووحده من اليسار أو العكس. قد يراه البعض الكمال في حد ذاته. وقد يراه البعض الآخر التشوه في أبشع صورهِ. ليس عليك أن تسافر وتعبر بحارا كي تختبر كل هذه المعكوسات. قد تكون موجودة وقابعة داخل خلاياك تنتظر الزناد الذي يحركها ويستحثها فحسب.

"وكلما ابتعدت عنها عدت." اه يا ميم من أنت بالضبط؟ هل أنت التي تعيشين بالشارع أم أن الشارع هو من يعيش بك؟ أنا الزبال وأنت صاحبة النظافة هذا ما أثبتنيه لي بالفعل. ولكن هل أنت الفتاة الرقيقة التي تطلب مني أن "أسد وداني" كي لا أسمع سباتها؟ أم الوحش العنيف الذي لا يتردد عن إغراقي إذا ما أخطأت؟ هل أنت أصلا امرأة متخفية في ملابس رجل أم رجلا محبوسا في جسد امرأة؟ لم أعد أفهم.

أرسلت رسالة واتس أب لمها أطلب فيها أن نتقابل.
أرغب بالحديث معها بعد الواقعة (المنبئة) التي قامت بها وفاء.
مها هي الأقرب لي منذ كنا في الجامعة. هي وشيماء العزيزة.
كنا نحن الثلاثة معا دوما. نتخيل مستقبلنا ، بشكل مختلف عما
آل إليه بالطبع.

مها ستتعين بالجامعة، أنا لازلت تائهة أبحث، وشيماء
ستتزوج.

كنا نغيظ وفاء دوما، ونخبرها بأن شيماء ستسبقها وتتزوج.
كانت في عش الحب، هي وعلي رحيم. لازلت أذكره جيدا.
كان شابا عاديا. مقبول لا يميزه شئ. ولكنه بالنسبة لشيماء كان
ممتازا مع مرتبة الشرف.

هووف... الغباء والرعب وجهان مشوهان لعملية الحب
الصدأ.

تعرفت عليه بالسنة الأولى وارتبطت به طوال سنوات
الجامعة. أسطورة حب الجامعة الطريفة والمثيرة للغثيان. كل
ما كنت أحفظه غايبا هو أن شيماء لا ترى حياتها بدونها.
وتغير كل شئ بالطبع. هو تخرج وتزوج بأخرى وهي بأخر
وانقطعت أخبارها...

وتاهت شيماء.

لمَ تصر الحياة على قلب كل توقعاتنا وخططنا ورميها بأقرب
حاوية؟

ماذا فعلنا لها كي تعاملنا بكل هذا السخط؟

هل وجودنا وحده كاف لإثارة غضبها؟

ثم إن كانت تنوي تنفيذ لا شئ من أحلامنا، لمَ إذن تتركنا لنحلم
بها من الأساس؟ شئ عجيب!!

قطعت أفكاري وصول رنة تفيد رد مها بالموافقة. سأقابلها في كافيته في منطقة المشاية بعد العصر. تمام سأنزل من بيتي في قرابة الثالثة.

أعيش وحدي في بيت عمتي بإحدى قرى المنصورة. عشت مع عمتي بعد موت أبي وأمي. لي أخ وأخت أكبر مني. يعيش أخي حسام في بيتنا القديم بحي الجامعة. وتزوجت أختي سلوى وسكنت في شقة عند ستاد المنصورة.

كنت أعيش مع أخي في بيتنا القديم حتى تزوج. بعد موت أبوي كثر الشجار والنقار فتدخلت عمتي الأرملة واصطحبتني للعيش معها.

أصلا كثيرا ما كنت أبيت معها ، بمشاكل وبغير مشاكل لذا رحبت بالفكرة ولم يمانع أخي. قضيت سنوات دراستي بالكلية مع عمتي. في الحقيقة لست أتخيل حياتي كيف كانت لتكون لولا تدخلها.

كانت حنونة. لم ينعم الله عليها بالأولاد، لذا كانت تعاملني كابنتها حتى قبل أن يموت أبوي.

كان معاش زوج عمتي بالكاد يكفي دوائها. فقررت أن أعطي دروسا خصوصية. وحتى بعدما نلت درجة الماجستير لم أتقاعس بل ازددت همة، وبفضل الله تحول البيت إلى محل. كانت عمتي دائما تدعو لي بإنصلاح الحال ورزق حلال وراحة البال.

وبالفعل رزقني الله برزق حلال وبراحة البال وأنا معها. ولكن كانت عمتي تريد أن تمتد راحة البال لعريس ابن حلال. - نفسي أفرح ببيكي وأشوفك بالفستان.

ورحلت عمتي قبل أن تراني بالفستان. أعتقد أنني خيبت أملها في هذا الشأن ولكن ما بيدي حيلة. كنت دائماً ما أضاحكها - أنزل أعمل إعلان في مجلة الكلية يا عمتي؟

فتضحك بتحسر

- لا يابنتي كله بأمر الله، أنا بس مش عايزة اسيبك لوحديك لوجرالي حاجة.

- ربنا يديكي طولة العمر يا ستي محدش عارف مين هيموت قبل مين.

ماتت عمتي قبلي. ومات أبي وأمي أيضاً قبلي. لم أختَر هذا ولم أنتظره. يبدو أن هذا مصير كل من أحبهم. عموماً لم يموتوا وحدهم فأنا أيضاً مت. ربما أنا أفضل حالا وحدي.

هناك دراسة في أمريكا، أو عليها طرفة، المهم أنها تفيد بأن الفتاة إذا ما جاوزت الثلاثة وعشرين عاماً سيكون من الأسهل توقع أن تموت على يد هجمة إرهابية، على أن تتزوج.

هذا رائع يا نجوى أنتِ تنطبق عليكِ الدراسة جداً. وها أنا أفوز في مسابقة دون أي محاولة مني. ولم أخيب ظني بنفسي. رفضت كل عريس تقدم لي. أنا لست أطلب المستحيل كما يقول أخوأي، ولست (أتنطط) على خلق الله ولا أتدلع كما تزعم وفاء، مع أنني لست أرى مانعاً من الدلع والتأني في الاختيار.

باستثناء أن مجتمعنا هو من سلبني هذا الحق. ثم كيف تواتيني الجراً لتدلع وقد جاوزت العشرين دون عريس؟ الأفضل أن أرجم نفسي بنفسي. تمام يا مجتمع أنا أخرج لساني لك الآن.

في بالي صفات معينة لست أجدها في أي ممن حاولوا التقرب مني. صفات عادية جدا في الواقع، ولذا فأنا أكاد أجن من عدم توافرها للآن. صفات تتلخص في صفة واحدة وهي أن يكون من يرتبط بي (رجلاً). رأيتم؟ ليس الأمر بهذا السوء. بلى إنه بهذا السوء.

لو كان نجيب محفوظ حيا لعلم بالأدلة القاطعة بأن آفة حارتنا انعدام رجالها لا نسيانهم فحسب. نسي رجالنا كيف يكونوا رجلاً. كل يوم كانوا ينامون ويقولون غدا سنصبح رجلاً. مثل يأجوج ومأجوج، أنساهم الله أن يقولوا إن شاء الله. لذا نام الرجال ليصبحوا ذكورا، صورا ممسوخة ومشوهة لأشباه وأنصاف رجال.

الطريف في الموضوع أن من ربّى هذا الجيل المشوه، امرأة. لذا أنا الملوثة في النهاية. هاه انقلبت الطرفة علي.

لم يأت لبابي من يملك رغبة صادقة. لكن من أتى كان يحب شكلي الكيوت. أويحب أن يغير ما لا يعجبه. أو يطمع ببיתי. أو يحب أنني أعمل، أو يحب أنني وحيدة لا أب ولا أم ولا عمة. أظرفهم كان عاطلا عن العمل ويرغب في أن أترك عملي كذلك. وعندما سألته عن السبب قال مندهشا من حماقة سؤالي

- مش لما أبقى ألاقي شغل أنا الاول تبقى هي تشتغل؟

اممم وجهة نظر؟ ولكني لا أوافق. حلف خالي يمين طلاق بأن لا يأتي لي بعريس بعدها. صدق خالي في حلفانه. لم يأتي لي بعمرسان ثاني ولا ثالث. لم يأتي أصلا. لا في عيد ولا غيره. ليس مهما. هووف اختنقت.

لماذا نذهب لدكتور نفساني وأمامنا الفيس بوك كله لحضور جلسات علاج جماعي؟ فتحت اللاب توب وكتبت بوستا طويلا على صفحتي:

في عمر كل فتاة فترة زمنية تقع من لحسابان ومن الذاكرة. في البدء توجد الطفلة ،يليه المراهقة والشابة. غالبا ما تكون لدى هذه الشابة أفكار وطموحات ورغبات عدة، ثم ارتباط وزواج. يلي تلك الفترة ثوبا أسودا كبيرا يبتلع بداخله كل شيء. لتظهر تلك الشابة من بعده، امرأة غريبة بأفكار أغرب. حسنا سؤالي دون إطالة: ايه الي حصل للبننت في الفترة الزمنية دي؟ وقعت على دماغها؟ شربت كُلة؟ ولا جوزها سقاها حاجة أصفرة عشان تتغير هي وتطلع لنا جيل مايعلم بيه إلا ربنا ؟ -

" سمايلي فيس يضحك وآخر يفكر - نشر -

تم".!

كان عندي مجموعة حصص. أنهيتها وبدأت أستعد للخروج. شنطة كبيرة مكوّمة تحت السرير فأنا لم أعد أضع ملابسني في الدولاب منذ زمن. صيفي أم شتوي، خريفي أو ربيعي لا يهم فكله مثل بعضه.

هكذا أسهل صح؟ للأسف أصبحت أضيع وقتا كثيرا في إنتقاء ملابسني. لا أذكر أنني كنت هكذا قبلا. كنت ألبس أي شئ أشعر بالراحة فيه وأخرج. على ألا يستغرق كل هذا خمس دقائق. أذكر أنني كنت أسرع من أخي في ارتداء ملابسني. أما الآن فقد تغير كل شئ.

تقيدني نظرات الناس. أشعر بعيونهم تلاحقني في كل مكان. عيونهم تحرق ظهري. لا أستطيع التنفس. أختار وأقف أمام المرأة. لا هذا ضيق. هذا شفاف. أعتقد بأن هذا اللون سيجذب الأنظار إلي. حقا أنا لا أدري ما الذي يحدث لي!

أصبحت أرغب بلبس طاقية الإخفاء. أفكر أحيانا أخرى بالتنكر في ملابس ولد. اه ولهذا وقعت أسيرة في فلك منصور. ترى هل سأقابلها اليوم؟ أم أنني لازلت خائفة منها؟ فلأترك الموضوع لوقته. اه هي طاقية الإخفاء، الحل يكمن بها، لعلي أسير دون أن أشعر وكأنني أحترق تحت الميكروسكوب. بعد نصف ساعة كنت على السلم. سارعت الخطى حتى وصلت للموقف وركبت.

مَوْسَمُ الهِجْرَةِ إِلَى أَيْنَ؟!

أول أسبوع في فبراير. عاد الجميع. امتلأ الحرم الجامعي بالراكضين في كل مكان. تفرقت الضحكات والبسمات هنا وهناك. عادت فاسار إلى الحياة. وتلون الثلج بألوان مبهجة من الأحمر والأخضر والأزرق والأسود.

عشرات من الطلاب يتحركون في حماسة. يحمل البعض المظلات لتفادي هطول الثلج. فيما قرر الباقيين مثلي الخروج دونها للتمتع برقائق الفشار الأبيض التي لا تكف عن النزول. اليوم الاثنين بداية الأسبوع. السابعة والنصف صباحا تناولت الإفطار أنا وكازوأما الباقيين فكانوا مشغولون بصفوفهم الصباحية. عندي صفان أنهيت أولهما - الدراسات الأمريكية والممتد من الترم الأول- من ربع ساعة تقريبا. والثاني بعد نصف ساعة من الآن في قاعة الدراسة بمتحف الجامعة.

عدت للسكن سريعا أصلي الظهر وأترك بعض الأوراق وأتي بأخرى. خرجت من الباب الأمامي ومشيت باتجاه المتحف. يقع المتحف بعد خطوات من البوابة الشمالية، في المنتصف بينها وبين المبنى الرئيسي. لا زال هناك نصف ساعة، لذا بإمكانني المرور بالكانتين وشراء مشروبا ساخنا. لا يكف الثلج عن التساقط. أبدوكليلي لكن بدون ذئب بالباطوا الأحمر الطويل. شنطة الظهر الخفيفة أضع بها اللاب والكتب كي لا تبتل. أما أنا فلا أمانع أبدا أن تداعبني ندف الثلج.

أحب أن أشعر برقائق الثلج وهي تضرب وجهي برفق وتذوب عليه. تشعرنني بأني حية. أحكمت من وضع الشنطة على ظهري. وانتقيت خطواتي بعناية، تكفيني وقعة واحدة.

رفعت رأسي أرقب السماء، مغيمة ولا أثر للشمس. إنه يوم رائع، هذا طقسي المفضل ولاشك. آه لا أستطيع التخيل أنني في فبراير الماضي كنت لا أزال في مصر. لم تكن نتيجة المنحة قد ظهرت بعد. وفي الحقيقة لم أكن واثقة من نجاحي. وعلى مدار سنة ونصف تقريبا اجتزت الكثير من الامتحانات والمقابلات. يبدوا الأمر سهلا عند تلخيصه في تلك السطور. وحدي أعلم بما مررت به كي آتي هنا، لأخطو بهدوء وتؤدة وكأني أملك المكان بمن فيه.

توقفت أمام المبنى الرئيسي. الدور الأرضي يحتوي على بعض المكاتب الإدارية بالإضافة إلى الكانتين الفرعي الذي يظل مفتوحا طوال فترة الأجازات. سأمر على صندوق البريد. كنت قد قَدِّمت في بعض برامج الماجستير والدكتوراة في لندن وأمريكا وأنا بانتظار الرد. منطقة البريد تحتل الجانب الأيمن. أربعة جدران كبيرة مقسمة لصناديق معدنية صغيرة. صندوقي في الجدار الثاني، الصف الثالث من الأسفل رقم ٥١٧. أدت المفتاح. وجدت بعض المنشورات الدعائية. مددت يدي أكثر عليّ أجد ورقة هنا أو هناك.

لا شيء. زفرت بتوتر حاولت دفنه سريعا، ودفعت باب الصندوق بيدي لأقفله.

اتجهت ناحية بار المشروبات. تسري الشائعات بأنه حين كانت (جين فوندا) تدرس هنا حدث وقد تأخرت يوما على موعد الشاي فذهبت دون أن ترتدي القفازات وعقد اللؤلؤ كما كان متبعا وقتها فطلبت منها المشرفة بأن تخرج وألا تعود بدونهما. بعدها بدقائق اقتحمت جين المبنى وهي تقود دراجة نارية ، مرتدية القفازات والعقد ولا شئ سواهما.

كحبوب القهوة نحن. نولد بأرواح ملونة وهشة لا رائحة لها ولا طعم. ثم نتحمّص في فرن الحياة فنخرج وقد صار لوننا داكنا. الآن تصير لأرواحنا عبقا يستثير الحياة ويستفزها لدفعنا في ماكينة قهوتها فتطحن بذورنا وتعركها بتجارب ومواقف لم نعهدها قبلا. وقد نصاب ببعض الحروق ولكن تلك المرارة فقط هي التي تمنحنا طاقة الإستمرارية لنواجه ونعاند فيبقى مذاقنا قويا ولاذعا. يتركز في سقف حلق الحياة التي تتوقف عن إبتلاعنا في آخر لحظة ويظل أثر طعمه باقيا فيها. مرارتنا في حلقها ورائحتنا النفاذة التي اقتحمت رئتيها أجبرتها ألا تستغني عنا فأصبحت تسأل عنا كل صباح. لا هي تبدأ يومها من غيرنا ولا نحن ننجو ونحيا إلا وقد طحنت بذورنا مجددا.

الطابور طويل في فترة الظهيرة. بالطبع يرغب الجميع في مشروب دافئ في هذا الصقيع. مددت عنقي لأرى من الموجود في الخدمة الآن. أه إنه جورج الأفريقي الأسمر ذوالشعر المجعد والعيون العسلية الناعمة. أتى جورج في الخريف الماضي، وقت وصولي أنا تقريبا.. وقع نظره علي فلوحت له وابتسمت.

-إن! مرحبا، كيف يومك؟
إلتفت لأجد ستر ايدر ورائي.
- ستر ايدر أهلا أنا بخير. وأنت؟ هل أنت مشغول الآن؟
- لا كنت في صف الأسبانية وسأذهب إلى القلعة لتناول الغداء
مع بعض الزملاء. هل ترغبين بالقدوم؟
- للأسف لن أستطيع، عندي محاضرة.
هز كتفيه
- لاحقا إذن.
- باي!
مشى خطوتين وتوقف
- صحيح تذكرت، لا تنسي موعد تسليم المقال الأسبوعي
اليوم. معك حتى الساعة الرابعة.
يا خبر لقد نسيت الموضوع تماماً. افتعلت ابتسامة. لوح بيده
ومشى.

أعمل بدوام جزئي في فيزا. في البدء تطوعت للعمل كي
أتعرف على بقية الناس هنا. وأيضا لكسب بعض المال. بعدها
توطدت علاقاتي وكونت صداقات كثيرة. بالرغم من أنني أشعر
بالضغط خصوصا أثناء فترة الإمتحانات وتسليم الأبحاث
والأوراق والمشروعات المختلفة إلا أن وجودي وعملي هنا
يساعدني على تخطي الكثير من التوتر.
||| الخ المقال، كيف نسيت! حسناً لا غداء لي اليوم.
- كيف حالك يا عزيزتي، المشروب نفسه؟
أومأت مبتسمة.

أنا لا أميل إلى التغيير. أحب الجلوس في المكان نفسه. وشرب المشروب نفسه. وأكل الطعام نفسه. ومصاحبة الناس أنفسهم. أطلب الفرابتشينو الساخن بنكهة اليقطين. وأشربه ساخناً منذ أغسطس الماضي. تفقدت الثلاجة أمامي بحثاً عن شيء سريع سيكون غدائي اليوم. كلب سندوتش ياترى أم سوشي؟ هممم حولت نظري نحو الكيك الطازج.

- جورج من فضلك أن تزيد قطعة كيك رد فلفت.

أوماً بالموافقة. جهز الفرابتشينو ووضع الكيك في كيس ورقي ناولت جورج بطاقتي. تركته ليتمم هو عملية الدفع. ومشيت ناحية الركن الأيمن للبار كي أضع ملعقة سكر واحدة وأحيط الكوب الساخن بدعامة ورقية. بحثت بعيني عن السدادة الخضراء التي أقفل بها فم الكوب. نسيت مرة ومشيت دونها فوق نصف الكوب علي. حملت الشنطة عن ظهري، فتحتها لأضع بها الكيك. أخذت البطاقة واتجهت ناحية البوابة دفعتها بكتفي وخرجت.

متحف الفن في فاسار يعتبر واحدا من أقدم المراكز الفنية في الولايات المتحدة بأكملها. ويضم باقة متميزة من اللوحات الفنية.

ما يقرب من ١٩ ألف لوحة ومنحوتة وجدارية وصورة. من أول مصر القديمة وحتى أمريكا الحديثة. يمتاز المتحف بامتلاكه لأشهر اللوحات والصور والمنحوتات الأوروبية والأمريكية الأصلية في القرن التاسع عشر والعشرين.

وبالإضافة للصالة الرئيسية للمتحف والتي يتم بها عرض اللوحات المرسومة والمصورة، يوجد أيضا حديقة كبيرة تضم أشهر المنحوتات والتماثيل. كما يضم المتحف معرضا للمشروعات الفنية الخاصة بطلاب الفن وخريجي فاسار.

يتألف المتحف من دورين. المعرض والحديقة بالدور الأرضي، وحجرة العرض والدراسة وبعض المكاتب بالدور الثاني.

الإشاعة تقول بأن المتحف يملك قبوا تحت الأرض. ويضم هذا القبو السري مجموعة من المومياوات المصرية القديمة. أخبرني صديقي الذي يتخصص في التاريخ الفرعوني القديم بأنه قديما كانت المومياوات معروضة للجميع، وكان يأتيها الزائرين من جميع أنحاء الدولة.

ولكن بعد حريق المبنى الرئيسي تم نقلها والإحتفاظ بها سرا في قبوتحت المتحف. وذلك لإعتقادهم بأن المومياوات المصرية هي من تسببت بالحريق. اه لعنة الفراعنة تطاردني هنا أيضا. وكلما أخبرت أحدا في فاسار بأنني من مصر ارتفع حاجبيه في دهشة وتوقير وحنين.

أصلاً متحف المت (Metropolitan (MET في نيويورك،
يعج بالكثير والكثير من التحف المصرية القديمة. قسم خاص
بالمصريات بعيداً عن القسم العربي والشرق أوسطي. أجل
نحن مصريون ولسنا عرباً هذا ما اكتشفته في أمريكا.
هناك نمودجا مصغراً لأحد المعابد الموجودة في أسوان.
وأقول معبداً مصغراً لأنهم يعرضون المعبد كاملاً كما هوحتي
لقد أتوا بالبركة الصناعية الموجودة على مدخل المعبد. بركة
الحظ. تقوم برمي العملات فيها وتمني أمنية. لن أخبركم
بالأمنية التي تمنيتها كي أضمن أن تتحقق.

وصلت قبل الموعد بعشر دقائق. أحب أن أصل قبل مواعيدي.
لا أحد هنا بعد، هذا جيد.

الحجرة طويلة وجدرانها من الخشب. ثلاث جداريات مملوءة بالكتب. والجدار الرابع به نافذتان مستطيلتان. الستائر موجودة إذا ما أحببنا أن نظلم الغرفة لعرض فيلم على الشاشة الكبيرة التي تحتل الجدار المقابل للباب والمحاطة أيضا بالكتب من الخارج.

تصميم رائع تبدو الشاشة وكأن الكتب ابتلعتها. تمتد ثلاث طاولات كبيرة تفصل الحجرة وتقسمها لقسمين. اخترت الجلوس في الطرف المقابل للنافذة كي أطل على من بالأسفل. وضعت الشنطة على الكرسي واتجهت نحو النافذة، أخذ رشقات من الفرابتشينو وأطل على النقاط الصغيرة التي تبعثرت على أرض الحرم هنا وهناك.

اخترت صف الأدب هذا لأن القراءات التي قررها البروفيسور أعجبتني. بإمكانك أن تتصفح الصفوف التي ترغب بالالتحاق بها على موقع الجامعة. "اسأل بانر" موقع فرعي يتيح لك معرفة موعد الصف ومدرسه والطلاب الذين تم قبولهم فعلا وإذا ما كان الصف مفتوحا أم أقفل واكتمل العدد. وبضغطة زر، (كليك) واحدة يتم تسجيلك بالصف. شكرا يا بانر.
هناك نظام بيانات يربط الجامعة بصفوفها. كل صف به أسماء مرتاديه واسم الأستاذ به وعليه يقوم الأستاذ برفع الأوراق التي يطلب منا قراءتها وعليه أيضا قد نقوم برفع بعض أوراقنا لمشاركتها مع الزملاء بالتنسيق مع الأستاذ بالطبع.

مرة وبعد تخرجي بكام سنة شعرت بحنين مفاجئ إلى المحاضرات و(السكاشن) ففكرت في التقدم لدبلومة أوشئ مثل هذا. وليتني ما فكرت. كان يوما مغبرا.

نزلت للجامعة واتجهت نحو شؤون الدراسات العليا. وهناك وجدتها، يسيح المكياج من وجهها وتنفخ مرة وتشيح بالورق من الشباك-دوما من الشباك- لتصرخ

- ورقك ناقص يا أبله!

فتتلعثم (الأبله) ذات الحظ العاثر وهي تدعوبأن تبتلعها الأرض للتخلص من ذنبها. أردت بأن أمسكها من شعرها لأسئله كيف يا مفعوسة تثيري مزاج المدام بورقك الناقص؟! همست لزميلتي الواقعة بجانبني:

- اسمها ايه؟

- مدام صفاء.

طبعاً! لا بد وأن تكون مدام صفاء، من ستكون غير ذلك؟
- متزعلش نفسك يا مدام صفاء احنا عالم ناقصة أساسا أننا فكرنا نقدم على الدبلومة دي.

عموما إن لم تجد صفاء ستجد إبتهاال أو إعتمااد أو وفاء. فقط إن كان حظك جميلا ستجد أستاذ طارق. لا يا صديقي لا تتقائل لهذه الدرجة ،أستاذ طارق سينفخ ويصرخ أيضا، لكن على الأقل لن تسيح المسكارا والكحل من عينيه ليتحول إلى عجينة رومبي.

ثم لماذا الشباك هاه؟ بجد لماذا؟ طبعا لم أفعل شيئا يذكر في اليوم الأول، فقط تعرفت بـ مدام صفاء وأمنت مداخل ومخارج المكان وأخرجت شريطا أقيس به طول وعرض الشباك لأنني أوقن بأنني سأتعلق به غدا من أجل تقديم الورق المطلوب.

في اليوم التالي رحت لتسليم الورق. في الثالث رحت لتسليم الورق. في الرابع والخامس والسابع أيضا رحت لتسليم الورق. في اليوم العاشر من الأسبوع الثاني وبعد الكثير من (الشعلة) رحت عني مدام صفاء وأعطتني إذنا بالدفع. في اليوم الأول بعد الإذن رحت للدفع عند الخزنة. وفي اليوم الثاني وال...وأخيرا دفعت. ثم لم أكمل الدبلومة وأجلتها للسنة التالية حتى أرتاح من مشاوير التقديم. لا أخفيكم سرا أنني ومن حين لآخر لازلت أذهب وحدي للتمسح في الشباك والتشعلق به.

اه رائع بانر هذا. واحد (لُفطة) مثله لابد وأن يكون مرتبطا. فكرت في أن أسأله إذا ما كنت سأشيب بعد الخامسة والثلاثين أم قبلها؟ ولكن عدلت عن الفكرة في اللحظة الأخيرة. اكتفيت بقراءة ملخص الصف والفكرة العامة التي سنتناولها. أيضا قائمة الكتب رائعة بحق. سنبدأ اليوم بمناقشة موسم الهجرة إلى الشمال.

ما علمته بعد ذلك أن رواية الطيب صالح هذه تدرس في كثير من الجامعات في أمريكا. وتعد مثالا قويا ورائعا لأدب المستعمرات. أعدت قراءة الرواية في اليومين السابقين وشعرت بأني أقرأها لأول مرة. أنا أنظر لها بعين مختلفة الآن. أراها بعين قلبي. أنا مصطفى سعيد. أنا المغترب الذي ترك بلده وهاجر إلى الشمال. أم أني هاجرت قبلها بكثير داخل ثنايا نفسي يا ترى؟

تعتمد الصفوف في فاسار على مجموعات النقاش لا التلقي من البروفيسور فحسب. نتحلق في دائرة واسعة. ونتحدث ونتناقش فيما قرأناه ونتفق ونختلف مع الأستاذة نفسها. وأنا أعني أنهم هم من كانوا يتحدثون ويتناقشون. أما أنا (أميريكانا) جديدة تضاف لفصل من فصول شيماماندا أديتشيه. أكتفي ب (التبريق) وفتح فمي عن آخره وسؤال واحد يلح علي.. - ايه الجنان الي بيحصل حواليا ده؟

حاز صف الدراسات الأمريكية على الجانب الأكبر من الصدام الثقافي. في الجلسة الافتتاحية لأي صف يقطع الأستاذ وقتا لسرد قوانين الصف وللتعارف.

كانت الأستاذة مولي بريدجستون ذات وجه هادئ. عيونها الداكنة تلمع في ذكاء. عندما تتحدث تسمعك بكل حواسها وتومئ برأسها لك مشجعة ومطمئنة في الوقت نفسه. وتربت يدها في حنان على بطنها المرتفع أمامها حاملا لطفل أو طفلة في الشهر السابع تقريبا.

القوانين العامة لكل صف يعلمها طلاب فاسار جيدا: أنت حر ما لم تضر. ولأنني كنت مستجدة فقد كنت أندesh لأبسط الأمور. تلك الفتاة كانت تخرج إصبع الموز لتقشره وتغمسه في زبدة الفول السوداني ثم تأكله في هدوء. الأخرى تستعمل مرطب شفاهها. تلك تنني رجلها تحتها وتلك تجلس القرفصاء.

يُعرف الجالسون عن أنفسهم في نقطتين هامتين. الاسم والجنس. لا يتقيد من حولك في مناداتك باسمك الموجود في بطاقة الهوية. مثلا إن كان اسمك سارة أندروز وطلبت من الأستاذ أن يناديك ميس أندروز سيفعل. إن فضلت سرسورة أيضا سيفعل. كذلك الأستاذ يملي عليك كيف تناديه. مولي تفضل أن نناديها باسمها الأول مجردا.

أيضا أنت وحدك من يحدد جنسه. كنا متحلقين في دائرة تنتسح لما يزيد على الثلاثين طالبا وطالبة. ثلاث فتيات وولدين سبقوني. واحدة منهن عرفت بنفسها

- اسمي جين بريندا، أفضل أن تنادوني باسم برين، وأن تخاطبوني بالضمير هو.

طبعاً لم أفهم. آخر قال ..

- اسمي توماس أندرسون، أفضل توم لمناداتي، والضمير هي.

مرة أخرى لم أفهم. أدركت أنا (إيفيميليو) الجديدة- يتمحور ببساطة في أن الأمريكان لا يستخدمون لفظة (لا أعرف) وإنما يستعوضون عنها بـ (لست متأكدا). بعدها صار الأمر أسهل كثيرا. وشيئا فشيئا قلّ الصدام وزادت رقعة الفهم.

شعرت بدخول شخص ما فالتفت. كان شاباً أسمر اللون متوسط الطول. بدا مألوفاً لي وكأني رأيته من قبل. عيناه تضحكان دون صوت. كان احمرار خديه بادياً رغم اسمرار بشرته. وكان يلهث - اعتقدت أنني تأخرت.

ابتسمت ..

- باقي خمس دقائق.

اقترب مني ..

- أنا أوتوي، طالب في السنة الثانية.

- أنا نجوى من مصر، وأنا هنا بمنحة دراسية.

لمعت عيناه وعلا صوت الضحكة بها

- ووه رائع! أنت من الطلاب المجتهدين إذن؟

- لا أرجوك لا تأخذ عني فكرة سيئة من البداية.

وأخيراً ضحك. كنت أراهن نفسي منذ رأيته على أن صوت

ضحكته الفعلي سيكون ولا بد أروع من ضحكة عينيه الصامتة

وقد كسبت الرهان.

- أصحابي ينادونني إفي.

نظرت له متسائلة فأكمل

- أنا أصلاً من نيجيريا.

ومد يده فأخذتها في يدي..

- وأنا نون.

- أعتقد بأننا تقابلنا من قبل.

عقدت حاجبي أحاول التذكر

- في صف الدراسات الأمريكية رأيتك حينما كنت أمر

لاصطحاب توماس، توم؟

وفجأة تذكرت كل شيء...
- اممم توماس اه طبعاً.
ارتبكت ولاحظ هو فسألني. هزرت كتفي وحكيت له يوم كنا
في القلعة مرة ورأني توماس فأقبل يسلم علي وهم بمعانقتي
فاعتذرت منه بأدب حينها عقد حاجبيه في غضب ..
- لكن أنا لست ولدا. وأعرض عني ومشى.
هز أوتوي رأسه..
- توم يغضب حينما يُعامل أو يُخاطب بضمير يخالف هويته
الجنسية التي اختارها.
إلتفت لي ..
- ولكني أتفهم موقفك تماماً، بشكل عام الوضع في مصر
والعالم العربي..
توقف وأشار لحجابي
- والإسلام بشكل خاص مختلف.
ومن اللحظة الأولى أدركت أنني أخاطب عقلاً مستنيراً
فاسترحت ..
- لكن انت تأخذ الموضوع ببساطة أكثر.
هز كتفه لا مبالياً
- يمكن لأنني أدرس الدين كتخصص فرعي.
غمز..
- أولأننا أقارب من أفريقيا واحدة.
يا لبساطتك تلك التي تذيب الثلوج يا صديقي.
- هل تجددين صعوبة في معاملتي بعد أن أخبرتك أنني وتوم
أصدقاء؟

هزرت كنتفي أنا الأخرى. توماس هنا في دور بنت ومنصورة
هناك تتخفى في ملابس رجل. وبابتسامة أضاءت وجهي سألته
- تتناول عشاؤك معنا الليلة؟

يوم الجمعة أجازتي الرسمية. عندي الكثير من الأجازات غير الرسمية لكن الجمعة كما قلت هو يوم الأجازة الرسمي. لذا له تقليد مختلف تماما عن باقي أيام الأسبوع.

أصلي الجمعة في جامع الشيخ حسانين. منذ خمسة عشرة عاما وأنا لا أترك صلاة الجمعة إلا إذا كنت أمر بظروفي الشهرية. أصلي وأمشي كثيرا.

أحيانا (أخرم) من حسين بك وأمشي قليلا بالسكة الجديدة. أتفرج على محلات الملابس. أشتري غدائي إما كشري وإما سندوتشات من أبوشامة. اليوم سأشتري سندوتشات شاورمة لحمية. لا أكل السندوتشات وإنما أحملها معي في الكيس البلاستيك.

السكة الجديدة كانت جديدة أيام زمان. الآن أصبحت قديمة ومتسخة وممتلئة بالزباله. لا أعلم من الزبال المسؤل هنا. فعلا زبال!

في طريقي لميدان المحطة. محلات وصيدليات وسوبر ماركت تنتشر على الجانبين. أما مكاني الحقيقي الذي لا أبرحه كل يوم جمعة ومن أكثر من خمسة عشرة عاما هي فرشة الكتب. لا أعرف كيف قادتني قدماي لها. كنت غريبة أخطب طريقي. ولكن المشي فعلا مفيد. لا أعني فوائده الجسدية وإنما فوائده المعنوية. أنت تمشي وتمشي وتمشي حتى ترميك قدميك مطرح ما ترميك. إما نحو هلاكك وإما نحو نجاتك.

أنا ودون فضل منى، شاء الله أن تقودني قدماي نحو خلاصي ونجاتي.

ميدان المحطة، برج النور الذي عرفت اسمه لاحقا. نور فعلا! اسم على مسمى.

أول ما رأيته كانت نصبه كتب صغيرة متكورة تحت العمارة التي تمتلئ بلافتات لأطباء في كل التخصصات. عم بلال كان أول من تعرفت عليه. كان شابا وقتها.

لاحظ تلکعي حول الكتب والمجلات. كنت في العشرين تقريبا أو أكبر قليلا لا أتذكر. كنت كمن وجد كنزا. لم يسبق لي وأن مسكت كتابا بغلاف يلمع مثل هذا. وحين رأيت كومات الكتب لم أقدر على الترحيح. اقترب عم بلال -انتين جنیه بس.

تحسست جيبي، لم أكن أملك مالا. نكست رأسي. اقترب وأمسك الكتاب، مسح غلافه من التراب ومد لي به. أخذته ومشيت دون كلمة زيادة.

عدت بعد أسبوع، أعدت الكتاب وأخذت كتابا آخر وآخر وآخر.

- انتي اسمك ايه؟

سألني مرة وهيناولني الكتاب الجديد. انتفضت.

- متقلقيش.

ولم أقلق. أخبرته بإسمي ولم يسأل المزيد.

أعطاني الكتاب ومشيت. بعد ثلاث أشهر تقريبا، وعندما بدأت بالعمل على الكورنيش أصبحت أذهب لعم بلال كل يوم جمعة. أول شهر عملت به وقبضت مقابلا، عشرون جنيها. أذكرها جيدا. ذهبت إلى عم بلال وأخذت الكتاب.

- بكام؟
استغرب من سؤالي !
- أنا بقيت أشتغل.
قلت بفخر فابتسم
- برده من غير فلوس.
وفي عينيه رأيت حنانا مس شغاف قلبي، ومن يومها وأنا
أعتبره أبي الذي لم يكتب لي لقائه.

بحثت عنه بعيني بين الكتب فلم أجده. الان وبعد كل تلك السنين، اتسعت نصة الكتب لتشمل البدروم السفلي للعمارة الكبيرة.

أجر عم بلال المحلات السفلية لتخزين الكتب بها. رجاني كثيرا أن أبيت بالمخزن. أحيانا قليلة جدا وفي ظروف استثنائية، أذهب للمبيت في المخزن ولكن عموما أنا أرفض بأدب.

عم بلال هو الشخص الوحيد الذي أتعامل بأدب في حضرته. فلا أشتم ولا أطلق سبة واحدة أمامه. ذات مرة قام صبي من عماله بفعل شيء ما لا أذكر ما هو بالضبط ولكنه أثار غضبي بشدة. فاندفع لساني بكل السبات التي يخزنها.

لم أشعر إلا بعم بلال يقترب من ورائي ليضع يده على كتفي. ودون أن ألتفت عرفت بأنه هو. وليتني ما التفت. لم أنسى النظرة في عينيه أبدا. كان خجلاً. أنا من شتمت وهو من كان خجلاً. أول مرة أشعر بالخجل من نفسي كان بسببه. لم أقدر على النظر إليه. مشيت دون أن أنطق بحرف. ومن يومها وأنا لا أشتم أبداً في ميدان المحطة كله خوفاً من أن يباغتني فجأة.

كبر عم بلال واستعان بالكثير من الشباب ليعاونوه في البيع. أيضاً اتسعت رقعة الفرشة لتمتد للجانب الآخر المواجه للبرج ولتشمل رصيف قهوة الميدان.

كتب من كل صنف ولون. مجلات وجرائد. وسع عم بلال نشاطه واشتغل في الكتب والأدوات المدرسية. عم بلال له ثلاثة أولاد وبنت. يدرس ولدان بكلية الطب والصغير في الثانوية العامة أما البنت فقد تخرجت من كلية التجارة

وتزوجت من ابن خالتها. يجيئ أولاده الثلاثة أحيانا ليجلسوا
معنا كل يوم جمعة.
- اه لقيتك يا راجل يا طيب.
كان في المخزن فدخلت له.
- حمدالله على السلامة يا منصوره.
- بتعمل ايه هنا يا بابا جدو؟
رزق الله ابنة عم بلال بولد من كام شهر فقط. أزاح مجموعة
من الكتب
- بدور على كتاب لنجيب محفوظ كان طالبه مني زبون.
- قولى وأنا أدور معاك.
أخبرني باسم الكتاب. أعتقد أنني قرأته.
- رادوبيس، انتي قرأتيه قبل كده.
ضحكت
- انت بتقرأ أفكارى ولا ايه؟
- أنا مبنساش أي كتاب اديتهولك.
- اهوه لقيته.
قال برجاء
- مش هتسيبك من الشارع وتيجى تشتغلى معايا بقى؟
هزرت كتفي وناولته الكتاب
- يلا عشان هنتأخر.

قهوة الميدان...

امتلات الطاولات عن آخرها بالزبائن. باستثناء طاوله واحده خالية ومحاطة بعشرة كراسي. اتجهت أنا وعم بلال نحوها. استقبلنا الواد حمّو. حموليس حمولكن هواختار اسمه بنفسه. خريج بكالوريوس تجارة تقدير عام جيد جدا. وعندما سألته - من خمسة أعوام -

- ليه حموبالذات؟

- الزباين هتاخذني بجدية ازاى لما تعرف ان اسمي أحمد؟. سبقك الباز أفندي يا حمو. هومثلك تمام، حاولت لفترة إقناعه بأن يبقي على اسم هاني - وأنا هناديك هاني الزلباني؟

إلا أنه لم يرضى.

- طب هاني الأكتع؟

أيضا رفض.

- الأشرم؟

أيضا لا!، يئست، واستقر هو على الباز أفندي لأنه أكثر هيبه! أيها الإحترام، كم من الحماقات نرتكبها لأجل الحصول عليك؟

سنوات كثيرة مضت، والطاوله هي نفسها التي أجلس عليها. نفس المكان وتقريبا نفس الوجوه، فقط تأتي بعض الوجوه الشابه مكان الوجوه المتغضنه.

ولكن الشباب لم يعد لهم طول بال على القهاوي والحلقات، باستثناء حلقات الحشيش أكيد، أما حلقتنا فهي تقتصر على الشيشة الغير معمرة للأسف.

- فاكرة أول جمعة جيتيها هنا ؟

سأل عم بلال وهو يسحب كرسيه ..
- ياني يامّة! وانسى ازاي ده انت كان ناقص تجرني من شعري.
لوح بيده وضحك. سحب كرسيه وجلس بجواره. طلبنا اثنين شاي نعناع. أخرجت السندوتشات. ومددت له يدي بسندوتش.

سنة أشهر بعد الكثير من الكتب المستعارة والمستردة. توطدت علاقتي بعم بلال.

لم يمطرني بأسئلته عن أصلي وفصلي، بالعكس كان عاقلاً. احتل نقد الكتب الجزء الأكبر من حديثنا. كنت أعود إليه وأنا محملة بعشرات الأسئلة التي لا يمل من إجابتها.

ومرة بعد مرة تحولت أسئلتي من مجرد إحتياج إلى معرفة معنى كلمة أو كيفية نطقها أو فهم مصطلح ما، إلى رغبة في فهم الهدف الحقيقي وراء اتباع هذا الأسلوب دون غيره في رواية البيضاء لإدريس. أو تحليل المآرب الأخرى التي ساعدت على إنفصامية سي السيد في ثلاثية محفوظ. هل هرب أوديب من قدره أم جرى نحوه؟ ترى ماذا كان سيكون مصير جليفر إذا ما قرر جوناثان سويت إرساله في رحلته إلى مصر؟

لو كانت شارلوت برونتي قد تزوجت في مثل عمر أمي هل كنا لنقرأ مرتفعات ووذرينج؟ هل هاملت عاقل ومتأني أم هو مجرد مخنث غير قادر على الثأر لأبيه؟ شعر لويس ستيفنسون لاقى إعجاب كثيرين وكثيرين ومعظم قصائده كانت انعكاساً لحالته الصحية في صغره. ترى هل كان ليختار الصحة على النجاح الأدبي؟ وغيرها وغيرها من الأسئلة المجنونة. باختصار، أنا كبرت. لذا رأى عم بلال أنني مستعدة.

- جاهزة لايه بالطبط؟

- تيجي تقعدي معنا في الحلقة بتاعتنا.

سألت أي قعدة وأي حلقة؟ مع من وما الهدف منها؟ وفي النهاية رفضت.

- هربانيين من حاجة يعنى؟

سألت بخوف، عندما أخبرني عم بلال باسم قعدتهم (حلقة المطاريد) وضحك حتى دمعت عيناه. مالي أنا والقعدات الثقافية؟ كتاب وشعراء وأدباء وأساتذة جامعة يتحدثون ويتناقرون وسط طرقعات أحجار الطاولة وكركات أنفاس الشيشة. أنا أصلا تجربتي التعليمية تقتصر على الكتاب. قبلت يدي ظاهرها وباطنها.

حلف لي عم بلال بأن الحلقة ليست ثقافية ولا يحزنون بل هي أقرب لحلقة السمك في الشادر. لا وألف لا. - صديقني هتلاقي نفسك هناك.

عقدت حاجبي علامة الرفض القاطع. بعدها بعشر دقائق كنت وسطهم. وبعدها بأقل من نصف ساعة أخرى كنت أشرب الشيشة وأضرب بعنفها على كتف من بجانبني وكأنما ولدت لأفعل هذا طول عمري.

تحدثنا عن محفوظ والعقاد. وألان بوجورج إليوت وهيمينجواي. وعن جار الشؤم الذي يصر على رش الشارع كل يوم فيتزحلق كل من يمر به. وعن جزار الحنة الذي يشتري الكلاب كي يحرصوا اللحم من الزبائن. قارنًا بين جمال الإخوة بروننتي.

حفنة من المجانين الذين لا يجمعهم شيء. هذا ما جعلني أشعر بالألفة. أحيانا كل ماتحتاجه لتألف غربتك هو التواجد وسط مجموعة من الغرباء. ولكن سرعان ما أصبح الغرباء أقرباء وأكثر.

وهكذا أصبحت الجمعة المقدسة للطاولة والشيشة والشاي ولقعدة المطاريد من العصر وحتى بعد العشاء. - الشاي المنع.

وضع حمو الاثنين شاي نعناع سكر برة ومضى لطاولة أخرى.

- مين جاي النهاردة؟

هز كتفيه

- من امتى واحنا بنعرف يعنى، الي بيبجى بيبجى والى مش بيبجى مش بيبجى.

معه حق. لا أذكر أبدا أننا سألنا أو حاولنا أن نتجمع أو نتصل ببعض. أصلا أنا لا أملك هاتفا. وحتى لو كنت أملك واحدا، ما كنت لأتصل. كي تأتي جمعة مثل هذه تحتاج أن تأتي وحدك في الوقت الذي تحبه وتختاره دون هاتف أو تذكر.

هاتفك الداخلي فقط هو من يأتي بك. حاجتك إلى تلقي جرعتك الأسبوعية هي من ستهرع بك إلى هنا. مرات عديدة حاولت ألا آتي، وفي كل مرة كنت أجد نفسي في نفس القعدة وفي نفس المكان.

ومع آخر رشفة من الشاي وصل أول (مطرود). أستاذ نبيه، أو جدو نبيه. لم يفوت الأستاذ أي حلقة منذ مجيئي أنا على الأقل. جدو نبيه لم يتزوج وبالتالي لم يرزق بأولاد ولا أحفاد. هو موظف إداري في مدرسة السيدة خديجة بنات. في أواخر الستينات ولا زال يزعم أنه يعمل بمدرسة السيدة خديجة للبنات.

- هتعدّي شريط القطر أو تنزلي النفق السفلي وتيجي.

يوصف لي المكان دائما كي أزوره. إذا ما سألتها سيخبرك بأنه يعمل هناك من السابعة وحتى الواحدة والنصف يوميا، ماعدا الجمعة بالطبع.

- بس تيجي وقت الفسحة عشان متعطلينيش عن شغلي.

اقترب وهو يستند ويتعزز على عكازه النوبي. أحضره له
مخصوص تلميذ من السودان كان في المدرسة وقت كان أستاذ
نبيه له شنة ورنه

- كان تلميذا فيه الخير والله.

وعندما سألته

- هي مش مدرسة بنات يا أستاذ؟

ضرب بعكازه في الأرض

- اش فهمك انتي؟

أنهينا الساندوتشات وطلبنا الشيشة. رفض أستاذ نبيه طلب
الشيشة المعتادة واكتفى بفنجان قهوة سادة. الأستاذ لا يشرب
القهوة سادة أبدا. نظرت لعم بلال بقلق.

- أخبار الشغل ايه يا أستاذ؟

سأل عم بلال وه ويخبط على فخذيه بمرح ليستدعيه من خيمته
الصامتة.

هز الأستاذ كتفيه وحرك عكازه من اليمين لليسار دون كلام.
أتى حمو بالقهوة،(صبّها) في كوب زجاجي صغير
- أحلى قهوة لأحلى جدو نبيه.

هز نبيه رأسه. تلّغ حمو ليسأل عن باقي المطايريد. قلبت
شفتاي ونظرت للكراسي الفارغة. زمان كانت الكراسي
العشرة تمتلئ لنطلب كراس زيادة. الآن لم يعد يأتي سواي
وعم بلال والأستاذ وأحيانا الشاعر. إلا أن العادة جرت على
حز الكراسي العشرة، لذا يحجزها لنا عم منصور صاحب
القهوة.

عبد الحميد الشاعر. الشاعر ليس لقهبه الحقيقي وإنما هوايته
وحياته كلها كما يقول. أحد موظفي مصنع السجاد بطلخا

المتقاعدين. لكن صنعته الحقيقية في تركيب الرخام والتي ورثها عن أبيه وجده. لا يعرف كيف بدأ الشعر. كل ما يذكره أن الست نعمات أم العيال أتت توقظه ذات صباح فانتفض من على سريريه وأنشد:

البتت الحلوة شغلاني شغلاني
واحترت اعمل ايه تاني ايه تاني
مع أبوها ، أمها وخالها وعمها
لورocht أقولهم أنا ب ح ب ها
- الله يا عبد.

أبدت إعجابي وأثنت على الست حرمة التي كان لها الفضل
في نزول الوحي عليه ولا شك أنها قابلت غزله بحب وعرافان

و

- فطار ملوكي بقى بالسمنة البلدى؟

غمزت له فأشاح بيده !

- لا وحياتك قابلته بوصلة ربح من الى قلبك يحبها.

وضحك حتى احمرت عينيه. وعشرات من الأسئلة التي تبدأ
بمن البنت التي تشغلك يا (عوووومرررر) وأين تسكن
وفصلها وأصلها؟ مروراً بأسئلة من نوعية كيف هانت عليك
العشرة والعيال يا (عحميد)؟ وانتهاء ب كثير من ال (إهى
إهى إهى) وأخيراً يمين طلاق ثلاثة "ماني قاعدالك في البيت".

تلفت حولي علي أجده على كرسيه، لأطلب منه أن "يسمعنا
بيتين". ولكن عيني ارتطمت بالكرسي الخالي إلا مني ومن عم
بلال والأستاذ الذي لا زال على حاله الصامت. جاء واحد من

صبيان عم بلال يخبره بورود طلبية من الجرائد والمجلات التي تحتاج وجوده. وضع الشيشة على الطاولة أمامنا واستأذن على أن يعود بعد قليل. نظرت إلى فنجان الأستاذ فوجدته لم يرشف منه ولا رشفة.

- انت مبتشر بش قهوتك ليه؟ زمانها بردت.
لم بيد عليه أنه سمعني. قمت من كرسيي لأجلس على الكرسي بجواره ..

- أستاذ!

نظر لي ببلادة

- بقولك ما...

- مبحش القهوة السادة يا منصوره.

- في حاجة مزعلاك؟!

سألت بقلق

- فيه.. فيه حد ضايقك في الشغل؟

تكونت ابتسامة ساخرة في ركن شفثيه سرعان ما أماتها قبل أن تتسع. نظر للسماء المغيمة خارج القهوة - السما النهاردة بتفكرني بعينها.

أمسك بفنجان القهوة وقربه من فمه ثم عاد ووضعها سريعا على الطاولة. في أوقات بعينها من كل عام يطلب الأستاذ نبيه القهوة سادة ويظل شاردا طول القعدة ويتركها باردة ويمشي. وهذا معناه مصيبة، ذكريات سوداء ولا شك. هذا العام أخبرني بكل شئ ودون أن أطلب منه. أنت تحكي عندما تقرر أن تحكي، لا عندما يسأل ويحقق الآخرين. عشر سنوات أو أكثر وأنا أرى الأستاذ يطلب القهوة سادة ويتركها باردة ويمشي،

دون أن أفكر في سؤاله. اليوم قرر أن يحكي وأنا سمعت كل
كلمة.

مروة أو مرمّر كما كان يحب أن (يدلّعها) جارته في البيت المقابل. وقعت بأسرها منذ كانت بشريطين حمر وشراب أبيض. كنت أتابعها في ذهابها وعودتها من المدرسة. حتى أنهت المرحلة الإعدادية وقرر أبوها الحاج زكي -الله يرحمه ويسامحه- أن يقعدّها بالبيت كي تستقبل الخطاب. كنت أول الخطاب ولست آخرهم. لكن كنت أول الأحباب وآخرهم. أحببتها بصدق. ورفضني أبيها لأنه لن يزوج ابنته لمن يحبها.

"أحنا بناتنا متربيين!" فعل كما يفعل العرب الذين يرفضون تزويج بناتهم لمن يقول فيهن الشعر. أنا لم أقل شعرا مثل عبد الحميد. ولكن عيناى قالتا الكثير. لابد وأنه قد سمع دقات قلبي الواشي من وراء ستائر شرفتي.

وبعد أسبوعين كان قد تم تزويجها لابن عمها. وقبل تمام الشهر كانت قد ماتت. رفع رأسه وسأل:

- منصوره، هو فيه حد بيموت من نزلة برد؟!

لم أرد. تنهد. على كل، هذا ما قالت له لي أمها عندما سألتها وأنا ملقى أمامها على الأرض بنصف ملابسى عندما هرعت من مسكني حين سمعت الصرخات آتية من منزلها. ونصف عقل وبقايا قلب نهشه الحزن.

أنا من قتلتها. لو أني لم أتقدم لها معلنا عن حبي لما سارع أبيها في تزويجها. بلى قتلتها! فكرت في أن أقتل أبيها. سننت سكينى ووضعته بجيب بنطلونى وذهبت إلى العزاء.

عزاء حبيبتي التي لم أرد شيئا في حياتي مثلما أردت أن تضمنا (كوشة فرحنا) الآن تُطبق عليّ نفسي (خيمة عزاها). أخذت فنجان قهوة سادة ولم أمسسه. أين الشرابات الذي حلمت

بأن أرتشف قطراته من بين شفتيها؟ انتفضت، وقع مني
الفنجان. لم أنتظر لألملمه.

اقتربت من أبيها، كان واقفا لتلقي عزاء ابنته. كيف يجد لديه
القدرة على الوقوف؟ حقا كيف تحمله قدماه؟ إلى جواره ابن
عمها أقصد زوجها. لا ليس زوجها بل قاتلها.

أنا من أصدرت الحكم بإعدامها وهو قام بتنفيذه. لن أقتل أبيها
سأقتل ابن عمها وربما أقتل نفسي بعدها. تحسست السكين في
جيبتي. اقتربت وانتظرت دوري في طابور العزاء. وضعت
يدي في جيبتي أقبض على سكيني وأشد على جرح قلبي. رفع
عينيه نحوي..

- البقية في حياتك.

همس بها لي. هو من يعزيني في ابنته. لم أشد على يده
الممدودة، ولم أحركها من على نصل سكيني أيضا. نكس رأسه
حتى سمعت نههاته. قبضت على السكين حتى أدميت قبضتي.
ومشيت.

- السما شكل عينيها قوي النهاردة.
لم أرد. شددت على يده حتى شعرت بأثر جرح غائر. خفت أن يعاود النزيف إذا ما شددت أكثر. نزعت يدي بسرعة. ترى هل توقف أصلا عن النزيف؟ لن أعزيه ولن أقول له معلش. هل أتأسف؟ على ماذا؟ الموت لا ينفع معه أسف ولا ينفع معه شفقة.

- ليه متجوزتش؟

سؤال سخيف وغبي ولكن هذا ما نطقت به. نكس رأسه
- والله حاولت.

زفر باستسلام

- بس ماحاولتش كفاية.

ارتبك واهتزت الكلمات فوق شفثيه

- ماحاولتش بصدق.

رفع الفنجان وقربه من فمه، القهوة باردة تماما الان.

- أنا فضلت كثير عايش وأنا ميت. عايش بسأل ربنا وبعاتبه ليه مموتنيش معاها؟ ليه تاخدها هي وتسببني أنا ، ازاي قدرت تعمل في كده وانا معملتكش حاجة؟

كنت غاضبا منه إلى أقصى درجة. أردت أن أنتقم منه، ولكن كيف أنتقم من ربنا؟ هل أنتحر؟ هل أخرج له لساني وأنتحر بإرادتي طالما هو لا يرغب بقبض روحي؟ أوقن أنني فقدت عقلي تماما في تلك الفترة.

لست أدري إلام امتدت تلك الفترة؟ شهر؟ سنة؟ عشرة؟ لست أدري بحق. كل ما أعرفه هو أنني لم أنتحر وإنما أقسمت على أن أميت نفسي وأنا قيد الحياة.

لا عمل ولا حياة ولا أقارب ولا أصدقاء ولا طعام ولا أي شيء. لم أعتزل الناس ولم أستقيل من عملي ولم أمتنع عن الطعام والشراب، فقط فقدت معنى وطعم كل ما ومن حولي. أعاقب نفسي على ذنب لم أقترفه. ظننت بأنه حين يراني هكذا سوف يرأف لحالي ويسمع ندائي ويميتني.

عشمت بنات كثيرات بالزواج، بقصد وبغير قصد. كلما ظننت أنني شفيت من جنوني جبنت ولم أتم آخر خطوة وهربت من كل شيء تاركا من وعدتها بالزواج دون حتى تفسير أو توضيح. بكين وترجينني، بصقن علي، وحسبن الله في وجهي ولم يهزني شيء. كنت أقول بأن كل هذا سيعجل من ساعتني، سيسمع الله ندائهن لأنهن مظلومات وسينقم مني بأن يخسف بي الأرض في لحظتها ولكنه لم يفعل.

وذاث يوم استيقظت. فجأة هكذا، استيقظت وأخذت أبحث عن أقاربي وأصدقائي. لم أجد أحداً. يؤس الجميع مني. هل أذهب إلى البنات اللاتي خلوت بهن وأعتذر منهن؟ ما الفائدة؟ ثم لا بد وأن الله عوضهن وزوجهن بمن يليق بهن. لم يبق لي أحد.

ل تصدقيني إن قلت لك أنني قد كرهتها وكرهت ذكراها؟ هي كانت السبب في ضياعي. ولكن أرجع وأقول لك بأن المخطئ الوحيد هو أنا.

أنا الجبان. أنا من تسلطت نفسه عليه وركبه ضعفه فصرت أحمقا غيبا لا يفهم ولا يعي. يبعث الله لي الرسالة وراء الرسالة والدرس وراء الدرس وأنا كالمأفون ألقى بكل هذا وراء ظهري وأكومه حتى صرت كالحمار يحمل أسفارا. حينها قمت وتوضأت واتجهت نحو سجادة الصلاة. بكيت حتى

لم أعد قادرا على البكاء. صرخت وتأسفت وندمت وتبت. رفع رأسه فجأة ..

- صدقيني يا منصور أنا تبت والله!
أنا من اخترت أن أرفض منح الله لي. كان من الممكن أن أكون أسرة خاصة بي. كان ممكنا أن أكون جدو فعلا. هز رأسه...

- ساعات بحس إن ربنا بيعاقبني. وإنه بيمد في عمري عشان يثبتلي قد ايه أنا صغير وغبي. وإنه مكانش ينفع أحاسبه وأقوله يموت مين ويسيب مين.
زفر بتعب

- هي ماضي وذكرى ، ولكن البقاء للحاضر والمستقبل. أنا لا ألومها ولا بندم على إني اتعلقت بيها ولكن إن دارت الأيام، هكون عاقل أكثر والأهم إني هكون مؤمن بقضاء ربنا أكثر.
- انت.. انت تقدر تتجوز دلوقتي.

ضحك بخفوت

- حتى لو أقدر مش هعملها..

علق عيناه بالسما في رجاء

- أنا اخترت إني أكمل لوحدي وقت ماكان ربنا بيعتلي ناس راضية إنها تكمل معايا وتجبر كسرى، دلوقتي مبقاش من حقي أطلب جبران غير من ربنا.

زاغت عيناي، وتسارعت أنفاسي، غريب هذا الوجه الذي أراه منك اليوم أيها العجوز. مددت يدي أمسك بكوب القهوة الباردة ولكن سبقتني هو إليها ورماها بعنف.

صُعود..

١١

طَبْع أم تَطْبُع؟

خرجنا من صف الأدب واتجهت من فوري إلى المبنى الرئيسي. ارتأيت بأن أذهب إلى الكانتين الفرعي لكتابة المقال وتسليمه إلى فيزا. يقع مكتب فيزا في الدور الثاني من المبنى الرئيسي. مكتب ٣١٣ في الجهة الغربية من المبنى. لا يوجد باب وإنما لافتة كبيرة معلقة " لا تظل واقفا عندك، وادخل لمقابلتنا الآن."

انتقيت ركنا هادئا وجلست. أخرجت اللاب توب وفتحته. أخرجت غدائي، الكيكة رد فلفت. لا تكتب أبدا ولا تفكر على معدة فارغة.

قاربت الكيكة على الإنتهاء ولم أعثر على الفكرة. اه وجدتها. شكرا يا أرشميدس، فلتنتح جانبا الآن. سأكتب عن العصافير. أنهيت الكيكة ومعها أنهيت المقال. قمت بإرساله بالبريد إلى فيزا. تقترب الساعة من الرابعة. سأجري الآن إلى فيزا. عندي دوام ساعتين. السادسة أنهى عملي هنا. ثم نذهب إلى القلعة في السابعة. اه تذكرت سأخبر الرفاق بأن صديقي أوتوي من صف الأدب سيتعشى معنا هذا المساء. ستكون فرصة جيدة لأعرفهم عليه. تم الإرسال. لململت حاجياتي ووضعتها بشنطتي. ارتديتها على كتفي واتجهت نحو السلم.

جريت نحو السلم. مقر فيزا، منحل صغير، يذكرني بمنحل دروسي الخصوصية. حجرة واسعة بها عشرات المكاتب المقسمة إلى مكعبات. كل مكعب مسؤول عن مهمة بعينها. سارة وجون مسؤولان عن إستقبال وفد الطلاب الآتي من أستراليا. لوحت لهما. ديفيد وأميلي وهانا يرتبون الإيميلات والدعوات التي سيتم إرسالها إلى طاقم التدريس المسؤول عن حفل نهاية العام.

- أين جين ؟

جين هي رئيسة تحرير المجلة. (مجلة المطايريد) من الواضح أنني أنا من اخترت الاسم. لم يرد سترايدير ولم يرفع عينه عن اللاب توب. اقتربت منه، اه إنه يقرأ مقالي بالفعل. سترايدير هو محرر المجلة. همست في أذنه

- لا تحاول فلن تجد أي خطأ يا بنى.

ابتسم ورفع إبهامه علامة على موافقتي. أما جين فقد ظهرت أخيراً ورفعت رأسها من وراء كومة من القصاصات - أنا هنا.

ضحكت واتجهت نحوها.

- هناك وفد آخر للدراسات العليا سيصل آخر الأسبوع. قال سترايدير بعدما انتهى من مراجعة المقال ورفعته على موقع الجامعة.

- حلوجدا ، من أين؟

- من أماكن عدة. هل أنت متفرغة للتنسيق معه؟

- ممم لست متأكدة يا سترايدير، سأراجع جدولتي وأرد عليك.

أوماً سترايذر موافقا. استمرينا نعمل لساعتين. وحينما اقتربت الساعة من السادسة بدأنا بترتيب مكاتبنا وتجهيزها لزملائنا الذين سيلحقون بنا.

- هل تتعشى معنا ؟

هز رأسه موافقا ثم سأل

- في السابعة؟

- أيوة.

بدا أن هناك سؤالا آخر يشغله ولكنه كان مترددا. أنهيت تردده

- ناتاليا سنأتي.

تنهد

- تمام جدا، وماذا ستفعلين حتى السابعة؟

كنت أمل في نيل قسط من الراحة فأنا أجري هنا وهناك من السابعة صباحا ولكن لا فائدة.

- عندي قصة قصيرة بحاجة لمراجعة من أجل صف الكتابة.

- رائع هل ستنشرينها في المطايريد؟

هزرت كتفي، فكرة لا بأس بها. اتجهنا للخارج ونزلنا السلم.

دفع سترايذر البوابة الخارجية ليسمح لي بالعبور.

- سأمر عليك في السابعة.

مشى بعض خطوات وتوقف يناديني

- اه صحيح هناك حفلة أكابيلا لصديقة لي، تقام اليوم في

الثامنة، تذهيبين معنا بعد العشاء؟

أومأت بحماس.

- طبعاً.

رجعت إلى سترونج. ضربت البوت بالجدار عدة مرات قبل الدخول لأتخلص من الملح العالق به كي لا يملأ الممر. أدت المفتاح ودخلت. حررت رجلي من البوت ، علقت الباطوالأحمر الطويل بيد وأزحت البونيه عن شعري باليد الأخرى.

أخرجت اللاب توب. وقعت عيني على السرير ومن فوري اتجهت نحوه أرتمي عليه.

- لا تنسي بأن القصة بحاجة إلى مراجعة.

راودتني نفسي

- سنام خمس دقائق فقط.

- لا وألف لا.

تمام، أنا معي حق. لم آتي هنا للنوم على أية حال. أنا أنام منذ ثلاثين عاما لأصحو قليلا من باب التغيير. فتحت الباب وذهبت إلى الحمام. توضأت وعليت ما فاتني. اتجهت نحو اللاب توب، فركت عيني وبدأت المراجعة.

أفقت على صوت سترايذر ينادي من الشباك ، نظرت في ساعة اللاب السابعة إلا عشرة

- أووف! أنا نعست.

ألقيت نظرة سريعة على القصة. تمت المراجعة بنجاح.

ألقيت نظرة أخرى على وجهي حيث طبعت لوحة المفاتيح أثرا لكلمة نعسانة عليه. وضعت البونيه على شعري وناديت سترايذر

- تعالى ! الباب الخلفي مفتوح.

سمعت دقات على باب الغرفة

- بهذه السرعة! هل طار أم ماذا؟

- أنا آن.
ضحكت
- الباب مفتوح ، ادخلي.
فتحت الباب في الوقت الذي كان سترایدر يفتح الباب الخارجي. أشارت بيدها للخارج
- سترایدر هنا.
- أعرف، وأين ماتي ؟
- أنا أيضا هنا.
سلم سترایدر على البنات. نزلنا من الباب الخلفي لنجد كازو وناتاليا بالخارج.
- حلو جدا هيا أكاد أموت من الجوع.
استوقفنا سترایدر
- ماذا هناك؟
سألت ناتاليا
- نسيت هذه.
قال سترایدر ملوفا بالكرتونة في يده شهقت أن وقلبت شفتيها
- ضاع تعب السنين.
تعاليت ضحكاتنا وجرينا للقلعة.

ما نوع منقارك؟

أيهما أقوى في رأيك ،العصفور أم الديناصور؟ حضر إجابتك ولا تفصح عنها حتى أحكي لك حكاية عن الجزر المهجورة والبراكين الخاملة.

في جنوب الأطلنطي، على بعد بضعة أميال من مجموعة من جزر "تريستان" البركانية الخاملة التي تعرضت لآخر الثورات البركانية من ستة ملايين سنة. تقع الجزيرة المهجورة التي لا تزيد في مساحتها على السبعة أميال. تم اكتشاف الجزيرة بالصدفة عندما اضطرت عاصفة، السفينة الألمانية "جوهرة المساء" بالحيد عن طريقها لتجد نفسها وجها لوجه أمام شاطئها. حاولت السفينة أن ترسو على الجزيرة إلا أنها لم تتمكن من العثور على مدخل لائق. ولذا أطلقوا عليها أيضا اسم الجزيرة المستحيلة. كثرت الشائعات حول السفن العديدة التي تحطمت دون أن تترك ورائها ناج واحد إثر محاولات عدة للرسو على الجزيرة. تأكدت تلك الشائعات عندما تم العثور على حطام ثلاث سفن حول الجزيرة عندما كانت تحاول الولايات المتحدة بناء ميناء بري يسهل الدخول للجزيرة عام ١٨٠٣. وحينها وجدوا مفاجأة. فالجزيرة لا يوجد بها أثرا لأي كائنات حية. لا زواحف ولا قوارض. خواء. باستثناء ٦٤ فصيلة نباتية. وفصيلة واحدة من الطيور أسموها "عصفور الجزيرة المهجورة".

عمل الكثير من علماء البيئة وعلماء الحيوان على دراسة الجزيرة من أجل معرفة السبب الرئيسي حول اختفاء الحياة العضوية بها، ليجدوا مفاجأة أخرى. عصفور الجزيرة المهجورة لا يوجد مثله على الجزر القريبة وهذا يضرب نظرية أن العصفور قد طار إليها من إحدى الجزر القريبة، في مقتل. أيضا الهياكل العظمية التي قام علماء الطيور بتحليلها وجدوا أن بها تطورا ملموسا في منقارها تحديدا. اعتمدت العصافير في غذائها على النباتات العديدة المنتشرة على الجزيرة. تقيد الدراسة التي قام بها علماء الطقس بأن الجزيرة قد تعرضت لموجة من الجفاف الذي أدى إلى موت كثير من النباتات التي بدورها أدت إلى موت عدد هائل من العصافير. وحدها مجموعة صغيرة نجت. وعند دراسة تلك المجموعة وجد علماء الطيور اختلافا في هيئة منقارها عن العصافير التي قد ماتت. فالعصفور الناجي منقاره أكثر حدة وعمقا وتقوسا في حين أن زميله الميت كان يملك منقارا صغيرا، مسطحا وضعيفا. علماء النباتات انضموا للبعثة الإستكشافية وعند دراسة فصائل النباتات الموجودة، توصلوا إلى نتيجة مذهلة. الجفاف أدى بالفعل إلى موت النباتات التي يتغذى عليها العصفور إلا أنه لم يؤثر في أشجار البندق التي انتشرت على الجزيرة. لذا فالعصفور الذي قاوم قشرة البندق وحاول وحاول بمنقاره إلى أن كسرهما هو من نجا. أما الذي لم يقدر على كسرهما بمنقاره وانتظر ترعرع النباتات الخضراء السهلة فقد مات. وعندما انتهت موجة الجفاف التي امتدت لما يزيد على الخمسين عاما، عادت النباتات وعاد إلي تناولها العصفور فعاد منقاره إلى صغره وضعفه. وهكذا مع تعرض الجزيرة

لموجات الجفاف يهب العصفور لتقوية منقاره وتغيير نوع غذائه. ومع انتهاء الموجة يعود العصفور لرخائه وتكاسله واستسهاله في أكل الأعشاب وترك البندق ذو القشرة الصلبة. كل هذه الدراسات عظيمة بحق لكنها لم تجب عن السؤال: من أين أتى عصفور الجزيرة في الأصل؟ أنا شخصياً أميل إلى تصديق الأسطورة التي تقول بأن هذا العصفور أتى من ستة ملايين سنة فانت حين كان البركان نشطاً. فار البركان وثار ومع كل موجة من الحمم كانت تخرج موجة من العصافير. اشترط البركان أن لا تستقبل الجزيرة مخلوقاً آخر. وفي طريقة من العصافير لتقديم القران المناسب اتفقوا على ألا يغادر أي عصفور الجزيرة لأي جزيرة أخرى أبداً. العصافير بقيت وتطورت ونجت.

أنزلنا السائق قبل الموقف المفترض نزولنا عنده. تأفف الركاب ولم تتوقف مهمات اعتراضهم أثناء نزولهم.

- معلى يا أبله عشان ورايا مشوار.

هزرت كتفي ونزلت. تكفل الرجل ورائي بالرد بأن (زرع) الباب ليقله بعنف. تمام، لكل فعل رد فعل. نزلنا عند كوبري سندوب. تفرقت الناس وكل اتجه نحو الميكروباص الجديد الذي سيوصله للمكان المراد. سأركب ميكروباص الجامعة وأنزل عند المشاية السفلية لأتمشى حتى الكافية الذي سأقابل فيه مها. اتجهت نحو منطقة الميكروباصات وفي منتصف الطريق تسمرت. لا أريد أن أقابل منصور الآن. ليس لي قدرة على مناوشاتها وهجمات العنيفة.

- جاية يا أبله؟

أشار لي التباع. لوحته له بلا وأشرت لتاكسي وصلت وجهتي أعطيت السائق أجرته وشكرته ونزلت. نظرت للأعلى، لافتة كبيرة تحمل اسم سبكترا. لا أدري إن كان تحتها شوكة أم شخبطة. يحتل الكافية الدور العلوي. سلم طويل عليك صعوده ولكن الجلسة فوق تستحق. المكان مقسم لجانبين. واحد للأطفال ملحق به مكان صغير للعب. شكرا لا رغبة لي في الصراخ اليوم. اتجهت فورا للجانب الآخر، لا ألعاب ولا مراجيح. الهدوء وحسب. مكان مثالي لتبادل حديث رائق مع نفسك، لسماع أفكارك والاطمئنان علي ما وصلت إليه.

اه المكان أيضا يقدم فرصة حلوة لمن يرغب بتقاسم لحظات
الحب كهاذين الشابين اللذان اختارا طاولة منعزلة بعيدة عن
الناس. شكرا، لا رغبة لي في الحب. ألقيت نظرة سريعة على
المكان. ليس مزدحما. اخترت طاولة صغيرة لشخصين. يطل
المطعم على حرم الجامعة.

أخرجت هاتفي

- أنا وصلت.

أنت رنة الرسالة بعدها مباشرة

- دائما بتحافظي على مواعيدك كده مافيش فايده فيكي؟

ضحكت

- فكريني أول مالاقي حد بيحافظ على مواعيده في البلد دي

أتجوزه فوراً، خدي وقتك.

- عشر دقائق وجاية.

نحيت هاتفي جانبا. أتانى الجرسون بابتسامة وبالمنيو وبزجاجة

مياه صغيرة.

- تحبي تطلي دلوقتي يافندم؟

أوه لا لست بهذا البؤس

- مستننية ناس، شكرا.

ترى هل لازالت زعلانة من يوم عيد ميلادي؟ لا، مها أعقل

بكثير. ولكن أنا أعلم أن مشاعر الخذلان ليس لها علاقة

بالعقل. مها تشعر بالخذلان من أكثر من عشر سنين. اه كلنا تم

خذلاننا بشكل أو بآخر. اقترحت عليها أن تعود لتكمل السنة

الأخيرة وتخرج !

- بابا مانعني أخرج ولما بخرج وبننتقابل بيبقي ضاربني ومبهذلنى ومسمعنى كلام زى الزيت، عشان ظروفى.
وعندما سألتها أي ظروف؟ هل كسرتي رجلك دون علمي؟ هل أصبتي بعاهة؟ يا صديقتي يمكنك إخباري إن كنت قد تحولتي لمصاص دماء يخاف الخروج في الشمس.

- ظروف طلاقى.
اه بالطبع هذا أكثر منطقية من الكسر ومن العاهة ومن هجوم مصاصي الدماء.

- وهو انتي كنتي اتجوزتى عشان تتطلقي أصلا يابنتى؟
أسأل ونضحك على همها ونسكت. تم تطليق مها من زوجها بعد سفره بأسبوع. شعر بأنه ليس مرتاحا. أي والله! فطلقها. تم نزع مها من الجامعة، وهدم مستقبل أحلامها بأن تكون معيدة، وتزويجها، وتطليقها في أقل من شهر. ممتاز يا مها لقد حققتي رقما قياسيا في موسوعة جينيس دون قصد. عموما، أكيد كله يهون في سبيل أن يرتاح ابن العم. لماذا لم يشعر بأنه ليس مرتاحا قبل أن تقوموا بتلك العملة يا أبي؟ حينما سألت مها، كانت صفة محترمة هي جوابها.

- أي عملة يابنت الكلب؟ بتلوميني انى سترتك ولميتك بدل ماسيبك تدورى على حل شعرك؟

في تلك المسائل تتوقف عند سؤال واحد: أيهما أكثر إيلاما، صفة مها التي نالته على وجهها فتركت أذنها (تصفر) لثلاثة أيام؟ أم الصفة التي تلقتها في قلبها من كلام أبيها؟ في رأيي الشخصي لا هذا ولا ذاك. لا داعي لتحويل الأمر، أب قرر فجأة أن يزوج ابنته وزوجها فعلا. ما المشكلة! وطلاقها أفضل من أن تترك معلقة، صح؟ أما أذنيها فنقط أوتال ثلاث مرات

وستسمع من أمامها من قبل حتى أن يتكلم. وأما قلبها الذي تألم، فأى قلب تعنون؟ مها ومنذ بدأ هذا الكابوس، أصبحت بلا قلب.

اقترحت عليها أن تشتغل معي ولكنها رفضت. عنيدة مها. كنت أحب بأن تعتمد على نفسها ولا تمد يدها لأبيها. حتى أنني عرضت عليها أن تترك له ولزوجته البيت وتأتي لتعيش معي. - اه عشان بدل مابقي مطلقة بس، أبقى مطلقة وماليش أهل! كلما اقترحت أمرا جديدا رفضته مها. كلما أتيت بفكرة قتلتها مها في المهد. أعرف ما الذي يحدث هنا، صرخت فيها مرة بغضب. بهدوء تام ودون حتى أن تسألني عما أعنيه، ربتت على يدي ومشت. ربتت على يدي وكأني أنا من أحتاج إلى الشفقة. نعم كانت عينها ممثلة بالشفقة على وعلى حالي. ولكن أنا حقا أعرف ما الذي تقوم به مها. إنها تقتل نفسها. مها تتعمد أن تميت روحها وتسكت نبضات قلبها إن حدث وشعرت أنه لازال باقيا. تعاقب نفسها.

- يا مها انتي بتعاقبي نفسك على ذنب انتي مالكيش يد فيه. قلت لها مرة. تصرين على البقاء مع أبيك وامرأة أبيك التي تصغركِ بعامين. تسمحين له بمنعك من الخروج، من العمل، من الدراسة. أية عيشة هذه؟ تسمعني بطولة بال عجيبة، وتنتظرني كي أنهي صراخي ومن ثم ترد - ومين قال إني عايشة؟

انتبهت من أفكارى على صوت رنة الموبايل. ظننت أنها مها
تخبرني بأنها ستتأخر ولكنى وجدت اسم وفاء. فى الحقيقة لم
تكن لى رغبة بالرد عليها بعد عملتها السوداء كانت قد رنت
على بعدها ولكنى لم أرد. هوف لن أخلص من الزن
- أهلا يا وفاء!

لم ترد

- الو؟

سمعت صوت نفسها وحركة يدها العصبية على السماعه

- انتى بتخونينى مع جوزى؟

فى البدايه ظننت أنى لم أسمعها جيدا. بلى سمعتها جيدا ولكنى
لم أصدق أو لم أتخيل. ضحكت. رد فعل غريب ولكن ما
سمعته أغرب. ظننت بأنها مزحة ولكن صوت أنفاسها
المتلاحقة السريعه أكد لى أنها لا تمزح.

- البوست الأخير الى انتى كاتباه هو عاملك لايك وأى حاجة
بتكتيبها بيعلق وبيعمل لايك.

سمعت كثيرا عن النظريات والدراسات العلمية التى تفيد بأن
البنات ليس لهن صاحبات. وبأن البنات تغار من بعضها.
أعرف كل هذا الهراء وأكثر. أنت تعرف الكثير وتتوقع الكثير.
تقول لنفسك أنا كبرت وتعلمت ورأيت الكثير ومررت بالكثير
والكثير.

تعيش بمبدأ كن عبيطا ترى الوجود جميلا. تتوقع كل شئ وأى
شئ من كل أحد وأى أحد. وبالرغم من كل هذا، وعندما يحدث
ما عرفت دوما، وعندما يقع ما توقعت، تجد نفسك مصدوما

بشكل غير متوقع. تيقن بأنه ما أن تصل لتلك المرحلة من الثقة العمياء وبأنك (جامد قوي)، إذا ما رفعت رأسك فسترى اللافتة المعلقة تحاول تنبيهك (احترس! خازوق صناعي بعد خمسين مترا) وبأنه (لقد هزرت هزارا مزعجا وضايقت البنك ادفع ١٠٠ جنيه أوارجع لخانة البداية) بالطبع كلنا سندفع، بالذوق أم بالعافية سندفع.

- ماهويا انتى يا مها عشان انتوا الى لسه مرتبطوش.

كتمت فمي كي لا تعلقو ضحكاتي. كذلك لا أريد أن (أفصل) المتحابين و(أعكنن) عليهم الخروج. لمحت مها من بعيد..
- وفاء أنا مضطرة أقفل عشان عشان..
تلعثمت، أين أنت يا أعذار عندما نحتاجك؟
- عشان عايضة أقفل.

اه عرفت الإجابة على البوست الذي كتبته الآن. منذ اللحظة التي يعرف فيها الأب أن الله رزقه بأنثى ، يحمل هم المجتمع ونظرته وهم تزويجها وهم طلاقها إذا لم تكتب لزيجتها النجاح. إن كان أحقا فسيتركها لتعيش وهويتقطع بسكاكين الشك والغضب والغيرة والسخط. وإن كان عاقلا سيلقي بها من النافذة دون إبطاء. أما إن كان مجنونا فلأسف سيتركها لتعيش في مصر وهويزرع فيها أحلاما وردية بالمستقبل الحالم الذي ينتظرها في مصر خصوصا ومجتمعاتنا العربية عموما.
أما الأم فهي أكثر تعقلا ومنطقية بمراحل فمن اللحظة التي تعرف فيها أن الله رزقها بأنثى ، تقصر على نفسها الطريق وتحمل على عاتقها مهمة تحويلها لذكر.

لوحث لي مها وهي تقاوم ضحكة أبت ألا تخرج حين رأنتني
- طالما بتضحكي زى العبيطة كده يبقى وفاء كلمتك؟
جلست على الكرسي المقابل وغمزت
- لسه مكلمانى قبليكي وأنا الي قتلها أسألي نجوى يمكن هى.
يا أولاد المجانين !

خرجنا بكرامتنا قبل أن يتم طردنا من المكان.
- هي الخوازيق بتطلع موسم صيفي ولا شتوي؟
سألت مها معلقة على موقف وفاء المجنون.
- موجودة طول السنة في صوب مخصوصة دلوقتي، الحمد لله
الناس مش مقصرة الصراحة.
ضاعت (العشوة) الهادئة. لذا ودون اتفاق منا توقفنا أمام جاد.
طلبنا سندوتشات فول وطعمية. أعطيت مها السندوتشات
وحاسبت.
- مش كتير السندوتشات دي؟ إحنا مفاجيع اه بس مش للدرجة
دي يعنى.
سألت مها.
- الزيادة نبقى نعطيها لحد غلبان.
قلت وأنا أفكر في واحد أو واحدة غلبانة بعينها على وجه
الدقة. نزلنا الشارع الصغير المنحدر للمشاية السفلية. على يمينه
مراكز صيانة محمول وعلى يساره كافيه البارون. بعد
التجربة الصغيرة في سبكترا تأكدنا أن لا جدران تستطيع حبس
ضحكاتنا فقررنا أن نأكل على سور الكورنيش ونتمشى قليلا
بعدها.
الجمعة، المشاية مزدحمة إلى حد ما، فالجو جميل. والدراسة
بدأت لذا فالشوارع ممتلئة. أخذت أدور بعيني بحثا عن
منصورة. الشارع يخلق في اليوم الواحد آلاف من منصوره.
للتواجد في بيئة كهذه لا بد وأن تتحولي إلى منصوره. امرأة
تتخفى في ملابس رجل. لا تلبث أن تتخفى في تصرفاته
وطباعه لا ملبسه فحسب.

ولكن منصوره ليست مثل أحد. هناك شئ ما يخبرني بأنها أكثر مما تبدو عليه. وبأن داخلها أكبر بكثير من مجرد واحدة من الشارع تسب أكثر مما تتنفس.

- هو انتى اتجوزتي ليه يا مها ؟

وجدت نفسي أسألها فجأة. عقدت حاجبيها وكأنما تبحث عن إجابة مناسبة. ليست أول مرة أسألها وليست آخر مرة. وكل مرة أسأل مها، تخبرني جوابا جديدا. مرة أنه نصيب. ومرة أنه كان غصبا. وعندما أخبرها بأني لم أر أحدا بمثل عنادها. تتنهد وتعود لتقول بأنه نصيب. سألتها هذه المرة وانتظرت. أخذت تنظر إلى النيل أمامها. المياة راكدة لا تتحرك. وشيء ما في شرودها نبأني بأنها على وشك الاسترسال.

- عارفة البوست بتاعك إجابته حاجات كتير. بس أهمها ان الي بيحصل لينا اننا وعلى مدار سنوات عمرنا بنموت بالبطئ يا نجوى.

شوّحت بيدها في عنف وكأنها تخاطب عدوا باديا أمامها
- بيموتونا بالبطئ.

زفرت بسخط

- عشان كده لما بنتغير بيبقي التغير من اليمين للشمال مافيش وسط ومافيش رجوع.

- والنكتة بتقول ايه؟

قالت تنكرني كي أفيق من شرودي فنظرت لها مبتسمة وانتظرت النكتة

- مرة واحد بلدياتنا كان فاكر نفسه حاجة..

غمزت وأكملت

- طلع ولا حاجة!

تبدأ مرحلة الإبادة من بعد مولد البنت بقليل. أحب أن أسميها مرحلة (التسمين). تسمين العجل للذبح. هل تعلم أن هناك بعض الأسر المصرية التي تبدأ في (تجهيز) البنت لترك بيتها قبل أن تبدأ البنت نفسها في ترك (البزازة)؟ طيب هل تعلم أن مرحلة التسمين يمكن تقسيمها لثلاث أقسام أساسية؟ بدءاً من: يارب أشوفك عروسة يا حبيبتي مع قبلة على الخد المتورد للبنت أم شرائط حمراء. فتضحك البنت وهي تخطف العيديّة. أنا عروسة الله! مرو را ب: عقبال ما أشوفك زي بنت خالتك. مع تربيّة سريعة على الكتف. لتتكس البنت رأسها وتجري على حجرتها بابتسامة خجلة. وانتهاء ب: يارب تبقي السنة الجاية في بيتك. مع مصمصّة شفاه. لتجري البنت نحو أقرب شبّاك لرمي نفسها.

تؤمن بها بأن أول من يميت المرأة في مجتمعنا هي المرأة نفسها لا الرجل. الرجل غلبان. من يوسوس له ويشجعه على الزواج من أخرى لتأتي له بالولد، امرأة. امرأة تعي جيداً أن الولد والبنت ليسا بيدها ولا بيد غيرها بل بيد الله. وهي امرأة تعي جيداً كمّ الكسرة والوجع الذي سيصيب الزوجة عندما تشاركها أخرى في زوجها. في حالات كثيرة يقرر الرجل الزواج على امرأته من امرأة أخيه المتوفي بإصرار من امرأة أخرى تكون في الغالب أمه.

أو بنت يتم إجبارها (بكامل إرادتها) بأن تتزوج زوج أختها المتوفاة لأنها أولى بتربية الأولاد. يحملونها ذنب ضياع أطفال أختها باسم الشرع والعادات والتقاليد. أي جنون وأي سقم هذا؟ لذا فهي تقبل مرغمة، أو ترغم على القبول. ومن السبب؟ امرأة تدرك جيداً أن الأخرى ليست متاعاً وليست جزءاً من

(العفش) يتم توارثه. ومع ذلك هي من تصر على سن القانون وتعطيه مسميات كثيرة منها المجتمع والناس والصح والمكتوب. أي صح في خراب بيت على حساب بيت؟ وأي صح في إلغاء حرية كائن حي لمجرد أنه ضعيف. لا ليس ضعيفا وإنما لا يعرف قدر نفسه.

- نفس الي حصل معايا بالظبط، أو كان هيحصل يعنى.

عقدت حاجبي في غير فهم

- مش مرأة عمي وعمي كانوا عاوزين يجوزونى لابنهم الثاني بعد ما ابنهم الأولاني طلقني؟

معلومة جديدة أخرى يا مها. وكلما انتصرت المرأة في قهر المرأة، كلما زاد تجبر الأولى وانفصام الثانية. لكن الانفصام لا يقتصر على علاقة المرأة بالمرأة فحسب وإنما ينتشر ويستشري عفنه فيما يتعلق بالرجل والمرأة أيضا. إذا كانت المرأة نفسها لا تحترم المرأة فهل سيفعل الرجل؟!!

كمان، لا تنسي أن الرجل وحده من حقه ذكر وتعداد مغامراته الرومانسية السابقة والفخر بها أمام زوجته من دون الجميع. أيضا له الحق في العيش على الأطلال ونعي حبيبته التي أعطته صابونة وقت كانا في حصة الكيمياء. ومن البديهي أن المجتمع يعطيه الحق بعقد المقارنات بين امرأته وجميع نساء العالمين. أما إن لمحت المرأة لعلاقة سابقة، مجرد تلميح ستصبح في عداد الأموات. وإن ترحمت على زوجها المتوفي سيتم تطليقها ولاشك "دي بتقول في وشي ياخواننا". هوف افهمي أرجوك، قلت بأن الرجل وحده من حقه الولولة، فحين يذكر من مات له، سيكون رجلا مخلصا أما أنت فنكدية.

وغني عن الذكر بأن المقارنات الخزعية التي تدور في مخه المخلوط بالزبادي لن تصب في صالح امرأته أبدا. ثم أن تعيش بجسدك مع امرأتك وتفكر في أخرى أوليست هذه أحقر أنواع الخيانة وأبشعها؟ اخ نسيت بأن الرجل الخائن في عرف القوادين أمثاله، يظل رجلا كامل العقل والدين والرجولة. المخابيل صدقوا الكذبة. لذا فليس من حقها أصلا أن تعترض "عاوزه تخربي بيتك يا مجنونة!" وإنما ستقوم مثل الشاطرة وتفرد الغطاء على عهر زوجها كي تحافظ على بيتها وأولادها. اه برافو أنت ست عاقلة الآن.

- بصي الموضوع باختصار هو محاولة مجموعة من المرضى، في منهم مرحلته لسه مش خطيرة وفيه الي وصل مرحلة متأخرة مافيش أمل من شفاها، وكلهم بياكلوا في بعض بهدف السيطرة على بعض.

من تم كسرهما وقهرها لا ترتاح إلا حينما تكسر وتقهقر كل الباقيات. سألتُ مها كثيرا إذا ما كانت تفكر بالزواج مرة ثانية. وفي كل مرة تجيبني:

- وهو أنا كنت اتجوزت مرة أولانية؟

لماذا أجد صوتك مقاربا في أوتاره المشروخة لصوت منصورة يا مها؟ ولماذا أشعر بأن كلامك صادر مني أنا؟ مها هي منصورة ومنصورة هي نجوى. كلنا في الهوا سوا. أردت أن أعرف مها بمنصورة

- خليها مرة ثانية عشان ألحق أرواح.

- لسه بدري!

افتعلت ضحكة

- لا المغرب خلاص هياذن وأنا لازم اروح ألحق العلكة بتاعة كل مرة.

هل تعلم كم يحتاج البني آدم الطبيعي للوصول لهذه المرحلة من (التناحة) والبرود؟ الكثير صدقني. انتظرت مع مها حتى أوقفنا تاكسي. ركبت هي وأغلقت الباب وقبل أن ينطلق هتفت بها:

- لازم ترجعي الجامعة تاني يا مها.
نظرت لي من الشباك وابتسمت.

تابعت المشي عليّ أجد منصورة. احتفظت ببعض السندوتشات لها.

بعدما انتهينا همتّ مها برمي الكيس في النيل أمانا. أمسكت يدها بسرعة وأنا أتلّفت حولي خوفا من أن تظهر منصورة فجأة لترمي باثنتينا في النيل.

رأيت الكثير من (الحبيبة) يفترشون سور الكورنيش أو يمشون هنا وهناك. أنا أيضا استمتعت بكثير من المريدين والمطاردين. ولكن على كثرتهم فأنا لم أشعر أبدا بأني قد وجدت مبتغاي. لذا دائما ما كنت أترك الفتافيت من ورائي كي ترشد قلبي وتدله على بيته حينما يقرر الرجوع. مفارقة أم مفارقة علمت أنني سأعود أدراجي وحدي عاجلا أم آجلا. تشغلني دوما فكرة الارتباط. ومع كل عام أكبره تبعد الفكرة أكثر وأكثر. أمد يدي أستبقّيها. انتظري هنا عاما آخر. ويمر العام لأستبقّيها عاما آخر وآخر وآخر. من يراني ويرى رفضي لكل من تقدموا لي يزعم بأني لا رغبة لي في تكوين أسرة ولا قدرة لي على الحب من أساسه. ولكن أنا أعلم جيدا بأن هذا ليس صحيحا أبدا. قلبي الذي ينتفض حينما أسمع ضحكات صغير يجري هنا أو هناك. عيني التي تدمع حينما تقع على الشاب الذي احتضن يد زميلته، أنا بحاجة إلى هذا الحزن جدا. أزحت عيني بسرعة، أنا لا أريد أن أكون عزولا. ولا حسودة. ضمنت يدي إلى فمي ونفخت بهما لتدفنتهما.

أظن بأنني لا أنتمي لهذا الزمن. لم أستسغ أبدا ظاهرة الحب السريع التي كانت تحدث حولي كل يوم في المحاضرات والسكاشن. يأتي الشاب ويخبر الفتاة بحبه لتخبره بحبها هي الأخرى ويقضيان ترما كاملا من المشاعر الفياضة. في الخفاء دائما في الخفاء ثم ينفصلان في نصف العام. ليبدأ الترم الثاني مع قصة حب جديدة. آه أيها الحب، كم من المهازل ترتكب باسمك.

الحب (فعل) مضارع مستمر، بألف سنة مما يعدون. يحتاج النور والشمس لينمو صح؟ عندما صارحني زميل لي في السنة الأولى بحبه فرحت. نعم فرحت جدا وبناء عليه طلبت منه أن يتقدم لخطبتي. من يحب شخصا يرغب بقضاء حياته، وما بعد حياته معه. أحبك = لنتزوج ونبقى معا. أليس هذا هو التطور الطبيعي (للحاجة الحلوة)؟ لكن زميلي كان له رأيا مخالفا.

- ده يبقى جواز صالونات، انتي تقبلي على نفسك كده؟! اممم توقفت لأفكر قليلا فأنا أحب نفسي فعلا ولا أقبل على نفسي (كده) أبدا ولكن لحظة - يعني ايه كده!

تساءلت بصدق فأجاب بعصبية - أقصد كده الي هو حد ييجي يتفرج عليك في بيتكم ويشتركي؟

اخ نظرية لنتعرف أولا ولنمهل أنفسنا وقتا كي نعرف بعضنا أكثر. وبعدها فلنرى. نرى ماذا؟ ماذا عن ولكن لا تواعدوهن سرا؟ سألته بغضب

- هتقول لربنا معلش أصلي ماليش في جواز الصالونات؟ ولا هو الشرع في جواز الأربعة بس؟
خاقت الخطبة للتعارف إذن ما المشكلة أنت وأنا نريد نفس الشئ صح؟ لا ، غلط. ماذنبي أنا إن تم إستبدال الخطبة من فترة للتعارف الرسمي إلى فترة للكذب الرسمي!
- ليه نستعجل؟

ولم لا نستعجل؟ أنت تحبني صح؟ كمان غلط. عرفت بأن هذا غلط وبأنها مجرد كلمة تقال وتتردد على الشفاه دون فهم. وبهذا استنتجت أيضا أن علاقاتنا تفشل لأننا نقوم بالأمور في غير مقامها.

تخيل معي: نحن نتعرف ونتكلم وندخل ونخرج ونقوم بما يجب فعله في فترة الخطوبة ، لكن في غير فترة الخطوبة. ماذا سنفعل في الخطوبة إذن؟! بعد الزواج تخلق فجوة من الفراغ. أنا استنفذت مشاعري ومارستها في غير وقتها ومكانها الطبيعي. النتيجة = خواء.

لعنة الله على من ابتدع لفظة (جواز الصالونات). أي حمار ألفها؟ وأي حمارة صدقتها؟ ثم من العاقل الذي يقبل لوم (رجل كنبه) أو (ذراع كرسي) في صالون بيت على فشل زواجه؟ الكاتب أو السيناريست الذي أدخلها في فيلمه سيحمل عاقبتها إلى يوم الدين، كما يحمل قابيل ذنب كل من ارتكب فعلة القتل. لا أحد يعرف كيف بدأت الأسطورة ولكني أميل إلى تخيل أنه كان شابا في مقتبل العشرينات. أحب بنت الجيران وفاتح أبيها في الموضوع. ولأن أبيها يعرف بأنه شابا جيدا فقد وافق بالطبع وطلب منه أن يشرفوه وأهله عندهم في (الصالون).

كانوا قبل ذلك يجلسون في الفسحة أو الصالة ولكن الأب أوصى على صالون مخصوص مذهب (يلع) في العين ويخليها. وتسلمه من يوم واحد فقط. إذن سيجلسون في الصالون ليتموا زيجة ابنته ولنشرب نحن من (كيعاننا) إلى يوم الدين من جرّاء صالونه المذهب.

كثيرون يستخدمون أسلوباً خاطئاً في تزويج ابنتهم. أبوفؤادة كذب من الخوف وقال بأن فؤادة وافقت على عتريس. ماذا حدث بعدها؟ خرج الناس بالمشاعل ينادون ببطلان الزواج. كثيرون في الصعيد مثلاً لا يأخذون موافقتها من الأساس، هذا خطأ. هل توقف الشرع أو المجتمع عن استئذان البنت في حكم تزويجها لأن رجلاً واحداً فعل هذا؟ بالطبع لا.

كثيرون يغالون ويبيذرون في طلباتهم إيماناً منهم بأن هذا (يعلي) ويرفع من (سعر) ابنتهم. هم سيغالون ويغالون سواء جلسوا في الصالون أم في الحمام. هل هذا صح؟ بالطبع لا. انظر ماذا طلب أبوعيلة مهراً لها؟ مائة ناقة حمراء تقريباً أو شيء مثل هذا لست متأكدة. كان من الممكن أن يكتفي بخمسين أو ثلاثين حتى ولكنه رجل طماع. هل يجب أن تكون طماعاً أنت الآخر؟ ثم لماذا حمراء؟ هاه بجد؟!

أعلم بأن هناك عوامل عدة تضمن اكتمال بنود وصحة الزواج. كما أن هناك عوامل عدة تضمن نجاحه ودوامه طول العمر. سواء كانت الجلسة في الصالون أم فوق السطح. في المقهى تحت البيت أو (بئر السلم) حتى. بالمناسبة هذا ما حدث فعلاً لزميلي الذي نصحتني ألا أتزوج من الصالون، هو تزوج (جواز بير سلم) عندما ضبطوه مع بنت زميلته هناك. حظه

العائر أوقعه مع بنت جزار الحنة، وطبعا إما الزواج وإما الوقوع في (البير).

بعدها وعندما كان يصارحني زميل لي بحبه - وهم كثر بالمناسبة- كنت أسأله وماذا بعد؟ ليتهامني هو بعدة بالبرود ويتساءل بدهشة:

- انتي ليه مسترجلة كده؟

وينهي الحوار بنصيحة أخوية بالطبع

- حاولي متكبريش الدنيا كده.

حاضر، أنت فعلا أصغر من أن أكبرك. لن أنكر أن هناك من شغلني في الجامعة ولكن لم أجد من يشغلني بالقدر الكافي كي يدفعني لحبه. الحب مسؤولية. ولا يحدث هكذا فجأة. لا يوجد حب من أول نظرة، هذا في رأيي هراء وحمق. هذا الذي تراه وتحبه من أول نظرة عشت تحلم به طوال حياتك وتتخيله وترسم خطوط شخصيته وطباعه التي سيكون عليها، بيدك. فعندما تجده أمامك فجأة تظن أنه حبا من أول نظرة. لكن الحقيقة أنه كانت هناك الكثير من النظرات داخل عقلك وقلبك قبل حتى أن تراه.

أعتقد بأن القسم الأكبر من العلاقات العاطفية يفشل لأننا لا نحب بعضنا بالطريقة التي نحبها. أقصد بأنه ليس كافيا أن تحب حبيبك وحسب، ولكن أن تحبه بالطريقة التي يحبها هو سر الإستمرارية والنجاح لهذا الحب. تخفنا التوقعات البليدة وتميت فرصنا في النجاح. الفيلم قال بأن البطلة خرجت للبلكونة أم كانت فرندة يا ترى؟ ثم لماذا الإهتمام بالمظاهر على حساب الروح؟ لماذا أعطي وجهي بطبقات من الألوان

وأجاهد في إرتداء الكعوب العالية التي تمنحني طولاً زائفاً؟
ولماذا أقول عكس ما أعني؟

تزوجت إحدى زميلاتي في السنة النهائية من الجامعة وهي
سعيدة مع زوجها الحمد لله. عندها نظارة كانت ترتديها في
المحاضرات وخارج البيت. ولكن لمدة سنتين، لم ترتدى
نظارتها الطبية أمامه مرة واحدة. وبعدما أخذت تفرك بعينيها
وتضع القطرات لما يزيد على الثلاثة أشهر سألها

- نروح نشوف الدكتور؟

هزت كتفها بدلال بأن

- مافيش داعي يا حبيبي أنا بس هلبس النظارة.

ليسألها هو بدهشة وهو يحك أذنه

- انتي عندك نظارة؟!

تصرخ فيّ بأن مثاليّتي هذه لن تنفعني في شيء.. أخبرها للمرة
الكام وعشرين بعد المائة بأنه يا بنتي مجتمعا بمن فيه من
أولاد وبنات وستات ورجال بشنابات يعانون من حالة إنفصام
حادّة. هذا الذي أعطاني نصيحة أخوية بالألا أكبرها لن يقبل بأن
يصغرها مع أخته أوأمه.

كانت زميلتي غارقة لأذنيها في حب زميلها. كانت تحبه
بصدق. دائما ما تعلن بأنها ستتحمل حتى يقف على رجليه.
وستصبر حتى يقرر أن يتقدم لها. ستكون أصيلة. رفعت لافتة
لا للصالونات وهمت بحرق صالون بيتها لولا أن لحقت بها
أمها في اللحظة الأخيرة.

وذات مرة كانت في كافيه مع حبيبها يتبادلان الغرام وكلمات
الحب الملتهبة حين توقف حبيبها ليعقد حاجبيه ويقوم كالطلقة
من على كرسيه ليمسك بشعر فتاة أخرى دخلت منذ قليل
لتجلس على الطاولة المقابلة مع زميل آخر لها. تكهرب المكان
واشتد الهرج والمرج. في البدء حاول الناس حماية البنات وهم
بعضهم بضربه ..

- محدش له دعوة دي اختي.

تراجعت الناس مع همهمات موافقة بأن..

- سيبوه يربيهها.

كانت زميلتي تتابع الموقف من طاولتها غير قادرة على
الحراك من المفاجأة. وحينما سمعت أنها اخته اقتربت من
الحشد تحاول تخليصها. سألتها ما المشكلة؟ وما الخطيئة التي
ارتكبتها أخته كي يهينها بهذا الشكل؟ في رأي زميلتي أنها لم
تفعل شيئا مخالفا لما تفعله هي نفسها مع أخيها. حينها ترك
شعر أخته ليدفع زميلتي لتقع..

- احرصى. أنا اختى متربية، مش زيك!
تعرف وفاء هذه البنت لأنها حضرت فرحها بنفسها على ابن
عما بعد هذه الحادثة بعام أو اثنين. ولكنها تعاندني
- عايزة تقولى ان مافيش حب؟
صرخت فيها وقد نفذ صبري من جهلها
- أنا برده يا وفاء بعد كل ده الى بقول إن مافيش حب؟
لا يا وفاء، وألف لا يا غبية. ما أقوله هو أن هذا النطع عندما
يقرر - وبعد كل اللف والسرمة - بأن يتزوج سيجري
لأقرب صالون.
أنا ضده وضد (نطاعته) لست ضد الحب. يزعم هو وأمثاله
بأن عندي مشكلة وبأن الاعتراف بالمشكلة هي بداية الحل.
تمام، أنا أعترف أنهم كلهم حمير.
أنا فقط لا أستطيع تقبل سياسة الكيل بمكيالين هذه. وهي سياسة
قذرة يفرضها المجتمع فينظر بعين للرجل الذي يشتم ويشرب
السجائر والمخدرات ويسرق ويقتل ويزني على أنه بخير
طالما جيبه عمران. وبأنه مهما أخطأ فهو(قال ايه) رجلاً.
وبعين مخالفة تماماً للبنت التي ترتكب ربع ما ارتكب هو من
ذنوب، فتصير هي منحلّة عقوبتها الرجم ويبقى هو في
نظرهم رجلاً عقوبته الزواج كي ينصلح حاله. أي عقم هذا،
بل أي عهر؟!
تشيج بيدها وتصر بأن علي التنازل كي لا أخرج خسرانة
بالكامل.
لماذا أتنازل؟ ثم عن ماذا أتنازل أصلاً؟ ومن سأخسر؟ العريس
أم نفسي؟
تقلب شفتيها وتمصص

- بطّلي بقى رواياتك الإنجليزي دى.

تشير بإصبعها في تحذير!

- هنا الراجل راجل، والست ست.

فأضحك، أضحك حتى تدمع عيني ولكني أبدا لا أسمح لدمعاتي بالنزول فتلك ستكون دمعات قهر وسخط.

لو كان الرجل رجلا والإمرأة إمرأة في مجتمعنا كما يزعمون، لانصلح حالنا منذ قرون ولما استشرى كل هذا الفساد في نفوسنا.

أشيخ بيدي في سخط في بلدنا الست فاعل مرفوع بضمة تضيق وتضيق حول عنقها حتى إختنقت. أما الرجل فمكسور بتنازلاته عن رجولته سواء عن جهالة، كيف كان الرجال بحق، وذلك لضعف التنشئة والتربية السليمة، أم عن قصد بسبب الظروف الإقتصادية الصعبة التي تضطره للتغاضي والتنازل عن أخلاقه شيئا فشيئا. وما المرء منا بدون أخلاقه؟ هواء فاسد.

- في بلدنا الست راجل والراجل ممنوع من الصرف.

أنا مثالية؟ لماذا إذن أشعر دائما بالنقص؟ أنا صح أم خطأ؟ هل أنا فعلا (مكبراها)؟ أم أنني على حق فأثبتت؟ أنا أريد الحب ولن أتنازل عنه. ولن أقبل بأن أبايع وأشتري وإلا كنت قد ارتبطت وتزوجت من زمان لأي واحد والسلام. ولكني لا أجد الحب الذي أريده. تعريفي يختلف عن تعريف كل من قابلتهم وقابلوني. في الوقت نفسه لا أتقبل فكرة الارتباط دون مسؤولية. لن أعترف بأنني مرتبطة إلا وهناك دبرة تحيط بيدي.

حاولت وفشلت. أنا حقا لست مصممة للإرتباط خارج دائرة الرسمية. لا أتنفس بإطمئنان إلا وأنا بداخلها.

مع ذلك أحيانا أرغب برمي نفسي في حوض أول واحد أجده في طريقي. فكرت في أن أتحدث مع الكثيرين ممن يخبرونني كل يوم بأنهم يحبونني ولكن لم أقدر. هل آتي بخط تليفون سري وأغير صوتي وأخشنه مثلما تفعل منصوره. ولكن أين أنا من منصوره؟ أنا لست في ربع شجاعته حتى.

منصوره أخلصت لمبدأها. تشرّبت فكرة أنها رجلا حتى فاضت من مسامها وشقوق روحها. ملامحها رقيقة وجميلة جدا في الواقع، عيونها الخضراء ورموشها الطويلة. فمها (المسمسم) الذي يسمعك أكثر الكلمات حنوا، يدها الرقيقة وجسدها المتناسق. وفي المقابل تنقلب تلك الملامح الرقيقة إلى أخرى وحشية. اليد الرقيقة تمتلئ بالخدوش والندب الغائرة، يخشوشن الصوت، ويعوج الفم فيسب ويلعن ويبصق، أما الرموش فتتكسر والعيون الخضراء فيعتريها سواد غاشم، سواد بئر بلا قرار لا يتردد على رميك فيه دون أمل في عبور مارة لإنقاذك. لا طاقة لي ولا حمل لشجاعة منصوره التي تنتقل بين وجوهها في صراحة ووضوح.

أما أنا فجبانة، أخفى وراء قناع من الأدب والهدوء والعادات والتقاليد التي تخنقني وتسحب روحي يوما بعد يوم. وربما لهذا فكرت في فتح أكاونت آخر باسم مستعار. لربما إن غيرت اسمي نسيت هويتي؟ وسأتعرف فيه على أولاد أسمعهم وأسمع منهم كلمات الحب. والإسطوانات إياها. ثم بلاه بلاه بلاه! ولكن لم أقدر. حقيقي لم أقدر. هل جننت؟ هل أنا محترمة أم أتصنع

الإحترام؟ ثم ما كل هذا التيه؟ هل أنا بهذا الضعف حقا أم أنني قوية كما يردد الجميع؟

بنات كثيرات غير محترمات وبلا أخلاق ارتبطن. كثيرات كن على علاقة بواحد واثنين وثلاثة يستمتعن بوضعهم على الرف دون كلل، وارتبطن، بنات كذبن وادعين الحب وهن عنه بعيدات نلن حب من أمامهن وأيضا ارتبطن.

مها كانت صديقة. أنا صديقة. لم لا أنال بصدقي وأخلاقي ما نلناه هن بكذبهن وخداعهن؟ لماذا يحب الرجل من تتصنع ويفر ممن تكون على حقيقتها؟ ترى هل يرى حقيقته البشعة في عينيها الصديقة ويدرك كم هو صغير أمام طوفان مشاعرهما التي لم تمس بعد، فيهرب؟

آه تعبت من الأفكار ومن المشي. ومنصورة لم تظهر بعد. وقفت أتأمل النيل. وجه يطل على من صفحة المياه مهلا، أظن بأني رأيت هذه الملامح من قبل. جسد ضعيف وملابس واسعة تحاول أن تمده بالهيبة فتزيد من ضلالتة عوضاً. يدين تتحركان إلى أذنيه مشيرة لي بفعل المثل. لم أفهم! والآن الوجه يخرج لي لسانه ويختفي. هززت رأسي وأنا أفرك عيني. المياه هادئة ولكن فجأة هبت قطرات المطر.

رفعت وجهي للسماء وأخذت نفساً طويلاً. حبسته حتى جمعت كل أفكارى السابقة وكل التوهان وكل التردد وأطلقتها في زفرة قوية.

كل من قابلتهم يا نجوى ذكورا وليسوا رجالا. رجلك لم يأتي بعد.

تعالت كلاكس السيارات في الشارع من ورائي فالتفت ببلادة

- ممكن يكون مزنوق في شارع زحمة بس المهم ميكونش وقع في بلاعة ولا عمل حادثة.

عدت بعيني للنيل أرقبه بعناد. ازدادت حبات المطر لتضرب سطح المياه فتحدث فيها اهتزازات ودوائر. احتميت بشجرة. ولد في العاشرة تقريبا يلف بعصا غزل بنات على كتفه. توقف بجانبى:

- انت ايه الي مصحك لدلوقتي؟

سألته ولم أنتظر جوابا، أشرت ..

- بكام الأكياس الي باقية معاك دى؟

قام بعدها وأخبرني فنقدته حقها. هم بتخليصها ومناولتها لي فمنعته

- أمال عايزاها بالعصاية؟

تساءل بدهشة، فضحكت لبراءته!

- لا أنا أصلا مبحوش بس ممكن أكل كيس بشرط إنك تاكل معايا.

هز كتفه في إستسلام وقطع كيسين واحد لي وآخر له.

- اه تصدق مش بطل؟ بس ممكن تخفوا السكر شوية المرة الجاية؟

رفع كتفه ومط شفتيه في قلة حيلة تعالت الأغاني من النوادي في الجهة المقابلة فاستبقيته

- عارف يا صلاح كلنا بنغلط و..

- مسميش صلاح!

أشحت بيدي

- هس! مش قلتك كلنا بنغلط يا اخي!

رفع حاجبيه. أشرت للنوادي في الشط المقابل

- السبب الوحيد الي يخلي الواحد يقبل يتجوز في البلد دي هو
عشان بس يشغوله كام أغنية لماهر زين وسامي يوسف.
لم يرد فرفعت يدي أتضرع في حركة مسرحية
- جوزوني وغنولي والنبي.
ضحكت وحدي على مزحتي، أما هو فقد بدأ في التثاؤب.
هوووف وأنا التي ظننت دمي خفيفا؟ وكلمة من الشرق
وأخرى من الغرب..
- وأيأ كان قرارك، خليك في الأمان وابتعد عن الصالون،
اتفقنا؟
أخذت أهذي وأخرف دون أن أترك له فرصة للرد.
- ممكن أمشي بقي؟
أنهى غزل البنات خاصته وسأل. استمررت في الثرثرة لربح
ساعة أخرى تحملها هو في صبر وأخيرا سمحت له بالمغادرة
فجرى من أمامي فرحا بالنجاة من مخبولة تلقي بنكات سمجة.
- سلام يا صلاح!
هتفت أودعه فالتفت بغضب وضرب برجله في الأرض
- مسميش صلاح قلت.
سألته عن مقصده فمضى ولم يرد. غريب صلاح هذا!
تنهدت، ومرة أخيرة ألقيت نظرة على النيل ثم أعطيته ظهري
وتركت لمنصورة السندوتشات تحت فرشتها ومشيت.

الخطوات المطلوبة لخلق أنثى ب ١٠٠ رجل
(مشوّهة ومحترمة) و(تنفع أم لأولادي) في مصر؟

- ١- ارمي بأنوثتكِ ودلعكِ من الشباك. (أنا ب ١٠٠ راجل)
- ٢- أنتي بنت، كوني بنتا إذن ولا داعي لأن (تسترجلي)
(أنا – بنت مش مسترجلة- ب ١٠٠ راجل؟؟)
- ٣- اخفي ما تحسّين، اظهري ما تخفين، ثم حسي بما تظهرين.
(انا بحبك بس بتقل عليك. أنا بتقل عشان بحبك. أنا بتقل فعلا
ومحتاجة دايت)
- ٤- شرف البنت مثل عود الكبريت. (بتحبني اتقدم لي رسمي،
لحظة ماذا عن شرف اخي الولد؟)
- ٥- اخوكي معندوش شرف ده صايع اساسا. (الولد لا يحتاج
للشرف. يحتاج ل:قومي اعمليلي كوباية شاي)
- ٦- البنت معززة مكرمة تبقى في (بيتها) والرجل يطلبها.
(بتحبني اتقدملي رسمي)
- ٧- كل سنة وأنتي طيبة ويارب السنة الجاية تكوني في (بيتك)
(امال ده بيت مين!)
- ٨- لا لجواز الصالونات. (أنا مش جارية اشتريتهالك أمك)
- ٩- لا للسرمة والرممة في الشوارع. (انظر رقم ٦)
- ١٠- شوقي (أوريك كوعي؟)
- تابع ١٠-...ولا تدّوقي (اتفقنا لحد كوعي بس + بتحبني
اتقدملي رسمي)

بعد كل هذه المخمضة وكل هذا العك. أنتي مؤهلة للزواج من ذكر آخر مشوه تم تربيته على يد واحدة لا تقل تشوها عنك. معك الآن فرصة ذهبية مع عرض الكومبوليستكمال عملية تشويه زوجك (ذكر بالغ) + عملية تشوية للذكر والأنثى اللذان سترزقان بهما. مبروك أنتِ أم! ارمي بأنوثتك من.....الخ الخ

كَي تَعْبُرَ الْجِسْرَ

الجمعة آخر الأسبوع...
كان أسبوعاً شاقاً وممتلئاً عن آخره بالصفوف والعمل والجري
من هنا لهنالك. لكنه كان رائعا بحق. تنهدت حينما أنهيت كتابة
آخر كلمة في البحث المطلوب مني قمت واقتربت من
الشباك. أخذت أنظر للثلج في الخارج.
أخرجت نوتة الملاحظات وارتميت على سريري لأتفقد المهام
التي يجب علي فعلها في الويك إند. اه غدا السبت سأنزل إلى
JFK من أجل إستقبال مجموعة الطلاب الدوليين. عشرة
طلاب قادمين من المملكة المتحدة وماليزيا وروسيا واليابان.
أخبرت سترابير بموافقتي بعد أن نظمت جدولتي وأعمالي.
أحببت فكرة أن أذهب لاستقبال شخص ما لابد وأن يكون
محتارا وتائها مثلما كنت. شعرت وكأنه دين علي إيفائه لفاسار
ولمطاريد فيزا تحديدا. عندي إحساس جميل.
سأذهب مع سترابير في باص مخصوص من الجامعة.
تبدأ الرحلات في الوصول من العصر تقريبا وحتى قبل
المغرب. تمام، يمكننا أن نتحرك ظهرا ولكننا فكرنا في أن
نذهب صباحا باكرا كي نقوم بجولة في نيويورك ريثما يصل
فوج الطلاب.
تابعت مراجعة النوتة. يا نهار! عندي أعمال كثيرة لو تمكنت من
تنفيذ ربعها سأرقص من الفرح. السبت مساء سنقوم بإيصال

الطلاب كل إلى غرفته. سترابير أعطاني قائمة بأرقام الغرف المتاحة. سيرتاحون قليلا ومن ثم نذهب معا إلى فيزا من أجل العشاء. ستقوم فيزا بتنظيم عشاء وحفلة ترحيب صغيرة، باقي الرفاق سيتولون تفاصيل الحفلة. قلبت الصفحة. الأحد عندي غسيل. نظرت بطرف عيني إلى كومة الملابس في الركن.

آه أيضا أنا بحاجة للذهاب إلى متجر فاسار لشراء الكتب. سأمر على أديتي من أجل درس الهندية. وأيضا سأمر على سوبر ماركت زورونا! لشراء الملوخية والقلقاس. حلمت بالأمس أنني أكل ملوخية وقمت ومعدتي تأنّ من الجوع. مع العلم أنني قد تعشيت وأصحابي عشاء ثقيلًا ولكن الأكل الأمريكي لا طعم له. لهذا أكلت فراخ وبيتزا ومكرونة وعنب وكب كيك شوكولاه فقط. فعلا الغربية صعبة!

تمام، تريدون الحق؟ لست أبدا مع الولولة والندب حول كمية المساكين الذين يرميهم حظهم تحت رحمة قضبان الغربية لتدوسهم برودتها. الغربية ليست للجميع. البعض يقدرونها ويؤتوها حقها فتتركهم لحالهم والبعض يكيلون لها اللعنات فتريهم جحيما الخاص. إذا ما أعطينا كل ذي حق حقه، فالأكل هنا بالإضافة لأشياء كثيرة جدا- رائع، ولكن كل ما في الأمر أنك تشعر بالحنين إلى أكل بلدك مهما كنت شعبانا.

عندما أدخل ستار بكس وأشم رائحة القهوة التي تسيل اللعاب، أضبط نفسي متلبسة بجرم الحنين إلى رائحة القهوة المضروبة وطعمها المحوج بمزيج الحبهان ونشارة الخشب. أيضا أستطيع أن أكل عشرات الدونات وأنا أفكر في قزمة واحدة من فطيرة مشلّنة بالعسل.

أحيانا أفقدت (الهرجلة) والصوت العالي في الشارع. أونداءات
بائع بطاطا أودرة مشوي. عندما تتغرب فإنك تفقد أشياء
غريبة بحق. باختصار أكثر ما تكرهه في حياتك وما قد يكون
دفعك للغربة أصلا، هو أول ما سيأتي على بالك ليس
بالضرورة أن تفقد الأشياء وتبكي، أو الأشخاص وتلوم على
لحظة واحدة معهم، فقط أحيانا تفقدها لتضحك وتشكر ربك أنك
تغربت بعيدا. مجانيين نحن!

الغربة ليست وحشة دائما وإنما قد تكون هي نجاتك الوحيدة.
فالغربة يا صديقي أرحم كثيرا من إغتراب نفسك وتيه روحك.
الفكرة أننا مختلفون وبالتالي تختلف نظرتنا وطريقة تعاملنا
معها. بعضنا يحبها ويفهمها فتريحه بدورها وتقدره. وبعضنا
يكرهها ويلعن فيها لتلعن فيه بدورها.

ثم أصلا من قال أن الغربة غربة خطوط طول ودوائر
عرض؟ الغربة الأصعب غربة روحك التي تتركك مغتربا
داخل بلدك، وسط أهلك وأصدقائك ورفاق عمرك الذين
تصاحبهم ويشاركوك في كل كبيرة وصغيرة منذ كنت في
الحضانة بكيس بلاستيك فيه سندوتش جبنة بالطماطم. قلت
لكم: مجانيين نحن!

أعترف بأن أكثر شيء فقدته وشعرت بقيمته، ومنذ أن خطت
قدمي أرض المطار أو أرضية حمام المطار بالتحديد هي
الشطافة.

- كيف.. هذا..!

خرجت وأنا ألهث وأشير بيدي إلى التواليت وإلى المسكينة
التي كانت تغسل يدها. نظرت إلى في عدم فهم فاكنتشت أني

أهذي بالعربية. أعدت سؤالي بسخط فهزت كتفها وخرجت بسرعة.

لا تصدق من يقول لك بأن الغربة تميته وتوجعه. ما يميئك ويثير حنقك بحق هو عدم قدرتك على إكمال حمامك بأمان. حمدت الله أن جعل طهارتنا ببضعة قطرات للمياه وليست عبر قتل أنفسنا مثلما كان يفعل بنو إسرائيل. ذات مرة استوقفتني كل من ماتيلدا وآن لتسألاني بجدية عن تلك الزجاجة الصغيرة التي أحملها معي في طريقي من وإلى الحمام.

- هل هي مطهر أم دواء؟

سألنا في شك. فضحكت. أخبرتهما أنها فعلا مطهر. وبعدما انتهيت من الشرح اتسعت عيناها في إحترام.

- لم أكن أعرف أن الإسلام بهذه النظافة!

قالت ماتيلدا وهي تشد على يدي. أمّنت أن على كلامها بإيماءة من رأسها وتربيّة على كتفي. لماذا أشعر وكأنني حزت ميدالية مذهب في سباق عدو؟ لم انتصبت الشعرات في يدي التي تربت عليها ماتيلدا في زهو. ثم لماذا ينظران إلي وكأنني ملاك أتى يعلمهما مبادئ الطهارة؟ لم أتوقع كل هذا في الحقيقة ولكن لا أنكر أنني قد شعرت ساعتها بفخر لا حدود له.

يتساقط الثلج بجنون...
جو رائع للمشى! أتيت بموبايلي
- من مستعد لفسحة في البحيرة؟
أرسلتها على جروب الواتس الخاص بنا. تابعت الثلج حتى
أطلقت ناتاليا من غرفتها المقابلة وأزاحت الستائر، أطلقت
صرخة عالية علامة الموافقة، ثم اقتربت من زجاج شباكها
وطبعت عليه قبلة.

خرجنا ناتاليا وأنا...

اتفقنا أن نذهب للمبنى الرئيسي أولاً لنأخذ بعض المشروبات الساخنة، وفي طريقنا للخروج توقفت ناتاليا وأشارت بيدها نحو السقف.

- تقريبا كانت هنا.

رفعت رأسي ناحية السقف الذي تشير إليه

- الحريق!

أخبرتني ناتاليا أنها قد قرأت عن الحريق الذي أصاب المبنى الرئيسي عام ١٩١٨.

- كان هذا الجزء مخصصا للخدم

- خدم؟

سألت بتعجب فهزت رأسها بنعم. في بداية إفتتاح الجامعة. كانت الإدارة تعين عاملات للخدمة من أجل القيام بالطبخ وترتيب الأسرة والغسيل وغيرها من الأمور المنزلية عوضا عن الطالبات.

- تعرفين بالطبع أن فاسار كانت جامعة للفتيات فقط قبل الحرب العالمية.

ألقيت نظرة أخيرة على الجزء الذي أصابه الحريق، ثم دفعنا البوابة وخرجنا. قررنا أن نمشي من الباحة الخلفية للمبنى الرئيسي. أكملت ناتاليا بأنه في عصر أحد الأيام الدراسية في أوائل القرن الماضي، كانت فتيات فاسار يتحلقن حول الطاولات ينتظرن التحلية بعد الغداء الدسم الذي تناولنه منذ قليل. كانت تتخلل جلساتهم كثير من الهمسات والضحكات. بدأ الحريق من حجرة الخزين في الطابق السفلي وتم اكتشافه بالصدفة. حين كانت إحدى الخادومات تقوم بتغيير الأسرة وفي

طريقها للمجئ بشراشف جديدة، لمحت لسانا من الدخان فسارعت بإطلاق جرس الإنذار.

لم تحدث خسائر جسيمة بفضل حسن تصرف الفتيات المدربات على الخروج بانتظام ودون تدافع نحو نقطة بعينها أمام المبنى، وفي غضون عشر دقائق كان الجميع بالخارج. وبعد عشر دقائق أخرى أتت المطافئ من بوكيسي. لحسن الحظ لم يمتد الحريق إلى جزء كبير من المبنى لأن الخادمة كانت قد لاحظت الحريق قبل أن يمتد لحجرات الطالبات بالطوابق العلوية. طالبات قليلات جدا فقدن بعض من متاعهن. أما الخادومات فلأسف لم يكن محظوظات مثلهن فقد فقدن كل ما يملكن لأن الحريق كان قد التهم المهجع الخاص بهن بأكمله. اجتمعت لجنة الأمناء في فاسار وقررن فورا صرف تعويضا مناسباً لكل خادمة.

بعد أن تم إخماد الحريق عادت إلى الفتيات إلى الداخل وكونن طابورا طويلا امتد إلى المكتبة حيث تم نقل الكثير من التحف واللوحات لإنقاذها. بعض هذه اللوحات والتحف موجودة في متحف فاسار الآن.

تجاوزنا المبنى الرئيسي الآن وعبرنا الجسر الخشبي (جسر الأمنيات) الذي يفصل القسم الشمالي للحرم عن المكان الخاص بطلاب السنة النهائية. تضمن فاسار لطلابها في السنة الأخيرة الهدوء والراحة التامة وذلك عبر إسكانهم في شقق صغيرة بعيدة عن منازل طلاب السنة الأولى والثانية الصاخبين.

الشقق رائعة بحق. تقع وراء الجسر من ناحية اليسار وتمتد للحرم الجنوبي حتى ملاعب الجولف. المكان هادئ ولكنه ليس منعزلاً. عبرنا الجسر واتجهنا يمينا نحو البحيرة.

وصلنا البحيرة المتجمدة وجلسنا على أول مقعد خشبي صادفنا لنكمل ما نشربه وبعدها نستكمل لفتنا حول البحيرة. كان الجو هادئاً، لا طلاب ولا تزلج، ربما بعد قليل يأتون. أنهينا كوبينا فأخذتهما واتجهت نحو وحش المهملات الآلي الموضوع على بعد عشر خطوات تقريباً من مدخل البحيرة. أنا لا أبالغ هي فعلاً ليست سلة مهملات عادية وإنما وحشاً ذو عيون حمراء يبرقان في الظلام، أو هكذا ظننت عندما قطعت علي الطريق ذات ليلة.

كنت قد خرجت من المبنى الرئيسي متجهة إلى سترونج. كان يوماً طويلاً ومرهقاً بالكاد أنهيت صفوفتي ومقابلاتي مع طلابي في شيكاغو وعملي في فيزا واتجهت بنصف عين أجد أني قد تجمعت وأؤخر أخرى من التعب حينما وجدتني واقفة أمامي. تجمعت وترقبني بعيونهم الحمراء. شهقت وكدت أقع من (الخضة) وهلعت حين رأيت طالبا يتجه نحوها، هممت بالصراخ لتحذيره ولكنه سبقني فمد يده نحو فمها. الواد ضاع!

ثم يلقي فيه بالعبة الفارغة التي كانت في يده.
وفهمت كل شئ...

الوحش ليس وحشا وإنما آلية لإعادة تدوير المهملات!
اه تجد هذا وأكثر في فاسار ماعدت أندھش بعدها أبدا.
مثلا إن حدث ورأيت من شبائك أوأدى بك حظك العاثر
للتأخر في حفلة هنا أو حضور حدث مهم هناك إلى الإرتطام
بمجموعة من الطلاب الذين يجرون عربة محملة بأشياء
غريبة ومغطاه بأوشحة قرابة الحادية عشرة في طرقات الحرم
شبه الخالية ، لا تدع خيالك يخبرك بأنها جثة. حتى وإن رأيت
بنفسك الأصابع المعروقة والرأس تخرج لك لسانها، هز رأسك
ودعهم يمرون فقط بعد أن يهزوا رؤسهم بدورهم. ستعلم لاحقا
أن هذا مشروع التخرج لصف الفن التجريدي ١٠٤. تمام، أنا
أضمن لهم A فقد نجحوا في تجريدي من عقلي بالفعل.
اتجهت نحوها بثبات هذه المرة. لم تعودي مخيفة كالسابق يا
صغيرتي. ألقيت بالكوبين من الفتحة المخصصة وفي الحال
بدأت في عملية الهضم. تمنيت لها وجبة سعيدة وربت عليها
بحنان.

تبادلنا الأخبار عن العمل ..

- سترایدر مبتدئ أم متوسط؟.

هزت رأسها بغير اقتناع!

- مبتدئ. أصلا سترایدر أعلن تخصصه وعنده الكثير من
التخصصات الفرعية إلى جانب عمله في فيزا وغيره وغيره،
لا أعلم لمَ اختار أن يضيف تعلم الأسبانية إلى كل هذه
الفوضى؟!

- كي تنظم الفوضى لديه ربما؟

غمزت لها فتشاغلت عني بتفقد البحيرة !
- الجورائع فعلا.

رفعت رأسها وأخرجت لسانها تستقبل به بعض رقائق الثلج.
ضحكت لمنظرها.
ناتاليا طفلة كبيرة في أواخر الثلاثينات.
- لم لا تعطي سترايذر فرصة يا ناتو؟

أدخلت لسانها والتفتت لي وتنهدت ولم ترد. لم أحول عيني
عنها فزفرت بضيق ..
- أي فرصة يا نون؟ أعطيت من قبله فرصة دامت أكثر من
خمس سنوات فما النتيجة؟
فتحت كفيها!
- لازلت وحدي، بل أنا وحيدة أكثر من أي وقت مضى.

ترى هل سيكون من الأفضل لو كانت لنا ذاكرة السمك؟ ننسى
بعد خمس ثوان فحسب؟ لا ينفع؟ فهذا يعني أن ننسى الحلوى
والوحش وننسى أنفسنا. تمام، ماذا إن عدلناها قليلا لتستمر
طوال أربعة وعشرين ساعة وبعدها تنمحي؟ أيضا لا؟ تخبرني
بأننا نحتاج التجارب الموجعة كي نحتمي من وجع المستقبل.
هممم ماذا إن جعلناها قابلة للتطويع فتكون ملكا ليميننا ؟ كلبك
واحدة وننسى ما ننساه، ونستبقي ما نرغب؟.
ولكن أليس هذا ما يحدث فعلا؟ بالفعل نحن ننسى ما لا نريده،
ننناساه حتى والوقت كفيل بالباقي.

المشكلة أن بعضنا ينسى سريعا وبعضنا يحتاج وقتا طويلا.
بالضبط كمن نومه خفيفا ينعس ما أن يلامس الوسادة، والآخر
الذي يتقلب لساعتين يستعيد أحداث يومه وسنينه كلها.
لا فائدة فينا! الوقت هو الحل.

أعلم تماما ما الذي تتحدث عنه. لم تهتم ناتاليا بشئ طوال فترة دراستها سوى بموادها وكتبها.

حين كانت الفتيات ترغبن بالذهاب إلى المول للتعرف على الأولاد ممن نفس عمرهن كانت تصحبهن ناتاليا تحت ضغط أمها، وما أن تخطو بقدمها داخل المول حتى تتركهم لتتجه هي إلى محل الكتب فتشتري كتابا وتبدأ في قراءته أو تكتفي بالتصفح إن لم يكن معها نقودا كافية.

وقت كانت صديقاتها يتطارحن الغرام مع من يشتري لهن تذكرة سينما وفوشار كانت ناتاليا مشغولة برسم الخطوط العريضة لمن ستقضي معه حياتها كلها لا مجرد سهرة فيلم مسائية من الثامنة للحادية عشرة.

كل الأديان السماوية وبعض من الأديان الموضوعة، حرضت على الزواج والإخلاص لشخص واحد بعينه. وكلها أنكرت علاقات ما قبل الزواج وأسمتها زنا واعتبرتها نجاسة. لكن ناتاليا انبهرت بفكرة الإسلام تحديدا في هذا الشأن. كانت تراها فكرة رومانسية أن تحفظ نفسك لشخص واحد. وأن تفكر وتخطط وتخلق الفرص المناسبة للقائه.

لربما كان هذا سببا في تقاربنا السريع لأن ما تفكر فيه بالذات قمت أنا بالتعبير عنه حين سُئلت يوما ما في الخريف الماضي. - في الارتباط عندكم ليس مسموحا بممارسة الجنس إلا بعد الزواج؟

- بالظبط. العلاقة الجنسية دون زواج في الإسلام تعتبر زنا.

أعدت خصلة نافرة من شعري

- لكن لا يتبع الجميع تلك القاعدة!

- وفي المسيحية عندنا كذلك. إذا ما علمت جدتي بأمر صديقي ستصاب بصدمة.

قالت آن وهزت ماتيلدا كتفها ..

- فعلا كانت الأمور مختلفة وقتهم.

كانت ناتاليا تتابع بصمت. ضربت آن على صدرها برفق وتنهدت ..

- اه أنت تحتفظين بنفسك لمن تختارينه صح؟ هاه يا للرومانسية!

ضحكت ساخرة

- هناك لا يرونها رومانسية، يسمونه زواج صالونات.

- معنى هذا أنكِ عذراء؟

سأل كازو، فضحكت. ليس لغرابة السؤال، (هناك) ليس غريبا أبدا. أما (هنا) ليس غريبا فقط وإنما غير مقبولا من الأساس.

مثلا لو سأل أحدهم منصوره عما إذا كانت مارست الجنس من قبل ل قالت للمجنون الذي (هبت منه) ..

- أكيد أمال ايه، مع أمك.

وهذا تزامنا مع تهشيمها لوجهه وسبه ما يقرب من مائة وستة وثلاثين مرة وهذا كله دون أن تنسى أن تطلب مني أن (أسد وداني). أنا ايضا إذا ما سألني واحدا من بلدي له نفس عاداتي وتقاليدي هذا السؤال لربما صفعته وسببته دون أن أسد أذني.

فالسؤال يختلف معناه تماما ما أن يخرج من نطاق قارنتا الحارة لقارة الشمال البارد. هنا لا يراد من وراءه اختبارات شرف ولا يقصد منه شك أو إهانة لأن من سأله لا يشاركني

نفس الخلفية ولا نفس العادات. أما هناك فسؤال مثل هذا لا يعني إلا الإهانة والجنون.

لذا فأنا حتى لم أندesh ولم أتوقف لأفكر - نعم يا كازو!

وغمرت ..

- وصدقني يا صديقي الموضوع ليس سهلا أبدا.

- طبعا ليس سهلا.

صرخت ناتاليا وضحكنا. بعدها كان دور ناتاليا وحكت بأنها ارتبطت وتزوجت بزميل لها بعد أن تخرجت من الكلية وحتى قبل أن تأتي إلى فاسار بسنتين.

- كان الأول؟

- والأخير.

قالت ناتاليا بسرعة. نظرنا كلنا نحوها باستفهام. غمرت لكازو

- أصبت بعقدة نفسية من الرجال كلهم.

وانفجرنا كلنا بالضحك.

لذا أنا وناتاليا ودون تدبير منا كنا على نفس الصفحة تقريبا. ندرك جيدا مدى صعوبة أن تفكر عكس التيار. تحملت ناتاليا الكثير وحينما وجدته كانت مؤمنة بأنها أخيرا وجدت المختار. كان الانتظار يستحق ولا شك. تزوجته. أفنت نفسها في علاقة اكتشفت بالصدفة البحتة أنها زائفة. سنتهما الخامسة معا كانت صعبة. سنة كاملة كانت تخرج من السادسة صباحا لتعود في الثامنة مساء.

هو فقد عمله وهي اضطرت أن تعمل في وظيفتين من أجل إعالتهما. لم تشتكي ولم تتوقف لحظة لتفكر.

- كان يوم جمعة.

أوضحت، حينما كانت عائدة من شيفت الوظيفة الثانية، تمنى نفسها بعشاء رومانسي وبسهرة طويلة أمام التلفاز في حضن حبيبها، فتحت الباب ونادته، كانت دائما ما تتناديه قبل حتى أن تضع شنطتها من على كتفها. أتاها صوت التلفاز يذيع مباراة مصارعة، أغلقته واتجهت نحو حجرة نومها، أيضا لا أحد. أخرجت هاتفها تطلبه لربما خرج. غير موجود بالخدمة. أخذ القلق ينهشها، شئ ما خطأ. هاتف أنبأها بأن تتجه إلى دولا ب الملايس تفتحه عن آخره لتجده فارغا تماما من ملابسه! - تركني دون كلمة واحدة. لم يترك حتى ملاحظة على باب الثلاثة. لا شئ.

هزت كتفها وتابعت

- ما لم أفهمه هو لماذا؟ لماذا رحل دون أن ينهي الموضوع بشكل لائق؟ ألا تستحق خمس سنوات وداعا محترما؟ فقط لو أخبرها؟ لو أعد لها عشاء وشكرها وأخبرها بأنه لا يريد أن يكمل حياته معها، لكانت تفهمت ولكانت قدرت على الماضي قدما. لربما ظلا أصدقاء حتى. لكن أن تقرر وضع نهاية دون أن تكلف نفسك عناء تنفيذ تلك النهاية بالشكل اللائق لهو العذاب بأحق صورته.

أمسكتها من يدها لأوقفها

- تعالي لنتمشى.

رائعة البحيرة وهي نائمة في الثلج هكذا. الشجر أبيض وبلا أوراق.

السنابج في بيوتها. البط في عشه. صعدنا التلة لنرى المشهد من أعلى.

كادت ناتاليا أن تقع مرة ووقعت أنا مرتين. وفي المرتين أوقعتها معي، وأخيرا صعدنا التلة، أمسكنا بيد بعض ننظر للأفق.

كانت السماء بيضاء تماما دون أثر للشمس. لم تتوقف ندف الثلج عن التساقط ولكن الرياح لم تكن قوية.

أخرجت هاتفي المحمول. خلعت قفازي وضبط الكاميرا على وضع الصورة الذاتية، أعطينا ظهورنا للبحيرة كي تظهر معنا في الخلفية. احتضنتني ناتاليا وابتسمت في انتظار الصورة. طال انتظارها فسألت..

- ما المشكلة؟

- احم لا أستطيع الوصول لزر الإلتقاط.

كانت ناتاليا هي من وقعت هذه المرة من الضحك وشددتني معها. لم نقم فوراً هذه المرة وإنما استلقينا على ظهورنا وفردنا أيدينا وأرجلنا لنصنع ملاكا من الثلج. أخذت ناتاليا الهاتف وقامت بالتقاط الكثير من الصور لنا. هممنا بالنزول ولكني توقفت وأشرت لناتاليا لترى الزلاجة المتروكة خلف الشجرة "استخدمني من فضلك!" قالت الالفة.

نظرنا لبعضنا ناتاليا وأنا ودون كلمة زيادة حررناها من الثلج. لوح بلاستيكي كبير يتسع لي وناتاليا سنضع الزلاجة أعلى التل وستنزلح نزلوا حتى حافة البحيرة. ثبت الزلاجة حتى جلست ناتاليا أولا وبعد أن استقرت ..

- هاه تمام؟

أومات فاتخذت موقعي في المقدمة

- تمسكي جيدا. أحاطت وسطي بكلتا يديها. زحزحنا الزلاجة ببطء حتى بدأت في التحرك وحدها ..
- مستعدة؟
- سألتني ناتاليا وقبل أن أرد زادت سرعة الزلاجة نحو الأسفل.
- اه يا ناتاليا! ماذا فعلنا؟
- تعالت صرخاتنا وضحكاتنا معا حتى ارتطمت الزلاجة بحافة البحيرة لتقف ..
- هووف ، اه أخيرا!
- قالت ناتاليا بإرتياح وهي تربت على وجنتيها المحمرتين.
- ودون اتفاق منا قمنا بسرعة نندافع
- أنا من ستكون في المقدمة هذه المرة.
- لا، أنا.
- وتسابقنا للأعلى لنعيد التجربة.

ميم

انسكبت القهوة على الأرض وانكسر الكوب الصغير. أتى حمو
 مسرعا يتسائل عما حدث.
 - معلش معلش دلِق القهوة خير.
 قلت بسرعة...
 مط أستاذ نبيه شفتيه معترضا وضرب بعكازه
 - إيش فهمك انتي؟
 عاد حمو ليأتي بممسحة وهم الأستاذ أن يكمل وصلة صراخه
 لولا أن تم إنقاذي في الوقت المناسب
 - ايه ياجدعان يعني اتأخر شوية الاقيكو كسرتوا الكوبايات؟
 هش وجه الأستاذ وعلت وجهي ابتسامة
 - ياه يا عبدالحميد انت غطسان فين؟
 - وحشتني يا أستاذنا وانتي كمان يا منصوره، امال فين بلال؟
 جذب كرسيا وهو يتلفت حوله.
 - راح يشوف طلبية كتب وراجع.
 هز رأسه وربت على كتف جاره
 - عامل ايه يا أستاذنا وأخبار الشغل ايه؟
 مط الأستاذ شفتيه
 - اهو ماشي.

أتى عم بلال وتبادل التحية مع عبدالحميد وفي دقائق علت
 الضحكات وسط طرقات الطاولة وأنفاس الشيشة. لا يتوقف

الشاعر عن الكلام. إن لم يكن ينشد الشعر فهو يغني. وإن لم يكن يغني فهو إما (يناكف) في الأستاذ أو يتجاذب أطراف الحديث مع عم بلال ومع.

- هي دي أيام ولا دي قهوة دى؟ فين لما كانت الكراسي عاملة زي المنحل من كتر الطلبة والموظفين والناس الحلوة؟

أشار بيده وقلب شفتيه ممتعضا ثم أردف بصوت عال

- بذمتكوا دي أشكال تقعدوا وسطها دى؟

تلقت حولي في محاولة لرصد ردود فعل الناس إلا أنه لم يبد عليهم أن سمعوه. وحتى إن سمعوا فلا يقدر أحد على التدخل

بأمر من صاحب القهوة شخصيا

- الترابيزة دي خط أحمر يقولوا ويعملوا الي يعملوه اه.

يعيدها عم منصور ويزيد فيها صيفا وشتاء. تابع عبدالحميد الولولة على ما مضى وعلى الوقت الجميل المدهونة ذكرياته

بالسمن البلادي الأصلي

- مش المضروب بلبن بودرة بتاع اليومين دول.

ثم يعتدل على كرسيه ويأخذ نفسا من الشيشة ويطلقها في وجهي. ويذكرني بأن هذه القهوة قهوة العظماء. وهو لا يقصد

الطلبة القدامى ذوو الطرابيش والأشكال النظيفة فحسب وإنما يشير بيده إلى اللوحات المعلقة لأم كلثوم وأنيس منصور وعبد

الوهاب وعبدالحليم ووجوه أخرى لم أتبينها ولوحة كبيرة لعم منصور صاحب القهوة.

- أم كلثوم كانت بتيجي هنا امال ايه!

يقول وهو يضربني بلسان الشيشة حينما أهرز كتفي غير مصدقة. يلتفت للأستاذ

- كانت بتيجي هنا الست أمال ايه!

فينظر الأستاذ لي ويضرب عكازه

- إيش فهمك انتي؟

فأضحك...

الست كانت تأتي إلى قصر الشناوي لإحياء حفلات مع عبد الوهاب ولحق بهما عبد الحليم.

- المنصورة كانت بتتقفل يوميها.

كان صغيرا وقتها ولكنه يذكر حلم أبيه الذي تلبسه بدوره، بأن يعطيها أشعاره تغنيها "ولو ببلاش." اه إذن الموهبة متوارثة.

يجذب نفسا طويلا آخر ويربت على كرشه

- عارفة أبويا دخلني الحفلة في الدرا مرة ولا مرتين وشفتها. اه شفتها امال ايه!

وحينما سألته كيف أدخله أبيه وماذا كان يعمل؟ أخبرني بأنه كان أسطى كبيرا في الرخام.

- أبويا هو إللي مَرَّكَب السلاَم إللي في قصر الشناوي.

عرف أبيه بميعاد الحفلة ولأنه يعلم كم كان ابنه مولعا بفكرة لقاء الست فقد أمّن له الدخول من مدخل سري لا يعلم به سوى عمال القصر.

- أنا أول ما سمعت صوتها اتسطلت.

انتفض على كرسيه فجاء

- لكن مرة أبويا ساب لها ورق أغنية في أوضة المكتب الي في القصر.

كان يظن بأنه ما أن يجده الشناوي بك سيعجب به وحتما سيعطيه لعبد الوهاب الذي بدوره سيلحنه للست أو للعندليب هذا إن لم يطمع فيه ويغنيه هو بالطبع.

أرفع حاجبي باستنكار، فيستنجد بالأستاذ الذي ينظر لي بسخط

- إيش فهمك انتي؟
غير حمو الحجر
- ما تسمعننا حاجة يا شاعر والنبي.
- تحب تسمع ايه يا حمو؟ حب ولا هجر ولا شوق وأمل؟
مرر يده على كرشه في إستمتاع. درت بعيني بين ثلاثتهم.
شعور بالأمان قلما أستشعره. رغبة غريبة في أن أقوم لأحضن
كل واحد فيهم. عم بلال ينقر بأصابعه على الطاولة صانعا
لحنا يتماشى مع ما ينشده الشاعر.
الأستاذ أغمض عينيه وهز رأسه مع اللحن.

البنت الحلوة دي عينيها..
حلوين حلوين يا خواتي عليها..
يتمنى أروحلها وأقابل أهلها
وبقلبي أقولهم أنا طالب قربها

إن حدثت ووجدت خاتم سليمان أو مصباح علاء الدين لطلبت
أن يتوقف الزمن عند هذه اللحظة.

هذه الحلقة وهؤلاء الناس...

لحظة، أعتقد بأنني سأطلب طلبا آخر: أن تعود أُمي. أنا وأخي
وهي...

فطمت أُمي أخي مذ كان عمره سنة، كي تتمكن من الخروج
والعمل وتركه وراءها. كنا في الشتاء ولكن الجو كان دافئا.

لم أشعر بالبرد أبدا طوال وجود أُمي معي. حتى المطر كنت
أحبه ولا أخافه لأنني كنت أعلم بأن حضنها سيقيني البلى
والبرد.

لا أعلم أين كنا بالضبط...

حينما كبرت عرفت بأنها قرية ميت نخلة مع ذلك لا أذكر أنني
رأيت أي نخل هناك!

امم ربما واحدة فقط!

ولكني أذكر جيدا الغرفة التي كنا ننام بها. كنت أسمع صوت
المطر يرتطم بسقفها الصفيح. بونج بونج بونج. دقائق رتيبة
متتالية.

كانت غرفة صغيرة بها حصيرة وكرسي خشب وطبليّة. في
الركن طشت وباجور وفي الركن الآخر ستارة تخفي ورائها
حماما بلديا صغيرا. الطشت كنا نستخدمه للحموم كل يوم
جمعة. تسخن أُمي الماء على الباجور..

تخلع جلبابها وتجلس في الطشت وتطلب مني أن أصب عليها
الماء.

حينما تنتهي تجذبني معها و(تمرشني) حتى أكاد أبوش. أخي
أيضا كان يناله من النظافة جانبا فقد كانت أُمي تحمله في

حجرها وتتركه (يبلبط) في رغاوي الصابون، وعندما تنتهي من الحمام تأخذ أُمي جلبابها لتغسله وتشره على المنشر أمام الغرفة، وتأخذ الطشت وترميه على الأرضية بالخارج. عندما أغمض عيني بإستطاعتي أن أشم رائحة التراب المختلط بماء حمونا إلى اليوم.

عندما كبرت كنت أرميه أنا لأن ظهرها كان يوجعها إذا ما حملت قشة، أرميه وأقف لحظات أنشم رائحة الطين المبلول ولا أفيق إلا حين تتاديني أُمي للدخول. يوم الجمعة هو اليوم الوحيد الذي نطبخ فيه، كنت أعد الأيام حتى يأتي.

تجهز أُمي الماء الساخن على الباجور وتتركه يغلي ويغلي ويغلي. أحيانا كنت أغفو وأصحو وأسأل:
- لسه يامّه؟

لا ترد أول الأمر فأسألها ثانية لتنتبه..

- لسه شوية ياعين أمك.

وتعطيني كسرة عيش، أكلها سريعا أوأقتسمها مع أخي إن كان مستيقظا. ثم يغلبني النعاس فأغفو وأصحو لأسألها ثانية. أُمي تستيقظ قبل الفجر لتصلي، تأتي بطبق فيه لبن وتضع بجواره رغيف عيش.

أحيانا لا نجد اللبن ونجد ماء عوضا عنه.

عندما تأتي لإيقاظي كانت تجدني منتبهة، ما أن تسحبني أُمي من حضنها كنت أفيق فوراً.

أنا لم أنم منذ ماتت أُمي!

ثم تذهب (لأكل العيش)...

ماذا تأكلين يا أُمي ولماذا لا تأخذيني لأكل معك؟

أسألها ببراءة فتعذني بأنها ستأخذني حينما أكبر وبأنها تتركني من أجل رعاية أخي.

كنت أظل أنا وأخي إلى الظهيرة حتى تأتي أمي بثلاث سندوتشات نأكلها معا وتنام ساعة واحدة وتعود من جديد لتأتي بعد المغرب، وتأتينا بسندوتشين لي ولأخي وحينما أنظر لها تقول بإقتضاب:

- كلت في الشغل.

وتضمني بيد وأخي بالأخرى وتنام دون حراك. أحيانا كنت أصحو على أناتها المتوجعة. وكانت لا تروح في النوم إلا حينما أطبب على ظهرها وأهددها كما أهدد أخي. أعتقد بأنها تفتقد أبي. كثيرا ما تناديه في نومها وتشكوه. تشكو له قسوة الأيام من دونه وتشكوه نفسه على تركها وحيدة.

مات أبي حين كنت في الثالثة. تقريبا لا أذكره، بالرغم من أنني أحيانا وقبل أن أنام أرغم نفسي على محاولة تذكر قسمات وجهه فأفشل.

كنت أسأل أمي عنه وأطلب منها أن تحكي لي حكاياته طوال الوقت.

لا هي تمل من الحكاية ولا أنا أمل من السؤال.

عندما كبر أخي قليلا كانت تسمح لي أمي بأخذه معي والذهاب إلى كُتَاب الشيخ محمود في أول الشارع. في الحقيقة كنت في بادئ الأمر أذهب لأنه يعطيني القرص العجوة.

كنت أخفي واحدة في جيبتي وأعطي واحدة لأخي وأخذ واحدة. ومع مرور الوقت أحببت الذهاب لأن الشيخ محمود كان رجلا طيبا.

لم يرزق بأولاد ففتح الكتاب كي يقضي وقته مع أولاد الحنّة.
علمني الكتابة وقراءة القرآن، وحينما مات توقفت عن الذهاب
وانقطعت القرص العجوة وازددت جوعا.

حتى أنت أُمي في يوم ومعها طاسة كبيرة تخفيها تحت
طرحتها السوداء الطويلة. ناددتني أُمي فهرولت نحوها وأنا
أحمل أخي بين ذراعي.

- ايه ده يامّه؟

كانت الرائحة خلابة.

- يلا هناكل يا منصوره.

أخذت أكل دون أن أعرف ما الذي أكله بالضبط.

- رز وفاصوليا.

وضّحت أُمي

- وايه ده يامّه؟

- دي فراخ يا منصوره.

وحينما سألتها من أين تأتي تلك الفراخ، توقفت أُمي عن الأكل.
رأيت بعيني الأكل يتكور ويقف بعناد في (زورها) لا يبغي
النزول. جاهدت حتى ابتلعتّه. وانفطرت في بكاء يشبه العويل.

كبرت وزاد إلحاحي وزادت أسألتي...
أين تذهبين وماذا تعملين ولماذا لا يمكنني العمل معكِ؟
أخبرتني أمي بأننا
- أصلا مش من هنا.
وبأننا من الصعيد الجواني.
- من فين يأمّه؟
تخبرني أنها قرية في أسوان.
- مليانة نخل.
تتنهد
- كنا ولاد أصول وكان عندنا قيراط أرض بنزرعه وناكل
منه.
وعندما أسألها لماذا تركنا أرضنا؟ تنكس رأسها
- ماحدش بيسيب أرضه بخطرّه يا منصوره.
وفي يوم غائم لم يتوقف فيه المطر عن الهطول تبعّت أمي دون
أن تدري حتى وجدتها تدخل بيتا على أطراف القرية. تمكث
فيه ساعة وتخرج. تمشي باتجاه الناحية الغربية وتدخل بيتا
آخر تمكث فيه ساعة أخرى وتخرج. وهذه المرة تحمل كيس
بلاستيك تحت طرحتها السوداء. لم أفهم ماذا يحدث. أخذت
تدخل وتخرج هكذا حتى قرب الظهيرة. دخلت سرايا كبيرة
محاطة بسور عالي واختفت عن ناظري. جريت ناحية البوابة
وانتظرت قليلا حتى لا تراني أمي. رأيتها تدفع الباب الداخلي
كمن اعتادت ذلك. خطوت وراءها وتوقفت حين شعرت بيد
قاسية توضع على كتفي!
- انتي مين يابت وداخلة تتسحبي كده ليه؟

فزعت ولم أنطق. التفت لأجد خفير السرايا برأسه الأصلع
وأسنانه المسودة حاملا بندقية صدئة على كتفه. بلغت ريتي
وأزحت يده ..

- مسميش بت! أنا بنت الست الي دخلت دى.
قلتها وهرعت للداخل. التفت ورأيت وأنا أجري فوجدته لازال
محملقا يتابعني بفضول. تسمّرت أمام الباب غير قادرة على
دفعه. لست أدري ما الذي سأجده وراء الباب. جبت وتملكنتي
رغبة مفاجأة في الجري نحو غرفتنا حيث تركت أخي. لكني
سمعت صرخة أمي فلم أحس بنفسي إلا وأنا في منتصف بهو
واسع لم أقدر على رصد نهايته. صرخت ..
- ياني يامه!

كانت أمي ملقاه على الأرض تقاوم رجلا هائل الحجم لم أر
في مثل ضخامته. ناديتها. فتوقف الرجل وقامت هي بسرعة
تسألني من وسط لهاثها ..

- منصورة! ايه الى جابك هنا؟
لم أرد. فقط نظرت إلى الغول المائل أمامي. كان يعدل من
جلبابه ويمشي أصابعه على شاربه الطويل الكث. نظر لي
الرجل بتمعن. شعرت بأن نظراته تحرقني فاحتميت بأمي.
جسدها الهزيل اشتد كي يحميني من كيان لا أفهمه.
- ايه الي بيحصل هنا؟

انتفضنا وانكمش الغول ورفع رأسه ناحية الصوت في أدب.
رفعت رأسي أنا الأخرى لأجد سيدة عجوز تستند على عكاز
وتقف أعلى السلم. أه هناك سلم ؟ أين تنتهي تلك المتاهة؟ هتف
بها الغول أن كل شئ تمام ونظر لأمي التي تمتعت :
- وقعت يا ستى.

قطعت كلامها لتتنظر إلى الغول..

- وسيدي كان خارج و..

تلعثمت ولم تكمل كلامها. نظرت لي السيدة بتساؤل فضمتني
أمي..

- منصوره بنتي.

تفحصني الرجل ثانية وهمس باسمي ثم لعب شاربه ومشى.
شدت أمي من ضغطها عليّ. حتى بدا وكأنها تريد أن تعيدني
إلى داخل رحمها ثانية. تأوهت فأفاقت وتركتني أطلع السلم
حين فتحت لي العجوز يدها.

أفقت من شرودي على هتاف عم بلال ويد عبد الحميد الشاعر تهزني لأنتبه.

- بقولك كله من أدهم صبري!

أوضح عم بلال بانفعال بأن الروايات المكدسة بأبطال مثالين هي السبب في عدم استيعابه كمية العهر الأخلاقي التي تحدث حوله.

أخذ الشاعر نفسا من الشيشة وشرع يخبرني عن ابن خالة زوجته الذي تزوج بنت عمه من خمسة عشرة عاما. كانت أكبر منه بعشر سنوات إلا أن أباه أقنعه بأن السن لا لزوم له بين أولاد الأصول. خصوصا وإن كان لبنت الأصول ميراثا يزيد على الثلاثة ملايين بقليل إلى جانب المزرعة الكبيرة والسرايا القبلية.

وبالفعل تمت الزيجة في حضور الأهل ومباركتهم. وعاشا في تبات ونبات إلا أنهما لم يرزقا بأولاد ولا بنات. وحينما أصرت أم العريس على أن يذهبا للطبيب قبل مضي سنة من زواجهما أخبرهما الطبيب بأن كليهما سليما ولكنهما لن يستطيعا الإنجاب معا.

- امال ازاي باللاسلكي؟

سأل الأستاذ بنفاذ صبر فأشار له الشاعر بيده أن ينتظر. العريس والعروسة قادران على الإنجاب إن انفصلا وتزوجا من آخرين أما بقائهما معا لا ينتظر من وراءه بنين. لذا حينما علمت ابنة العم اجتمعت بزوجها وعمها وأخبرتتهما بأنها لا مانع عندها من البقاء مع ابن عمها على المرة قبل الحلوة، مؤمنة بقضاء الله. أما إن كان لديه الرغبة في الخلفة فعليه أن

يطلقها كي تتزوج هي الأخرى وتنعم بابن أو بنت يقران عينها قبل أن يجري بها العمر.

هرع عمها نحو المصحف ووضع يده عليه يخبرها بأن أخيه وصّاه على بنته الوحيدة وبأنه سيصون العهد. أما من ورائها فقد مالت الأم على أذن ابنها بأن..

- لازم تتجوز عليها وإلا هغضب عليك ليوم الدين.
وبأن..

- حرام عليك يابنى عايزة أشوف ولادك قبل ماموت.
لكن العم كان واعيا فمال على أذن ابنه هو الآخر وأخبره بأن صحيح قد تكون هذه الزيجة لا بنون من ورائها لكن ورائها المال، الكثير والكثير من المال. فلا داعي لأن يخاطر بفقدان هذا الميراث الذي جاء له على الطبطاب وبأن..

- اصبر يا ولا لحد ماييقاش فيه من مراتك رجا وساعتها تطلب بعزمك إنك تتجوز. وساعتها الشرع كمان هيقف معاك.
- وحصل ايه ؟

هز الشاعر رأسه نافيا

- تعب ومات.

- والله خير الماكرين.

- يلا الله يجحمه ماطرح ماراح العرة النطع، مبقاش فيه أخلاق ولا حساسة والله.

- اه فعلا الناس الحساسين دول نعمة.

هز عم بلال رأسه فغمز له الشاعر

- اه امال ايه! بشرط نعرف بيحسسوا فين بالظبط؟
وقهقه ضاحكا في تلذذ.

أما أنا فكانت تشغلني كثير من الأسئلة. ولكني أخاف من
الفكرة التي تصر على صفع عقلي دون هوادة وتتلخص في أن
من يسأل في بلدنا لابد يتوه أكثر.
- لا مؤاخذه عندي سؤال ،هي الرجولة على العريس ولا على
العروسة؟

استأذنت ومشيت. وحينما أصبحت خارج القهوة لم أتوقف عن السب واللعن. بداخلي غضب عارم ولا تصرف له إلا عبر قتل سائق التاكسي الذي (كسر) على زميله دون أن يعطي إشارة. ولكن مالي أنا؟ إذن التصريف الوحيد عبر المشي. سأمشي من الميدان إلى المشاية.

اه لماذا نتزوج أصلاً؟ لنطعن ونخون؟ أم لنسكن ونرتاح؟ على حسب ما سمعت فهذه الزيجة امتلأت بالكثير من التجاوزات التي تثير رغبتي في القيء.

سرّعت من خطواتي أمر بين العربات حتى وصلت لمكتب بريد ميت حضر وهناك استندت على أول حائط وجدته وسمحت لمعدتي بالتعبير عن سخطها.

مسحت فمي وعبرت شريط القطر. عمر أفندي يهش بحثاً عن الزبائن. لم يعد أفندي. فقد هيبته مع طربوشه. مررت بالحمامات الحجرية المعششات في وسط الشارع معلّنين عن دهانات جوتن. اتبعت الطريق المنحدر ناحية الكورنيش عوضاً عن السير وسط السيارات.

بدأ طابور الحبيبة في التناثر على سور الكورنيش. مركب زينهم للرحلات النيلية ينتظر إكمال عدد الركاب لبدء الجولة للشط المقابل. الوحيد الذي لا يتوقف صيفاً ولا شتاءً. مركب زينهم الراعي الرسمي للسياحة النيلية. والسياسة النيلية في مصر يعني (المنبلة بنيلة) تتكلف اثنان جنيتها إضافياً بدل غرق.

عموما الركاب لم ينتظروا زينهم وبدأوا في حركاتهم المتشنجة تماشياً مع اللحن الشعبي. الطابق الثاني للمركب خال. معظم

الركاب يفضلون التواجد بالطابق الأرضي بجانب (الهدب
والرزع) ولم لا؟ اتجهت ناحية المركب وطلعت.
وبرغم كل ما مررت وما أمر به فأنا لا أزال أنصدم من
البشر وأشعر بالخيبة من ردود أفعالهم. أنا في الحقيقة لا
أغضب منهم وإنما أخافهم. نعم أنا أخاف من كل الناس.
شردت بعيدا في المياه الداكنة التي انتشرت علي سطحها
العلب البلاستيكية والأوراق.

بعدما فتحت لي العجوز يدها فتحت عيني على دنيا جديدة.
علمت بأن أمي تأكل العيش من الخدمة في البيوت. أصررت
على الذهاب معها ..

- مبقيتش صغيرة يامّه.

ألحقت أمي أخي بشغلانة صبي مع نجار القرية. سمحت لي
أمي باصطحابها. وقد تحسّن حالنا. كنا ندخل ونخرج ونتلقى
أجرنا "شوية رز أوبييض ولبن" وأحيانا قليلة بضع عملات
فضية تكدها أمي في برطمان وتعلقه تحت الشباك. حتى
نصل للسراية فتألفت لي أمي وتعطيني ما كسبناه وتأمرنى
بالعودة إلى البيت.

- ليه يامّه؟ أنا عايزة اشوف الست الكبيرة.

تدفعني دفعا دون كلمة واحدة فأتركها وأعود على مضض.
أتلقت ورائي بين الحين والآخر لأجد أمي لازالت ترقبني بعين
واعية. اختلفت نظرة أمي عما كانت قبلا. لم أعد أرى
منصورة الصغيرة التي تركض هنا وهناك في عينها وإنما فتاة
تقترب من عامها الخامس عشر. ولكن لمّ كل هذا القلق يامّه؟
تعود أمي بعدما تنتهي من السرايا لأكون أنا قد جهزت غدائنا.
يأتي أخي ليأكل ومن ثم يعود للورشة. أبقى أنا وأمي نحكي
الحكايات حتى تنعس في ججري. سألت أمي عن اسم قريتنا
في الصعيد وأخبرتني أنها ...

- مليانة نخيل.

سألتها لماذا تركناها وتركنا أرضنا؟ لتخبرني كما تخبرني
دوما ..

- محدش بيسيب أرضه بخُطره يامنصورة!

لكني لم أتركها تهرب هذه المرة فسألتها وألححت عليها حتى اعتدلت في حجري ونظرت للسقف وبدأت تحكي.

قبل شهر من تمام عامي الخامس عشر نمت في حضن أبيك كما اعتدت ولكن تلك الليلة صحت مفزوعة على يده تهزني بعنف. كنت بين الصحو والنعاس فهزني أكثر وأخبرني بأن أكف عن ترديد ما أقول. وعندما سألته ما هذا الذي قلته وأفرعه لهذا الحد؟ ردد ما سمعه مني..

- بلح أسود بيلمع مشفتش زيه ياسي عبكريم.
خاف أبيك من أن أجن كما حدث لستك. لم يدر بماذا يقوم أو ماذا يفعل؟ تكرر الحلم وتكرر الهذيان. أصرت ستك أن نذهب للشيخة فصرخ بها أبيك وطردها من البيت.

وفي نفس الليلة قطع صمت الليل صوت طرقات على الباب. قام أبوك يفتح الباب ليجدها أمامه متلفة في سواد الليل. جاءت صابحة وهددته بأن عليه الرحيل قبل أن تزكم رائحة الدم الأنوف. اتهمها أبيك بالجنون وطردها. تريده أن يأخذني ونرحل ليحدث لنا مثلما حدث مع أبيه وأمه ولكن لا، لن يسمح لها بذلك. لن يترك بيته وأرضه مهما حصل.

تتابعت الأيام رتيبة لا جديد بها سوى ازدياد نوبات هذيانني ونوبات فزع أبيك. وفي ظهر يوم بارد من يناير كنت أهم بأخذ الغداء وملاقاته في الحقل ولكنه دخل على وجهه مصفرا. اقتربت منه أمسك بيديه فأبعدهما عني حتى رأيت الدم يقطر منهما. لا أستطيع نسيان رائحة الدم في يده. تحققت نبوة الشيخة زكمت أنفي برائحة الدم في يد أبوك.
- ايه ده يا سى عبكريم!

لم يرد. أمرني بارتداء جلبابي ودون إبطاء جذبني من يدي
وهرعنا نحو سكة القطر. لم يقل كلمة واحدة طوال الطريق. لم
أعلم أين كنا ذاهبين ولا هو أيضا. تركنا كل شيء وراءنا.
أرضنا وأهلنا وحتى أرواحنا تركناها هناك هائمة بين النخيل.
كل ما عرفته أننا نهرب من مجهول لنجري نحو مجهول آخر.
لم يشح أبوك ناظره عن نافذة القطار. كان كمن يشبع عينه من
كل ماحوله عالما بأنه لن يعود أبدا. بدا القطار وكأنه لن
يتوقف. لست أدري لكم ساعة أوكم يوما انطلقنا. كانت معدتي
تتلقى من الجوع وشفاهي جافة من العطش. نظرت لوجه أبيك
فوجدته جامدا لا روح فيه. خفت.

فقط هكذا وجدت نفسي أرتعش وأرتعش حتى لم أعد قادرة
على احتواء دمعاتي. بكيت وبكيت حتى فقدت وعيي. وعندما
صحوت لم أشعر باهتزاز القطار. لا بد وأن ارتعاشة جسدي
طغت عليه. لمحت الناس تجهز متاعها وتقرب من الأبواب.
اه لا بد وأن هذه محطتهم. رأيت حروفا لاسم بلد لم أفهم منها
شيئا.

أفقت من شرودي لأجد جمعا من الناس قد تحلقوا حولي
وبسيطة عجوز تسقينني ماء وبيدها الأخرى تطعمني بضع
تمرات لم أذق في مثل حلاوتها. التفتت تربت على كتف أبيك
- مبروك مراتك حامل.

تكسر الجمود عن وجه أبيك ولأول مرة منذ تركنا البلد علا
وجهه أمان انتقلت عدواه إلى واقترب مني. لم يساعدي على
النهوض وإنما جلس بجانبني. أخذ من يدي ثمرة قسمها نصفين
أطعمني نصف وأكل النصف الباقي وهمس:
- هنسميها منصوره.

تسرب إلى صراخ طفل يجري بمرح وراء أخيه. وجدت بعض الناس على كراس متفرقة بجانبى. لم أشعر بهم يصعدون. أتى من يلم الأجرة. ومضى دون أن يطلب شيئاً حين تعرّفتى. بدأ المركب في أخذ دورة حتى الشط الآخر. أخذت نفساً عميقاً يعلن عن ملكيتى لهذه الأرض وهذا النيل.

انتهت دورة المركب. نزلت واتجهت نحو فرشتى. لم أرى نجوى منذ صرخت بوجهها آخر مرة. ترى هل اكتفت منى وهربت؟

لم أنتهي من سؤالى حتى رأيت كيس بلاستيك معقوداً ومخبأ تحت الفرشة. جلست القرفصاء وفتحت الكيس. لا توجد رسالة باسم من تركته إلا أنني لا أحتاج الكثير من الذكاء كي أدرك من صاحبه. ابتسمت وأخذت أكل السندوتشات بتلذذ.

أَصْحَابُ الْجِلْمِ

تحركنا أوتوي وأنا قرابة العاشرة صباحا في باص الجامعة لإستقبال وفد الطلاب الجدد. أصيب سترابير بنزلة برد حادة وقد كان من المقرر أن يصحبني إلى المطار ولكن نظرا لظروف مرضه تبدلت الخطة وتطوع أوتوي للذهاب.

- يوم مشمس ،هدية جميلة وسط هذا الثلج. قالها أوتوي بابتسامة رائعة تسري بدفء في عينيه البنية. لا يحتاج الأمر خبيرا لإدراك أن أوتوي لا ينتمي إلى هنا. أوتوي يفضحه عامل قوي لا يتمكن من إخفائه مهما حاول. وكلما حاول إخفائه وتجاهله كلما عانده وبدا جليا في عينيه، الحنين الحنين الذي يفضح كل (مطروود) ويلقي بنفسه من شرفة عينيه عند أول فرصة يقتنصها.

واثقة بأن أوتوي يرى النظرة نفسها في عيني لهذا كان تقاربنا محتما.

تتلاقى أرواح المطاريد دون اعتبارا لحاجز لغة أو دين أو ثقافة أو حدود سياسية.

المصيبة الكارثية عند أوتوي كما اختار أن يصفها هو- أنه لم يكن يعلم صراحة بأن له جانبا آخر غير الجانب الذي يظهر للجميع، وبالرغم من هذا كان يفتقد ما لا يعلمه.

قارب على الجنون. فمنذ صغره اعتاد أوتوي على أن يأمر فيطاع. بكلمة أو إشارة واحدة يركع الجميع أمام الكاريزما الساحرة التي يملكها. بنظرة واحدة من عينيه البنيتين ينال ثقة

من حوله فيسلموه زمام أمورهم عن رضا واطمئنان. كان قائد مجموعة وقت كان في الصف الخامس الابتدائي. كان صف التاريخ بقيادة أستاذة سالي رودريجز يتحضر لرحلة ميدانية لوائي كانيون العظيم. وتم اختيار أوتوي قائدا للمجموعة. اختيار بديهي بالطبع، فالطفل ذو شخصية قيادية بالفطرة. ولكن المشكلة كانت عندما بدأت المدرسة في تجهيز أوراق الطلاب من أجل حجز تذاكر الطيران، حينها فارت المشكلة فجأة ودون إنذار.

علم أوتوي بأنه لا يملك أوراقا رسمية. وعندما سأل أمه أخبرته - لأننا لسنا من هنا يا عزيزي، نحن أصلا من نيجيريا.

وكان هذا الرد الذي جعل عينيه البنيتين تزيد اتساعا على اتساعها ولأول مرة اختبر أوتوي الشعور بالهلع وامتألت عيناه بالخوف.

أصرت الأستاذة على الذهاب بالباص بدلا من الطائرة كي لا تضيع الرحلة على أوتوي. فقد هو الرغبة في كل شيء.

- في لحظة واحدة وبعد إحدى عشر سنة اكتشفت فجأة بأن لي جانبا آخر مظلما لا أعلم عنه أي شيء.

أخبرني وهو يرسم دائرة واسعة أمام عينه. لكن الأستاذة العظيمة وقفت إلى جانبه ولم تسمح ليأسه بالسيطرة عليه. قرر ألا يتم تعليمه الثانوي.

- ما الفائدة وأنا لا أملك المال الكافي للجامعة ولا حتى الأوراق اللازمة للتقديم على منحة؟

وبدأ أوتوي يجهز نفسه لفكرة أنه سيعمل بالمطاعم مثل أمه.

لكن الأستاذة شجعتة على تقديم أوراقه لمنظمة DACA أو أصحاب الحلم. ونجح أوتوي ونال منحة كاملة تكفلت بكامل التكاليف الدراسية في جامعة من أعرق الجامعات في أمريكا. - أحلامي لا سقف لها مثل أمي بالضبط.

يقول أوتوي بين الفينة والأخرى وهو يبتسم ابتسامة حالمة، أم أوتوي مثلها مثل كثيرين، يأتون لأرض الأحلام في محاولة لتحقيق حلمهم. أوفي محاولة للبحث عنه. هاجرت لأمريكا وقت كان عمر أوتوي سنتين. هربت من الفقر والجوع وأتت لأرض الفرص.

أينعم الطريق لم يكن مفروشا بالورود وفرصها كانت قليلة. كما أنها لم تجد حبة شوكولا على وسادتها في الصباحات التالية حين كانت تعود مكدودة بعد مشاوير البحث عن عمل. ولكنها وأخيرا تمكنت من نيل عملا ثابتا في مطعم المدينة ومسكنا صغيرا لها ولابنها الذي ألحقته بالمدرسة وعملت المستحيل من أجل أن يكبر في سلام. ولأنها خافت من أن يتشتت الولد بين أصوله وبين عالمه الجديد فقد أخفت عنه حقيقته وتعاملت معه على أنه أمريكي.

- لم أكن أريد أن ينعنك زملاؤك باللاجئ. خفت من أن تشعر بالضياح والنتيه يا حبيبي.

قالت أمه وهي تحتضنه وتنهه بدموع حبستها لما يزيد على العشر سنوات.

- يكفيك ما تتلقاه من مضايقات حول لونك الأسمر يا صغيري. مرحبا بك في أمريكا! أكبر دولة ديمقراطية/عنصرية في العالم. اعترف لي أوتوي لاحقا!

- في الحقيقة كنت أحس بفقدان شئ ما، عثرت عليه بين دموع أمي في ذلك اليوم.

ومن يومها بدأ أوتوي في القراءة عن بلده وعن ثقافته وأهله هناك.

- وكلما قرأت كلما شعرت بأني منقسما بين شعوري بالغضب لإكتشافي المفاجئ وبين حنيني لأهلي وأصلي وأرضي.

بدأ أوتوي في التعرف على جانبه المظلم وإضائته يوما بعد يوم.

بدأت عينه تتفتح على طلاب كثيرين في مثل حالته. في أرجاء الولايات المتحدة بأكملها واقترب منهم واقتربوا منه وشعروا بأنهم ليسوا وحدهم. وقرروا بأنهم ليس عليهم مداراة الحنين في أعينهم بعد الان.

وصلنا نيويورك ظهرا...

التفاحة الكبيرة التي تغري الجميع بقضمها والتي لا تهدأ أبدا. اتفقنا مع السائق على أن يأتي ليقلنا بعد ساعتين ونصف في نفس المكان.

الجادة الخامسة الشارع ٤٢ غرب محطة القطار، حيث مكتبة نيويورك العامة. ثاني أكبر مكتبة في أمريكا بعد مكتبة الكونجرس بواشنطن. ورابع أكبر مكتبة في العالم. استوقفنا تمثال الأسد الحجري المغطى بالثلوج والقابع أمام المدخل من اليمين.

في المدخل يقف موظف الإستقبال يحيي كل الخارجين والداخلين بابتسامة. إلى جانبه سبورة سمراء مكتوب عليها "مرحبا" بجميع اللغات المعروفة تقريبا.

- هيا نبحث عن مرحبا بالعربية.

قال أوتوي وضحك. أراد أوتوي أن يدرس العربية حينما علم أنني من سادرسه، فالتحق بصف العربية للمبتدئين. بحثت عنها بعيني

- اه هناك.

سبقني أوتوي، تلميذي النجيب. التقت لأوتوي صورة وهو يغمز ويشير بيده إلى الكلمة على السبورة. تجولنا بالداخل. المكان واسع جدا وبه قاعات عديدة للإطلاع. أيضا هناك قاعات للدروس والمحاضرات.

جامعة الولاية تمنح طلابها إذنا بدخول المكتبة وإستخدام كتبها وقاعاتها. صعدنا للدور الثاني لنجد به قاعات أوسع وأكبر. استوقفني لوحة جدارية لرجل يجلس بوقار على مقعد مكتوب تحته اسم المكتبة.

- هذا شعار المكتبة.
أخبرني أوتوي فهزرت رأسي
- أعرف وهو تجسيد للحكمة، نملك مثال يشبهه للكاتب
المصري القديم لكنه مقرص.
غمزت ..
- حتى هذه الفكرة سرقها الأمريكان منا يا بني.
ضحكنا بخفوت...

وخطينا نحو قلب العالم...

تقاطع العوالم والجسر الأبيض كلها ألقاب وأوصاف لميدان تايمز الشهير. اكتسب الميدان اسمه بعد أن نقلت جريدة التايمز مقرها هناك في العام ١٩٠٤. بعدها بثلاث سنوات بدأ تقليد إسقاط الكرة مع العد التنازلي الشهير في رأس السنة.

تقليد يتكرر في رأس السنة ويجذب أكثر من مليون زائر. مؤخرا يتم إسقاط الكرة في مناسبات أخرى مثل عيد الحب والهالوين. يمتد الميدان الشهير في وسط مانهاتن من الشارع ٤٢ إلى ٤٧ غرب. متضمنا الكثير من المحال التجارية العالمية ولافتات الإعلانات ذات الألوان والإضاءة الجذابة التي تخطف الأنظار. يعتبر الميدان من أكثر المعالم السياحية جذبا للسياح بالعالم، ١٣٠ مليون سائحا سنويا. هذا يعني ما يقرب من ٣٣٠ ألفا في اليوم الواحد. تلفت حولي أرقب الناس والوجوه المتعددة التي تمضي هنا وهناك.

وجه أسمر وبني وأبيض وأحمر، شعر أسود وآخر أشقر، رؤس أخرى مغطاه بحجاب وغيره. الكل يمشي مشدوها. ترفع رأسك عن الوجوه بألوانها المختلفة لتقع عينك على ألوان اللافتات المجنونة والفيديوهات المعلنة عن برامج وأفلام. تكلفة الإعلان في الميدان تبدأ من مليون إلى أربعة ملايين إذا ما أردت حجز لوحة إعلانية. هاهي إلين ديجينرس تطل علينا في لوحة عملاقة تحتل الواجهة الأمامية من مبنى على يساري. اللوحات الإعلانية تقترب في اتساعها من ملعب كرة قدم وتمتد لما يقرب الثمانية أدوار.

مبنى آخر على يميني يذيع جزءا من مسرحية علاء الدين التي تعرض حاليا في مسارح برودواي على بعد خطوات.

يشدني أوتوي من يدي لأنظر إلى التجمهر البادي أمامنا في
الجهة المقابلة من الشارع. رجلا يحتضن ابنه وأخرى تقبل
ابنتها. وهذان المتحابان يحتضان بعضهما ،أخران يتبادلان
القبلات ويقفان وكلهم يبتسمون ويضحكون ويلوحون لمبنى
آخر أمامهم. دقت النظر، هم لا يلوحون للمبنى وإنما للالفة
الإعلانات التي تحتل واجهة المبنى. كل عشر دقائق تلتقط
كاميرا مثبتة في الالفة صورة للواقفين وتحيطها بقلب كبير.
- عيد الحب!

قال أوتوي فبرقت عيني في فهم.
جذبني أوتوي رغما عني كي نستكمل الجولة. محل إم أند إمز
على مقربة. دخلنا المتجر وغرقنا في الشوكولاتة. مررنا بالكثير
من محال الملابس العالمية على عجل. إتش أند إم وجاب
وفور إفر تونتي ون وسيفورا.

أما إذا ما كنت تحب الموسيقى عموما والروك بشكل خاص
فأنا أرشح لك هارد روك كافيه. هو أصلا سلسلة من الفنادق
والمطاعم تتوزع فروعها في أمريكا كلها. يعتبر الكافيه علامة
تجارية مسجلة لعاشقي موسيقى الروك. ويحتوي على الكثير من
الألات الموسيقية. أنواع كثيرة جدا للجيتار واليوكولي لي.
تستطيع تجربة الجيتار والعزف عليه.

وبالطبع التقطنا الصور،الكثير والكثير من الصور. ولا تنس
قبل الخروج أن تصنع تذكارا لك. انتظرت دوري في الطابور.
كان أوتوي يجرب بعض التي شترات التي تحمل طبعة واسم
المحل بالقرب مني.
أمسكت بنظارة أجربها حتى يأتي دوري.

انتهى الاثنين قبلي فأخذت دورى أمام الماكينة. وقفت دقيقة أقرأ التعليمات. قلادة على شكل قلب بخمسة وعشرين دولاراً. أما تميمة الجيش بعشرين. خاتماً بخمسة عشر. وإسوارة بثلاثين. اخترت قلادة الجيش. استخدمت بطاقة البنك للدفع. حسناً التالي. اختر النقش الذي ترغب به.

نقش ملون أو أبيض وأسود للوجوه المحل. أنا أحب النقيضين وأجمع بينهما في كثير من الأمور. الخطوة الأخيرة أدخل اسمك وتاريخ اليوم وأي مقولة أخرى تحبها. وقفت أفكر للحظة، ثم ضغط زر التأكيد.

ظهرت رسالة تخبرني بالانتظار ريثما يتم صنع القلادة. وقفت أتابع العملية في فضول. كنت فرحانة جداً الحقيقة. صدر صغير خافت ورسالة تعلن عن إنتهاء العملية بنجاح. يمكنني مد يدي والتقاط القلادة من الركن المفرغ أسفل الماكينة الآن. التقطتها أوتوي بدلاً عني وسأل..
- من تكون منصوره ؟

تبدأ الشمس رحلتها اليومية بالشروق. وجه رقيق يمتاز
بحنّ البدايات وشوقها، العنوان: الأمل.
بعدها تخطو الشمس بثبات. تمر بالكثير من المواقف والحكايات
الجميلة التي تقابلها بابتسامة فتحنو على مريديها وتملأ سماها
بسحابات بيض تذهب عنا حرها. أما الحكايات التي تثير غضبها
تدفعها للسخط على كل من تلقي بأشعتها عليهم فتحيل نهارهم
إلى جحيم. تتعثر خطواتها، تمشي خطوة وترجع عشرة. وأخيرا
تلتقي بمن تطمئن له. تثبت أخيرا في حرارتها ووهجها حتى
تستقر في العصرية. العنوان: المثابرة والنضج.
تمشي جنبا إلى جنب مع حكاياتها وذاكراتها الجميلة وتتكى
على كتف حبيبها على سور الكورنيش وتقف رموشها على
رحلة عمرها وقت الغروب. العنوان: بداية الرحلة. بلى
البداية، فلا نهاية لمن بدأ بأمل وثابر وحاول.
منصورة مثل الشمس تمام. لها أكثر من وجه وأكثر من حال
لكنها أولا وأخيرا منصورة.
كيف أخبرك من هي منصورة يا صديقي فأنا نفسي لا أعرف.

خرجنا من المحل. واتفقنا على الاتجاه نحو السلم الواسع
ذو الدرجات الحمراء. لا تخلو تلك الدرجات من الناس. ارتقينا
الدرجات نلتف من حول هذا ونمر من بين الجموع المتفرقة.
وصلنا لقمة الدرج. أخذت ألتفت بعيني أحاول التهام كل ما
حولى. اللافتات الملونة على يميني ويساري. هناك قناة
تلفزيونية تجري حوارا مع بعض السائحين بأسفل السلم.
مجموعة من الطواير الطويلة وراء الدرج تقف حول أكشاك
متفرقة. جذبت أوتوي من يده أسأله

- ايه الطوابير دي يا إفي، هل يقوم المارينز بتوزيع اللحوم هنا؟

ضحك في عدم فهم. أخبرني أنها أكشاك قطع التذاكر في برودواي. يمكنك بالطبع حجز التذاكر أونلاين قبل موعد العرض بشهور. ولكن إذا ما قررت دخول المسرحية دون تخطيط مسبق فالأكشاك هي الحل الأمثل. بالإضافة إلى ذلك فإن الأكشاك تقدم عروضاً ممتازة لبعض المقاعد. مثل القرعة تذهب وتدفع تسعين دولاراً لمقعد يتكلف ما لا يقل عن ١٥٠ دولاراً. برقت عيني في إستماع.

جلسنا على الدرج نشرب بعض القهوة ونأكل الهمبرجر من شيك شاك. اقترب الموعد. باقى عشر دقائق على اجتماعنا بالسائق. ألقيت نظرة أخيرة حولي. نزل إفي درجة سلم ورفع رجله ونزل درجة أخرى وتوقف. تابعت في فضول أشار لي بالإنضمام إليه. تبعت حركاته. اه نحن نرقص على درجات السلم وكأنها مفاتيح بيانو. قهقهنا ضاحكين في فرح.

تفقدنا مواعيد وصول الرحلات في لوحة المطار الإلكترونية. ستصل أول رحلة في غضون نصف ساعة. كنا قد قضينا الأمس في رسم بعض اللوحات الصغيرة باسم كل طالب على حدة.

راجعت قائمة الأسماء وقارنتها بأول اسم منتظر وصوله. أول طالب سيصل من المملكة المتحدة واسمه آدم عمر. ترى هل هو عربي؟ ليس ضروريا. آدم وعمر اسمان عالميان. جنسيات كثيرة تطلق هذا الاسم على أبنائها. مثل اسم سارة وليلى وسوزان عند البنات.

ثم ماذا إن كان عربيا؟ عن أي شيء تبحثين بالضبط يا نجوى؟ أم ترى هو ذلك الحلم السخيف الذي أخبرتكِ عنه منصوره؟

استيقظت على رنة الهاتف المتتالية. من سيتصل في هذا الوقت؟

ألقيت نظرة بنصف عين على الشاشة لأجد اسم منصوره. ترى ماذا حدث؟ هل أصابها مكروه؟ هل أخي بخير؟ أختي حصل لها شيء؟ ضغط زر الرد ولم أقدر على النطق. كانت تصرخ بكلمات لم أتبينها فطلبت منها أن تعيد ماقلوه. سمعتها تبتلع ريقها في سرعة في محاولة لتنظيم أنفاسها. وسألتي إذا ما كنت أحلم. لم أفهم.

- انتي مصحيانى الفجر عشان تسأليني لو كنت بحلم؟

صرخت في غضب وطلبت منى بأن أفيق وأسمعها جيداً. اعتدلت في سريري، أمسكت بالمخدة الصغيرة أضعها وراء ظهري. قطبت حاجبي بعد أن نجحت لهجتها وكلماتها في إفاقتي، واتسعت عيناى عن آخرهما مما أسمع. بعدها لم أستطع منع ضحكاتي.

أطلقت منصوره سبة وانتظرت حتى سكت ثم أكملت غاضبة - اضحكي زى ما انتي علوزه بس أنا أحلامي مبتنزلش الأرض أبداً.

لم تنتظر ردا منى وأنهت المكالمه غاضبه.

إنتبهت على إفى يهز كتفى

- هاه أين ذهبتي؟

إلقت له ..

- تريد أن تعرف من تكون منصوره؟

أوماً موافقا فى حماس واعتدل فى مقعده يسمعنى!.

كنت قد انتهيت من ترتيب الحجرة ووضعت حلة الكوسة على
الباجور. أخذت أنقي حبات الأرز لأجهزها. دخلنا أنا وأمي
ثلاث بيوت اليوم. نظفت وكنست وغسلت سجاجيد. حتى أذن
العصر. أمرتني أمي بالذهاب للسوق
- نفسي في شوية كوسة.
أعلم بأنها (توزعني) فهي كالعادة لا تريدني معها في السرايا.
- جهزي الأكل وأنا شوية وهاجي.
هزرت رأسي واتجهت ناحية السوق. توقفت في منتصف
الطريق أردت بأن أتبعها مثلما فعلت أول مرة. ولكنها
ستغضب وأنا لا طاقة لي بحزنها.
اشتريت الكوسة التي طلبتها أمي وزدت باذنجانة وبضع
فلفلات. الست من البيت الأول أعطتنا (شوية رز). حملت ما
اشتريت واتجهت للحجرة. الجوحار جدا. يبدو أن فبراير اختلط
عليه الأمر حتى حسب نفسه أغسطس.
الكوسة تغلي. بعدت عن وهج الباجور. لازلت أتصيب عرقا.
فتحت باب الحجرة وأخذت صينية الأرز معي أنقي شوائبها
في الخارج. أسندت ظهري إلى الباب. الذباب في كل مكان. لا
صوت لأطفال الشارع الصغار لابد وأن أمهاتهن نادتهم من
أجل الغداء. وحدي أنا في الشارع وشجرة طويلة لا تهتز فيها
ورقة واحدة. لا أثر حتى للعصافير. ترى أين ذهبوا؟

وقعت عيني على غراب أسود كبير يتربص بي من بين أوراق الشجر. رفرف بجناحيه وكأنه غضب لأنني قد كشفت موقعه السري وأخذ ينعق بصوته العالي. تركت الصينية من يدي والنقط بضع حصوات رشقته بها كي أنهيه عن نعيقه. توقف حتى انتهت حصواتي ومن ثم عاود الكرة وكأنما يعاندني.

أخذت الصينية ودخلت الغرفة بغضب. انتهت لرائحة (شياطين) اقتربت من الباجور أرفع غطاء الحلة كي أطمأن على الكوسة. اخ! ضاعت الكوسة. وجدت الحلة وقد قاربت الصلصة بها على الإحتراق. زدتها بعض الماء وأنا ألعن الغراب في سري. قربت معلقة صغيرة التقطت بها حبة قطعنها بأسناني الأمامية بحرص، وذقتها. اه جيدة ولكنها بحاجة لملاح.

أرغب أيضا في قلي بعض الفلفل والباذنجان لأخي. أخي لا يقضي وقتا كثيرا معي منذ اشتغل في ورشة النجارة. أصبح عصيبا وسريع الإنفعال. أخبر أمي بأن هذا من تأثير صاحب الورشة، ذلك الرجل النزق المتزوج من ثلاثة والذي أراد أن يجعلهن أربعة بإضافتي لهن. وحينما رفضت أمي تقدم لها هي. مخبول.

ألح عليها بضرورة أن يترك أخي العمل عنده - وكفاية انى بشتغل يامّة معاكي واهو حالنا بقى احسن، سيبيه هو يروح المدرسة.

ولكنها تربت على ركبتى وتخبرني بأنها شقاوة فحسب. وبأن - القرشين الي بيحبهم اخوكى أهم بينفعوا في أي حاجة.

أتنهّد وأسكت على مضض. أمي لا تعرف ما أعرفه أنا. فأنا من لا تنام حتى يأتي هوقرب نصف الليل. هي تنام مكدودة بالرغم من نيتها في انتظاره. كل ليلة تخبرني - هرتاح بس على رجلك ومش هنعس.

لكنها تنعس. ذات ليلة انتظرتة خارج الغرفة. رأيته يأتي من بعيد. يتأرجح كمن يسير على حبل. يقدم قدما ويؤخر أخرى. وحينما سألته أين كان، تلعثم وأخبرني أنه آت من الورشة. سألته وأنا أزغده في صدره بغضب

- أي ورشة في نص الليل؟

أطلق سبة ورفع يده عليّ محاولاً ضربي. لم يكن في وعيه. ليس هذا صغيري الذي كنت له أما حتى تعود أمنا من شغلها في البيوت. اعترضت يده في طريقها لخدي وصفعته أنا. صفعه قوية تردد صداها في الشارع حتى ظننت أنها ستوقظ أمي. إلا أن الصمت الآتي من الحجرة نبأني بأنها في سباتها المكدود لازالت.

نكس رأسه ولم يرفع عينه. أخبرته بأن الرجل لا يعود بيته مترنحا في أنصاف الليالي وإنما الرجل من يحيط بيته وأهل بيته برعايته وبأن البيت يحتاج حضوره بأكثر مما يحتاج جنيهاته. هز رأسه بخجل ولم يرد. احتضنته وقدمته للداخل دون كلمة زيادة. كبر أخي للأسف. ليتك بقيت صغيرا يا صغيري.

أرحت حلة الكوسة من على الباجور ووضعت الأرز، أحضرت الباذنجانة الكبيرة التي اشتريتها مخصوص لأخي. أخذت أقشرها حتى أتاني صوت الغراب من الخارج فزلت

السكين من يدي وجرحتها. رميت الباذنجانة وجريت على الطشت أفرغت بعض الماء في وعاء صغير وصببت على يدي أغسلها.

- أما غراب رخم صحيح! جاى تنعق على باب بيتنا ليه ياغراب الشوم؟

عدت لتقطيع الباذنجانة بحرص هذه المرة. قمت بنقعه في الماء كي لا يسود كما علمتني أُمي. قطعت بعض الفلفل ودققت الثوم من أجل التتبيلة. أزحت غطاء الأرز وقبّته.

- الرز معجن النهاردة.

ليست مشكلة أحسن من مافيش. عادت لذاكرتي أرغبة العيش وطبق الماء. هزرت رأسي أهش الذكرى بعيدا. أنهيت تحمير الباذنجان والفلفل. أصدرت معدتي صوتا تعلن فيه أنها جائعة. جهزت ماء الإستحمام لأُمي. أذن المغرب ولم تأتي بعد. خرجت أرقبها. هذا الغراب الأرعن لا يكف عن النعيق. إن بقيت لحظة واحدة زيادة سأتسلق الشجرة وأنتف ريشه واحدة بواحدة. اه لا فائدة. عقدت حاجبي في حزم. تأكدت من غلق البابور. أقفلت باب الحجرة. واتجهت للسرايا.

السرايا لازالت قابعة في مكانها منذ رأيتها وقت تبعت أُمي خفية. لم يتغير شئ. فقط سقط الدهان وتقشر عن جدرانها الخارجية فبدأ الطوب الأحمر وكأن الجدار ينزف دما.

تمام، بدأت أفهم لم تمنعني أُمي عن المجئ هنا. حتى الأشجار التي تحيط بالسور أشجار مقوسة وصلعاء لا توجد بها ورقة واحدة. أي شجر هذا الذي يحمل الهم حتى تقوس ظهره!

تسمرت فجأة حين رأيت الغراب. ترى هل تبعني إلى هنا؟ لا لا لابد وأنه آخر. لم يكن الخفير الذي رأيته أول مرة موجودا. كانت بندقيته مسنودة بإهمال عند البوابة. دخلت بسرعة قبل أن يظهر فجأة ويضايقني بأسئلته السخيفة.

اقتربت من الباب الداخلي. أسندت أذني على الباب ولكن لم أسمع أي صوت. هل أنادي على أمي؟ أم على الست الكبيرة؟ اه ستغضب أمي كثيرا. ترددت من الموضوع كله وهممت بالرجوع. ولكن لا، فليكن مايكون. أخذت نفسا ودفعت الباب بيد مرتعشة ودخلت.

كان البهومظلم. لم يفتحوا الأنوار. مررت بالسلم الكبير وناديت

- في حد هنا؟ يأمه؟

لم يرتعش جسدي هكذا؟ بلعت رiqي وعاودت سؤالي بصوت أعلى

- يالي هنا؟ أنا بدور على أمي.

ردّ عليّ صدى صوتي المرتعش. هممت بالعودة وصعود السلم حين سمعت جلبة في المطبخ. لابد وأنها أمي، ليتها تكون أمي. اختنقت من وجودي في هذا المكان وأنا لم أكمل دقائق عشرة، فكيف تحتل أمي المسكينة هذا الصمت الذي يبتلع كل من حوله وما حوله كثقب أسود؟ حتى النور ابتلعه.

لم يكن للمطبخ بابا وإنما ستارة كبيرة سوداء. اقتربت من الستارة أنوي إزاحتها ولكنها سقطت فجأة. جذبتها يد ما. مهلا أنا أعرف هذه اليد جيدا. لطالما كنست وغسلت سجاجيد. - أمه؟

كانت ملقاه على وجهها، تأخذ نفسها بصعوبة. وجهها حين رفعتها كان داميا ومزرقا. أرحتها على صدري. لا أفهم ما يحدث.

- انتي وقعتي يامه؟

لم ترد...

زاغت عيني في المطبخ أبحث عن إجابة. طاولة كبيرة في المنتصف يتفرق على سطحها بعض الأطباق والسكاكين. ثلاثة كبيرة تزار وتهتز. إلى جانبها غسالة بالكهرباء تقطر منها المياه. رائحة نتنة تأتي من الغسالة. بوتجاز كبير في الركن به أربع عيون حمر ترمقني بتشف. حلة كبيرة مملئة عن آخرها بالمياه التي تغلي وتغلي وتفور على سطحه لتغرقه. تنسسس.....

ستارة أخرى وراء البوتجاز مرفوعة من جانب لتبدو من ورائها أكوام البصل والثوم والبطاطس المكومة. عدت بعيني إلى أمي التي لم يكف جسدها عن الإهتزاز. زادت زرقة وجهها ولم أدر ماذا أفعل. وقعت عيني على زجاجة مياه ملقاه على الطاولة. هرعت نحوها ولكني تسمرت في مكاني حين رأيته يخرج من وراء أكوام الثوم والبصل.

تسارعت دقات قلبي. رجعت للوراء أحتمي بأمي الملقاه على الأرض وقد علا نحيبها المتقطع. كان يعدل من ملابسه دون أن يشيح بعينه عني. إنه الغول الذي رأيته زمان. ازداد ضخامة.

نقلت نظري بينه وبين أمي. ترى هل...

- اسم النبي حارسك انتي كبرتني وادّورتني خالص.

غمز وهو يقترب مني. جذبتني أمي من جلبابي في محاولة منها لشدى للخارج. تخشبت ولم أقدر على الحراك. جاوزني دون أن يتوقف. تنهدت تنهيدة كبيرة سرعان ما أعدت حبسها بصدري حين وقف واستدار لي
- ماتبقي تيجي انتي بدل أمك المرة الجاية؟
وأشار لها !

- أصل زى ما انتي شايفة كده هي مبقاش فيه منها رجا خلاص!
غمز ...

- بس طبعاً تلّيني دماغك قبل ماتيجي.
وبعدها حدث كل شئ بسرعة. لم أفق إلا والسكينة بيدي تقطر دماً!.

هل قتلته؟ ولكن كيف؟ كيف لعصفورة أن تقتل غولاً؟ ولكن كل ما فيه يشير بأنه قتل. الدم الذي يجري منه على أرضية المطبخ ليختلط بمياه الغسالة النتنة. عينه التي تكاد (تتط) من مقتلتيها من المفاجأة. وجسده الذي يهتز في جنون.
جريت نحو أمي. كانت قطعة ثلج باردة. فتحت عينها فجأة وبأنفاس متقطعة همست ..

- طعمه حلو قوي!
- ايه يامّه الي طعمه حلو؟
ابتسمت بوهن ..

- البلح الي أبوكي بيأكلهوني، أسود بيلمع مشفتش زيه يا منصوره.
قالتها وسكنت تماماً. حاولت إفاقتها ولكن دون فائدة. جريت نحو الخارج. لست أدري ممن أجري ونحو من أجري.

كانت تمطر...

ألمني خدي حين ارتطمت به قطرات المطر الساخطة، كانت تغلي.

احتميت بالسقف. استحالت الأرض طينا من شدة المطر. أكره المطر وأكره من يحبونه. تكوّم الخفير في الكشك الخاص به. رفعت رأسي أبحث عنه. الغراب لازال واقفا يرقبني. حين رأي رفر ف بجناحيه ،نظر لي مرة أخيرة ونعق ثم طار حتى اختفى. لقد أشرف بنفسه على تنفيذ المهمة ولا يوجد سبب لبقائه الآن.

مسحت دمعاتي التي اختلطت بالمطر. أخذت نفسا عميقا. اتجهت للداخل مرة أخرى. حملت جسد أمني الذي كان خفيفا كالريشة. ضمنت ثوبها الذي تقطع في أماكن كثيرة حول جسدها المزرق. لا ليس بعد. أرحتها عند الباب الخارجي ودخلت مرة أخرى. ألقيت على جسده نظرة. كان لايزال يهتز. اتجهت نحوالبوتجاز. أغلقت الشعلة فتوقف الماء عن الفوران. وبيدي العاريتين حملت الحلة واتجهت نحوه. هل سمعت أنينا؟ لا يهم. هل صدر الأنين مني أم منه؟ أيضا لا يهم. ألقيت بالمياه المغلية على وجهه وجسده حتى آخر قطرة. ودون أن ألقى عليه نظرة واحدة زيادة، اتجهت للخارج حملت أمني أضمتها إلى صدري ومشيت.

أفقت على هزات قلقة. أهوجسدي الذي يهتز من البرد؟ عادت الهزات مع نداء قلق لاسمي. فتحت عيني لأجد نجوى جاثية فوقني تنادي اسمي بخوف.

- مالك يا ميم؟

سألت بقلق. اعتدلت وفركت عيني

- كنتي بتعيطي؟

هزرت رأسي نافية.

- انتى ايه الى جابك دلوقتي هى الساعة كام؟

ابتسمت

- الساعة سبعة ونص.

نظرت لها بدهشة. لازال الوقت باكرا. لابد أنها لم تنم.

- مجانيش نوم ومعرفتش أشوفك امبارح فقلت اجى أطمئن عليكى.

اتجهت نحو منطقة منخفضة من السور، وقفزت. صرخت نجوى واندفعت نحوي لكنها توقفت حين وجدتني أغسل وجهي ويدي من النيل.

- متقلقيش مش هنتحر.

هزت كتفها بإستسلام. قفزت أعبر السور مرة أخرى وسألتها

بابتسامة

- فطرتى؟

أخبرتني بأنها معي أينما ذهبت. طلبت مني بأن أعتبرها مثل ظلي الذي يتبع دون كلام، موسى الذي لن يسأل الخضر حتى أبدي لها ما خفا عنها. أخبرتها أنها لن تستطيع معي صبرا وبأن المشقة والهول الذي ستراه وتسمعه وتتعلمه اليوم

سيتخطى ما تعلمته عمرها كله. ردت بأني سأجدها إن شاء الله من الصابرين.

- مش هينفع تتحركي معايا كده.
قلت وأنا أشير بإصبعي نحوها في إشمئزاز. كانت ترتدي جيبة بنية وقميص بيج بكم طويل، فوقه جاكيت بني قصير، وكوتشي أبيض في بيج وطرحة بنية منقوشة بورود بيج. اكتملت اللوحة بعيونها البنية الواسعة ورموشها الطويلة. بدا القلق على وجهها الخمرى المشرب بحمرة وعضت شفتيها القرمزيتين في قلق. شددت من الجاكيت حول جسدها. حككت رأسي وتظاهرت بالتفكير - لازم نوسّخك شوية.

وقفت ألامى مأخوذة غير متأكدة مما إذا كنت أمزح. تشاغلتن عنها بالتمطي والتثاؤب وعندما وجدت أنها لازالت واقفة أشرت لها بيدي أن تسرع.
أزاحت الحيرة عنها، وأخذت تتلفت بحثاً عن شئ ينفع (لتوسيحها) لمحت كومة من التراب بجوار السور، انحنى نحوها وأمسكت بها بيدها اليمنى. ونظرت نحوي. أنا أتابعها بفضل حقيقي. هل ستفعلها؟ وفعلاً رفعت التراب نحو وجهها. فضحكت أنا وتنهدت هي بارتياح إلا أنها حاولت التظاهر بالبرود.

- أول درس، ناس كتير من بره متمكجين ومتأنتكين ولا بسين الي على الحبل ومن جواهرهم يقولوا لكومة الزباله قومي واحنا نقعد مطرحك.

قلت وأنا أمسك بكفها أفتحه ليتساقط التراب عند قدميها. هزت برأسها دون أن ترد - بس برده مش هينفع تتحركي معايا كده، تعالى ورايا.

أحتفظ بكيس بلاستيك به قميص وبنطلون. أرتديهما عندما يكون الطقم الذي ألبسه مغسولاً. أخذت الكيس البلاستيك من تحت الفرشة. كومت الفرشة وتركتها مكانها. عبرنا الطريق واتجهنا نحو أول عمارة قابلتنا، نحو البدروم الذي أعرف مكانه جيداً. ترددت هي ووقفت عند البوابة دقيقة حسمت فيها أمرها ثم تبعتني. ناديت على صابحة، بوابة العمارة فلم ترد.

تدليا من الصعيد هي وزوجها- وكانت يدا بيد معه، في الواقع كانت يده ورجله لأنه كان يعرج إثر تعرضه لحادث. وذات مساء عادت من مشوار لتجده في فرشتها مع أخرى. أخبرتني بأن ما حرقها بجد وأذهب بعقلها هو أنه كان قد أزاح رضيعها ذو الشهر الواحد من على الفرشة، ألقي به جانبا ليفسح الفرشة لنفسه ولمن أتى بها من الشارع.

بدلاً من قتله -وهي تقدر، قررت أن ترميه في الشارع يتكفل هو به. (كرشته) وطردته ومسكت هي العمارة. يعرج بين السيارات ويشحت عند الإشارة وأحياناً أخرى أمام عمر أفندي.

أخطأ مرة وتعدى على منطقة الباز إلا أنه انضرب علقة ساخنة وتوعده بأن يقطع له رجله عن آخرها إن حدث وراه في منطقته. حكى لي وحكى لها فضحكت بكامل عزمها.

وصابحة لديها ضحكة ترج العمارة بأدوارها العشرة. كلب
أجرب من يتنازل عن تلك الضحكة.

ناديتها مرة أخرى، لأبد وأنها خرجت تقضي أي مصلحة.
أزحت الباب بهدوء فانفتح. ولید صابحة یرقد على الفرشة
أمامي وقد كبر قليلا. أشرت لها بالقدم وأعطيتها الكيس
- اقلعي.

فتحت فمها فأخذت الكيس منها وأخرجت القميص والبنطلون
وأعطيتها لها
- اقلعي يلا.

دخلت الحجرة الصغيرة وأغلقت الباب. جائي صوتها مندهشا
- ده فيه نونوهنا!
ابتسمت وهمست
- لا فيه اتنين!

يمر الناس في حياتك دون توقف ويثير كل منهم مشاعر مختلفة فيك. منهم من يثير في خلاياك عاصفة من الحب تزهو ورودك وتفتح مسامك ،آخرون يولدون طوفانا من الكراهية يقتلع أمامه كل أخضر فيك. آخرون تشعر معهم بالأمان وآخرون تستمد منهم الأمان. بعضهم يشعرك بأنك مسؤولا منهم والبعض الآخر تشعر بأنك مسؤولا عنهم.

نجوى ومنذ اللحظة التي اصطدمت بها واصطدمت بي، وأنا أشعر بأنها تقع ضمن نطاق ممتلكاتي. والشارع يعلمك أن تحافظ على ممتلكاتك بحياتك إن تكلف الأمر.

فتحت الباب وخرجت. تفحصتها بعيني. كان القميص واسعا والبنطلون طويلا. حاولت ألا أضحك - الطرحة كمان لازم تظبطيها.

قامت بفك طرحتها فانساب شعرها البني الناعم. كوّرتة كحكة وربطته. والطرحة عصبتها أنا حول رأسها،لففت جزئا حول رقبتها وتركت طرفيها يتدليان على كتفيها.

قامت بترتيب ملابسها ووضعها في الكيس ولكنها تركت الجاكت.

- مش هتحتاجي الجاكت.

همت بالإعتراض ولكنها توقفت في اللحظة الأخيرة. كوّمت الكيس وراء الباب. تفحصتها بعيني مرة أخرى وعندما اطمأنت لمظهرها أخذتها وخرجنا.

تبعنتي في حماس لا يقطعه سوى توقفها لحظات (تشمّر) فيها البنطلون الطويل ثم تعاود المسير. كنت ألمحها بطرف عيني محاولة ألا أضحك.

أحتفظ بمعدات النظافة في بدروم إحدى العمائر المنتشرة
بالمشاية السفلية. عندي معارف كثيرين في معظم العمارات
هنا. طلبت منها أن تنتظرني ريثما أدخل وأخرج. دخلت
وخرجت بمقشة كبيرة متهالكة تساقط نصف شعرها لكثرة ما
قامت به من كنس. ناولتها المقشة

- انتي هتكنسي من هنا لحد فيلا غيث.
رفعت حاجباها في فزع فسألتها في برود
- ايه مش عاوزة تقضي اليوم معايا؟

هزت رأسها
- يبقي تسمعي الكلام.
تمتمت

- بس.. بس ده كثير قوى
عقدت حاجبي وأمسكت بالمقشة أنتزعها
- خلاص خلاص!

عبرت الطريق وحدها وانتظرتني حتى أشرت لها بالألا تشغل
بالها بي. أعطيتها ظهري ومشيت بالاتجاه المعاكس. نادتنني فلم
أقف. نادتنني مرة أخرى

- طب هنتقابل فين؟
أجبتها دون أن ألتفت
- أنا هلاقيكي.

تعتريني رغبة قوية في التسكع. مشيت ومشيت حتى قادتني قدامي إلى بوابة توشكى أبوابة الموقف. يقف عندها الميكروباصات التي تأتي بالطلاب من خارج المنصورة. دكرنس وأجا والسنبلاوين وميت بدر والمحلة وطنطا وسندوب.

تنقلب البوابة إلى (موقف) كبير يوصل الطلاب من وإلى بيوتهم. عندما كنت صغيرة في كتاب الشيخ محمود كنت أسمعه يتكلم بانبهار عن الأزهر الذي كان يدرس به. وكنت أحلم بالذهاب أنا الأخرى. تخيلت ذلك الأزهر مكانا سحرى وحدائق رغبة مليئا بالأشجار والورود الجميلة. جنان يتحلق فيها الأساتذة مع طلابهم ويدرسون تحت أوراق الياسمين.

قلبت شفتي وأنا أراقب الموقف أمامي. أنا لا أشتكي، في الحقيقة هذا أفضل كثيرا للطلبة، فبدلا من أن يركبوا مواصلة من بلدهم إلى سندوب ثم يقفون لأكثر من ساعة بانتظار مواصلة أخرى للجامعة. يكونون بهذا قد أضاعوا وقتهم ومصرفهم. توفر لهم الميكروباصات نقلة واحدة وتوصيلة واحدة.

علا صرخ مجموعة من الطالبات فجأة خوفا من المشاجرة التي بدأت من العدم بين السائقين إعتراضا على من تدخل في دور من.

اكتفى أمن الجامعة بالإشاحة بعينه بعيدا في بلدة. تدخلت أنا وفتحت طريقا للطالبات يعبرن منه في أمان. بعدها تركت السائقين ليأكلوا بعض. على كل سيهدأون الآن.

أين صلاح؟ بالتأكيد لم يأتي بعد. أكوام الزباله على الجانبين تنبئ عن عدم ظهوره وربما لأكثر من يوم أيضا. طبعاً البية لا يلزمه الشارع بمن فيه.

هزرت كتفي وأكملت طريقي نحو بوابة تربية عند الجلاء وشارع جيهان وشارع المستشفى العام. ربما أجد البار أفندي. باصات تابعة لجامعة خاصة تقف أمام سور الجامعة تنتظر طلاباً بالتأكيد. وصلت قبالة بوابة تربية. أقرب تدافع الطلاب وسؤال واحد يشغل بالي دوماً. كيف ينهشنا الفقر والجهل مع كل هذا الشباب؟

تلكت أمام البوابة. أحب مراقبة وجوه الطلاب. استندت على الأعمدة الحديدية التي وضعت لتنظيم أعداد الطلاب. تمام مثل الحواجز الموجودة في المطارات والتي تساعد على اصطاف رواده في طوابير دون تدافع. هنا الأعمدة أصغر بالطبع. مع اختلاف آخر وهو أن الطلاب هنا يتركون الحواجز ويتكلمون وراء بعضهم في طابور غير واضح الملامح حيث يكون كوعك في جنب زميلك وقفاك في فم من يليك.

عجيب هذا الشعب! عنده تحسس من الخصوصية، فإذا ما وجد نفسه واقفاً وحده دون أن يلكره هذا أويعطس في وجهه ذاك سرعان ما يبدأ بالهرش والتلفت بحثاً عن أقرب كومة من البشر ومن ثم يذهب (يفحص) نفسه بينهم. تذكرني هذه الحواجز الحديدية بمثيلاتها التي يسوقون فيها البهائم للذبح.

اه هاهي إعتماذ أنت برضيع على يدها وافترشت الجانب الأيمن من البوابة. لست أدري لم يتركها أمن الجامعة؟ ولكن

بعدها أخبرتني بأنها تأتي لهم (بالطرح) حتي يتركوها بسلام
هزرت رأسي في فهم. ومانوع الطرح الذي يفضلونه طعمية
وفول أم شاورمة؟ سألتها يوما وأنا أشير إلى محل "البغل"
ومحل الشاورمة السوري في الجلاء ورائنا. فضحكت وأطلقت
سبة بذئنة

- لا دول الطرح بتاعهم فياجرا.
بالتأكيد لا تعني سندوتش الجمبري والإستاكوزا والكابوريا
الميكس. وإنما حبوب الفياجرا التي يسرقها زوجها من مخزن
الأدوية الذي يعمل به. يسرقها ويعطيها لإعتماد توزعها
بمعرفتها وبسعر مناسب للحبايب طبعاً.
- راحوا فين العيال دى للفياجرا دول في إعدادية لسه!
سعلت بعنف حتى بصقت

- القعدة تعمل أكثر من كده يا منصوره!
أنا أعلم جيداً عن أي قعدة تتحدث. الأمن على البوابة معظمهم
إن لم يكن كلهم- خريجين مؤهلات عليا وكانوا من كام سنة
فقط طلاباً في نفس الجامعة. العمل الحلال ليس عيباً. المهم
الشرف. كفاية هبل!

أخرس وتخيل معي. أنت تحلم وتطمح وتذاكر وتتعب لتتخرج
وتذهب للجيش ثم تأتي لتجلس فرد أمن على جامعتك التي
شهدت أروقتها على أول همسة حب قلقتها لحبيبتيك، وأول حلم
حفرتماه معاً على الشجرة هناك. تبددت همساتك في بحر لجي
من الطالبات وقطعت الشجرة ليحل محلها كشك الكينج لتصوير
المستندات وشحن كروت التليفون. ترى أيهما أكثر إيلاماً أن
تعيش بلا أمل أم أن تفقده بعد تملكه؟ الفياجرا نفسها تحتاج
لفياجرا كي تتمكن من إزالة إحباطك.

تظهر لوزتي الرضيع مع بكائه، ليس إنها بالتأكيد وإن كان-
فهذا يعني أنها تضع وليدا كل أسبوع تقريبا لأنني أقسم أن وجه
الطفل يختلف كل أسبوعين على الأكثر. أقرصها بغضب
- جاية تقاسمي العيال الغلابة دول في مصروفهم؟ ثم مين
الغيل ده سارقاه ولا جيباه من أنهى داهية؟
فتبصق وتشيح بيدها
- كلنا غلابة يا منصوره.
ضيقنا عليها الخناق يوما حتى أقرت بأنها تقسم نسبة من
الأرباح مع أم الطفل آخر اليوم. وقفت أسألها عن الباز أفندي
فقلت بأنه يجلس عند الناصية الثانية من المستشفى. سلمت
عليها ومشيت.

سرت بين السيارات أبحث بعيني عن الباز أفندي حتى وجدته متكوما تحت دكة أمام مستشفى الرمد. اه هويقوم بدور أعمى اليوم. متجدد هذا الباز. يعجبني كثيرا أنه لا يثبت على دور بعينه حتى يكسر ملل الروتين اليومي. فقط لو عملنا كلنا بضمير هكذا لأصبحنا دولة متقدمة بحق.

يرتدي نظارة شمس مكسورة. ترى من أين أتى بها؟ يمد يده ليضرب بها من يمر أمامه عن غير قصد بالطبع. فيلتفت الشخص لينهره إلا أنه يتوقف حينما يرى عماه ويعطيه مافيه النصيب وزيادة على هذا فهو يعتذر أيضا. لا أدري من الأعمى الحقيقي في تلك الحالة.

ارتطم بي رجلا يرتدي الزي الرسمي لشيوخ الأزهر، جبة وقفطانا. هل سرقة الغلبان للغلبان حرام شرعا يا شيخ؟ لم يرد لأنني لم أنطق بالسؤال.

اتجهت نحوالباز أفندي. توقفت والتفتت من ورائه حتى لا يراني. سمعته يقول بصوت مشروخ أي شئ لله يا أولاد الحلال. رق قلبي له. مددت يدي في جيبني أبحث عن نقود فلم أجد سوى نصف جنيه مخروما.

ألقيته في يده دون أن أواجهه فقبض عليه باستماتة ووضع في جيبه بسرعة وهويعدولي بطول النظر والعمر. طول النظر في مجتمعنا بلوى أما طول العمر فهو ابتلاء مكتمل الأركان. - الله يسامحك!

قلتها بمرح فالتفت ورائه بسرعة وضحك

- هوانتي؟ غطسانة فين بقالك كام يوم؟

هزرت كتفي

- في الدنيا. عدت على صلاح بيه قبل ما أجيلك ملفيتوش.

- صلاح بييجى بمزاجه انتي عارفه.
- قالها واعتدل يتمسح بمن كان يمر أمامه
- حلوة النضارة دي ما تجيبها لفة؟
- هز رأسه بلا
- لما أخلص بيها النهاردة هديهالك. هعمل بكرة أعرج ابقى
- تعالى خديها.
- سببته وضحكت. إن كان كل الناس بمثل وضوحنا لانقلب
- مجتمعنا يوتوبيا خالصة. بقيت مع الباز أفندي نتحدث في
- تفاهات من كل حدب وصوب حتى أَلمتني رُكبي من القعدة.
- ضربت على كتفه مودعة وتحركت إلا أنني عدت فتوقفت
- وراك حاجة النهاردة المغربية؟ عندي ضيفة كده وعازين
- نقعد معاها قعدة حلوة، ابقى قول لصلاح لما بييجى.
- هز رأسه بحماس
- ضيوفك على راسنا من فوق. بس من امتى يعنى بيجيلك
- ضيوف ؟ ده إحنا منعرفلكيش أصل من فصل.
- أصدرت شخيرا عاليا وسببته. رفع يده أمام وجهه علامة
- الإعتذار. سببته مرة أخرى وأعطيته ظهري لأمشي ومرة
- أخرى توقفت
- هات الجنيه الي أنا اديتهولك يا باز الكلب.
- مد يده في جيبه وهويتمتم بأنه كان نصف جنيها فقط.
- عرفت ازاي وأنت أعمى ؟ اه قصدك إنك بتمثل طب ده كان
- خمسة جنيه بقى يا حيلتها.
- علَّيت صوتي محاولة جذب الناس حوله فرفع سبابته
- ووضعها على فمه مترجيا إياي أن أصمت. مددت يدي بنفاد
- صبر، وضع بها خمسة جنيهات فضة. أخذتها وغمزت

- متأخرش المغربية بقى.
ومشيت.

ربتّ على الجنيهات الخمسة في جيبي. فرجت وكنت أظنها لا تفرج. سأمر على الواد صبحي في جاد. وصلت ناصية الشارع واتجهت يسارا. سمعت أذان الظهر. لم أشعر وكأني نسيت شيئا؟

أشعر ببقايا شئ منسي يخطب تلافيف عقلي في دقات رتيبة. سألت عن صبحي فلم أجده. سببت من كان واقفا وطلبت واحد فول وواحد طعمية وهنا توقف الشئ المنسي عن الخط ليصفعني فجأة على وجهي.
- ياني يامه! ده أنا نسيت نجوى.

سببت الولد الواقف وطلبت سندوتشين زيادة. دفعت وجريت. كنت أنتوي تركها ساعتين بكثيره ثم أعود. لا أدري كيف نسيته؟ هل تكون زهقت ومشت؟ أكيد. ما الذي سيقاها من الصباح الباكر للآن؟ الاخ وكيف ستمشي يا فلحوسة زمانك وقد أخذتي منها ملابسها و(حرزتيها) عند صابحة؟ صابحة ستقسمها نصفين إن حاولت الإقتراب من كيسي البلاستيك. هزرت رأسي في عنف أطرد الفكرة. لاحت الفيلا أمامي سأنزل الطريق المسفلت المنحدر لأجدها عند الكورنيش وسيكون كل شئ تمام.

- ياني يامّه!

هرولت أكثر.

وقبل أن ينتهي سور الفيلا لمحتها. كانت منكفأة على دكة وتربع يديها أمامها مثلما يفعل طلاب المدارس حين يأمرهم

مدرسيهم بالنوم على (التخة). تلطخ قميصها وبنطلونها فتغير لونه البيج والبني إلى رمادي وأسود في مواضع عدة. تابعت النزول بسرعة ولكني توقفت حين سمعت كلاكس التاكسي الغاضب. سببته وأشرت له بالمرور. تشابكت رجليها وبدا كوتشيها البيج باهتا ومبقعا بالطين.

اه ما هذا الذي فعلته؟ طلبت منها ونفذت. أتظنني خضرا بحق تلك المجنونة كي تلتزم بأوامري هكذا؟ عقدت حاجبي أبحث عن المقشة. وهل هذا وقته؟ سببت نفسي. كانت ساكنة وكأنها غارقة في النوم. لمحت بعيني مجموعة من طلاب الثانوية الذين قاموا بالتزويغ بعد تحية العالم وبعد سماع صوت شادية أصله معداش على مصر. لا هو(عدى) يا شادية و(نط) من فوق السور كمان.

تلگعت المجموعة واقتربت من نجوى الساكنة كالحجر. يتغامزون ويتضاحكون. يشد أحدهم الآخر ويتدافعون. وفجأة أفاقت. نظرت لهم وحدثتهم، لم أتبين ما كانت تقول لهم إلا أنهم ضحكوا في مرج. هل قالت نكتة؟ أشك.

زاغت عينها على الناس المارين بها والذين يرقبون الأولاد في تناحة ويتجاوزونها كأنها ليست موجودة، ومن ثم يمشون وكأن الفيلم لا يعجبهم. اقترب واحد من العيال يحاول شدها فأمسكت بالمقشة. اه ظهرت المقشة. التقطتها من تحت الدكة وأمسكت بها كالساموراي. نظر الطلاب لقائدهم إلا أنه لم يهتز فتحلقوا حولها واقتربوا أكثر.

رمى بكيس السندوتشات من يدي
- يلا يا وسخ أنت وهو من هنا.

التفتوا نحوي وقد أخذتهم المفاجأة. والتفتت هي والمقشة لا تزال في يدها. وجهها أبيضاً من شدة العطش والجوع أكيد. نقودها وهاتفها في الجاكت الذي أخذته منها. سمعت بتنهيدها المحبوسة. هزرت لها رأسي أطمئنها. حاولت الإبتسام - سدي ودانك.

أسمعتهم من السبات ما جاد به النصيب، ووقفت أمامها مواجهة لهم تاركة ظهري لها تحتمي به. ومع رؤيتهم للمطواة التي أخرجتها من جيب بنطلوني الخلفي. توتر الطلاب في وقفنهم. وشهقت هي. فتحت المطواة وحينما رأوا النصل تبعثروا كالذباب. وقفت أتوعدهم وأسبهم حتى اختفوا. سمعت بجسدها يرتمي ورائي على الدكة والمقشة لا تزال في يدها. اقتربت منها وأمسكت بالمقشة أخلصها من بين أصابعها المرتعشة.

- نون! خلاص مشيوا.
نظرت لي كمن تفيق من كابوس. حاولت افتعال ضحكة وأشرت خلفي حيث كانوا
- دول شوية عيال!

لم تنطق. اقتربت منها أكثر أهزها من كتفها. حولت نظرها بين يدي وبين المطواة. وجدت نفسي أنكس رأسي ، أغلقتها وأعدتها لجيبي الخلفي بسرعة
- انتي عارفة لازم أحاول.. لازم أدافع عن..
- أنا جعانة قوي وعطشانة.

قامت لتأتي بكيس السندوتشات الذي رميته أنا منذ قليل. فتحته وأخذت سندوتشا قضمت منه بسرعة وباليدي الأخرى أخرجت واحدا ناولته لي بصمت.

جلسنا حتى المغربية نتبادل الحكايات. حكيت لها عن وجهي الأول (الشوراعي) ووجهي الآخر (المتقف).

غربت الشمس في حنو. يفتح لها النيل ذراعيه في حب. تنهدت وبسطت يديها في إستسلام. لم أستطع منع نفسي من تفحص أثر الجروح والخدوش وقد تفرقت في باطن كفها ،منها جرح امتد إلى باطن معصمها بشكل طولي. دقت النظر،الجروح في باطن كفها تبتدمن احمرارها حديثة على عكس ذلك الجرح الطولي الذي تخفيه تحت (كم) قمصانها الطويلة.

كانت عيناها شاردتان أمامها ولكني كنت موقنة بأنها في مكان آخر

- هيبه روحتى فين؟

- دي الطريقة الوحيدة الى بتخليني أحس إني عايشة.

قالت دون أن تلتفت نحوي. ثم ضمت كفها إلى صدرها وسكتت. عرفت لم ألقنا الصدفة في طريق بعضنا البعض يا صغيرتي. أه صدقيني ليس عليك أن تشرحي أي شيء. نظرت دون وعي مني إلى جروحي القديمة التي لا يطيب إلتهابها أبدا. أشعر بها تغلي للآن. كل منا لديه أسرار. قبضت كفي في إصرار، أشد على ذكرياي.

ابتلع النيل الشمس وظهرت الأنوار في النوادي على الضفة الأخرى. بعد قليل ستنبعث الأغاني والصرخات والزغاريد معلنة عن بدء ملحمة كارثية أخرى في هذا البلد. تثاببت

- مش يلا ولا ايه؟ أنا تعبت النهاردة.

- لا تعبتي ايه؟ دى لسه السهرة ما بدأتش!

نظرت لي متسائلة. قمت وأنا ألوح في حماس بأني جهزت لها قعدة ستعجبها ولا شك. تكاسلت عن النهوض فجذبتها من

يدها. قامت دون مقاومة ومشينا عائدين إلى عمارة صابحة لتستعيد ملابسها.

لمحت الباز وصلاح وقد سبقاني- جالسين على الرصيف المقابل للعمارة متحلقين حول ركبة نار. جذوع خشب في طشت ألومنيوم قديم كانت تستخدمه صابحة للحموم ولكنها استبدلته بآخر جديد. يتطاير الشرر منها كلما اقترب منها صلاح يُهوي على كيزان الذرة التي يشويها. صابحة إلى جانبيهما تجهز الشيشة بيد وتهدد رضيعها بالأخرى.

اتجهنا أولا نحو البدروم وانتظرت حتى قامت نجوى بتغيير ملابسها. الملابس لم تتغير ولكن نجوى هي من تغيرت عادت فتاة الجامعة إلى جلدها الأصلي ولكن عيناها تغيرتا. خليط من العناد والإصرار ينضحان منهما. تحرُّر. حتى الأعشى سيري ذلك. اعترى وجهها بعض الإجهاد ولكن حماسها وفضولها للسهرة التي جهزتها من أجلها أضاف بريقا ساحرا لعينيها البنيتين. عبرنا الشارع

- هاه هنروح فين؟

- وصلنا!

قلت وأنا أشير نحو شلة المخابيل الثلاثة الذين تعالت عقيرتهم بالضحك والغناء والسباب كل في وقت واحد. انكشيت نجوى ورائي ولكن بعد لحظات استعادت هدوئها ومشت معي خطوة بخطوة.

- نون!

قلت وأنا أشير نحوها بابتسامة

- صاحبتني.

قام صلاح بسرعة فكاد أن ينكفى على وجهه لولا أن أمسك به الباز وهويلكزه بركبته.

- أهلا يا أبله نون، ضيوف منصورة على راسنا من فوق، أنا صلاح.

أخذت نجوى يده ولم تفزع حينما شد عليها بقوة. تركت صابحة الشيشة وقامت لتسلم و(تبوس) من هنا ومن هنا. استسلمت نجوى لقبلاتها دون اعتراض.

- ايه اسم نون ده!

سأل الباز وهويقلب شفتيه مستكرا.

- ده زى اختصار كده عندى واحد اسمه شاكِر خضير هلال مسميه على الموبايل ش خ ه.

قال صلاح بثقة فضحكت وضحكت نجوى.

- وده بقى هاني!

غمزت فأطلق الباز سبة سريعة اعتراضا على هتاك سره فضحكت

- أقصد الباز أفندي.

كتمت نجوى ضحكة بدت جلية في عينيها. ومدت له يدها فالتقطها وأستبقاها قليلا في يده

- إيد ناعمة مش واخدة على البهدلة.

قلت موجهة حديثي لنجوى

- الباز كان بيلعب دور أعمى النهاردة. وتقريبا لسه الدور راكبه معلش!

ضحكت نجوى وقلب الباز شفتيه في إمتعاض. ترحزح صلاح وأشار إلى نجوى بالجلوس بينه وبين الباز وجلست أنا إلى جانب الباز وصابحة إلى جانبي. أخذت منها رضيعها

ألاعبه وأهدده. قلب الباز كيزان الذرة أمامه. من أين أتوا بالذرة ؟ لا يهتم، كانت الرائحة جميلة وتسيل اللعاب. نام الرضيع بين يدي وأشرت لأمه أن تسمي عليه. انفتح صلاح في الكلام ولم يسكت إلا لالتقاط أنفاس الشيشة حين ناولته صابحة المبسم. وقامت لوضع رضيعها في فرشته.

الشيشة معمرة. يا أولاد المجانين حشيش في نصف الشارع؟ بائع الترمس يجر عربة أمامه. وينشد

- إني أتنفس تحت الماء. إني أغرق أغرق أغرق
أشار نحوه صلاح

- بؤ بؤ بؤ. غرق خلاص

ضحكت والتفت نحو نجوى. ترى هل ستلحظ التعميرة الخصوصي؟ مرر الباز الشيشة لنجوى فارتبكت. أخذت أنا الشيشة من يده بشكل عادي وناولتها لصابحة التي كانت قد عادت، أخذت منها نفسا طويلا وأعطتها لصلاح. نضجت كيزان الذرة. ناول الباز كوز الذرة لنجوى.

- خدي بالك عشان..

أراد الباز أن ينبه نجوى لسخونته إلا أنها لم تمهله وأخذت تقضم من الكوز بنهم. اه صغيرتي جائعة. أتت صابحة ببراد الشاي ووضعت على النار. قامت ثانية لتأتي بالأكواب وبالسكر. أخذت كوز الذرة معها تقضم منه قبل أن يبرد.

ناولني الباز الشيشة فأخذتها. كانت عينا نجوى تتابعاني وأنا آخذ نفسا طويلا وأخرجه في وجهها فسعلت. أشرت بالمبسم نحوها

- تجربي؟

نقلت نظرها بين المبسم وبينني ومن ثم أمسكت به بارتباك

- أعمل ايه؟

ضحك صلاح وضرب على ركبته، سعل الباز وبصق إلى جانبه

- دى نونوخالص ياناس!

جذبتُ نفسا (كركرت) له المياه، وأشرت لها أن تفعل مثلما فعلت بالضبط. تجاهلت نجوى سخريه الباز وصلاح وأخذت المبسم. قلدتني مثلما طلبت منها وفورا بدأت موجة من السعال.

- ده معسل مخصوص مبيطلعش غير للحبايب يا أبله.

قال صلاح.

- كفاية عليكى كده النهاردة.

بدا عليها الإعتراض إلا أنني لم أمهلها

- قلت كفاية.

ارتفعت أصوات الأغاني من نوادي الأفراح أمامنا

- حلوة حلوة وحلوتين

علا صوت صلاح بالغناء

- حمرا يابلدي!

ضحك الباز وضرب على ظهره. تابعت نجوى بعيني كانت مستمتعة وكأنها تشهد عرض فيلم. أتت صابحة بالأكواب واستأذنت أن تذهب لقضاء مشوار في السريع. رفعت البراد من على النار وصببت الشاي. أعطيت نجوى كوبها. كانت محتارة في كوز الذرة. أنهته ولا تعرف أين تضعه. حينما يأسست وضعته تحت قدميها وتناولت مني الكوب. أخذ صلاح رشفة من الشاي وتنهد

- اه فاكّر يابوهاني يومك كان عامل ازاي؟

أشار نحوالقاعة على الضفة الأخرى والتي انعكست أنوارها
على مياه النيل

- كان يوم أسود ومطين على دماغها. يلا الله يرحمها بقى!
أطلق الباز شخيرا وبصق. أبعدت نجوى رجلها كي لا
تصيبها البصقة في حين أن الباز أفندي لم يبد عليه الإنتباه لها
أصلا

- ليه كده بس ياسطى ؟ما انت ربنا رزقك بالواد والبت وكله
الأسطة.

- هي الرجالة كده مبتتمزجش إلا لما تقعد تولول زى النسوان
قد ايه هي غلطت يوم ماتجوزت!
قالت نجوى بغل

- مع انكوا عارفين كويس انكوا كدابين، بتكدبوا وبتصدقوا
الكذبة.

فتح الباز أفندي فمه وبطلق لها صلاح قبل أن ينفجر في
ضحكة طويلة عالية.

- لوالرجالة مرتاحين في جوازاتهم مكانوش هيخونوا
مراتاتهم.

قال الباز بغضب

- اه لوكانت صابحة هنا كانت كلتك بسنانها.

قلت متوعدة.ردت نجوى

- غلط. الي بيخون بيخون سواء متجوز أولا.

هم الباز بمقاطعتها إلا أني أشرت له خفية أن يصمت

- الراجل مش بيخون عشان مش مرتاح. لا ده بيخون عشان
مترباش من الأول ان الخيانة حرام وغلط وعيب.

كورت قبضتها

- عيب ازاي والراجل ميعيبوش إلا جيبه؟
سألتُ ساخرة وأنا ألوح بيدي
- وهما فين الرجالة دول؟ مجتمعا مليون ستات مسترجلة
ودكرة مسترجلة برده، أنهى أوحش بالذمة؟
سحب الباز نفسا ولم يرد. خطفت المبسم منه وأخذت نفسا
طويلا حاولت أن تكتمه مثلما ترانا نفعل إلا أنها فشلت فأخذت
تسعل
- فلما بيتجوز بيبقي عقله جاهز للخيانة عشان عارف إن
مافيش عقاب وكأن ربنا يوم الحساب لما يشوف النطع من
دول هيقوله عدي ياسطى انت راجل وهيمسك البت من شعرها
يقولها تعالى انتى كده كده ناقصة عقل ودين.
زفرت ساخطة
- بقى البنات الي ناقصة عقل ودين يحاسبها المجتمع ويعلق لها
المشائيق لما تغلط؟ والراجل العاقل الرزين المؤمن بالفطرة
يهرب من العقاب؟
رمت الباز بالشيشة
- متقوليش بقي بنخون عشان مش مرتاحين.
يلا السلامة على مجتمع أصبح فيه العقل سبة ونقمة على
صاحبه هذه الأيام.
- يلا يا عاقلة!
صرخت فيها
- يالي أمك عاقلة!
فعلا سبة جميلة. ضحكت بجنون. هز الباز كتفه
- اه ياستى إحنا ولاد كلب!
- لا متقولش كده، ده انتوا ولاد ستين كلب!

قلت أغبطه فرفع يده على رأسه
 - حققوا علي يا ستات.
 - أنا بقي فاكّر يومي كويس قوي.
 تدخل صلاح وهو يربت بيده على كرشه.
 - ولوطلت أكرره تاني هكرره تاني. أنا بحب عيالي وبحب
 مراتي غيرش بس الأيام السودة والظروف الأسود الي بتعكنن
 على الواحد.
 - وهو الحب أحلى ولا الجواز يا صلاح؟
 سأل الباز.
 - التمر حنة!
 قاطعته ساخرة. رفع صلاح رأسه للسماء يرقب البدر ويسرح
 في حبه وذكرياته
 - وهو يعني ايه حب أصلاً؟
 أهلاً! قعدة المحششين تناقش تعريف الحب وماهيته وكيونته
 وطبيعته الغامضة. يا أولاد المجانين!
 - الحب يا صاحبي هو إنك تلاقي حد يهرشلك في المكان الي
 مش طايلاه إيدك.
 قال صلاح وهو (يتأمر) وينتفض محاولاً الوصول لنقطة في
 منتصف ظهره. مد الباز يده حيث أشار صلاح وأخذ يهرش
 ويهرش. غمزت لنجوى
 - وده يا ستى تعريف واحد أجرب للحب.
 أشار الباز نحو صلاح
 - الراجل ده حقّاني.
 سألت نجوى بسخرية
 - يعني لا يخاف في الحق لومة لائم؟

حك الباز رأسه وقلب شفتيه

- لا يا أبلّة يعني بيدي حقن!

وتعالت قهقهاتنا في جنون. سألتني نجوى إن كنت أحببت من قبل. لم أعرف بم أجبها؟ هل أخبرها بأني —وطبقا لقوانين المجتمع— قد تخطيت السن القانوني للحب والإرتباط؟ وبأني مثل كثيرات غيري ينظر لنا المجتمع بإعتبارنا سمكات يجب أن يتم طهوها بسرعة قبل أن تطلع رائحتها؟

أم هل أخبرها بأني أحببت لكن لم أحب في نفس الوقت؟ أحببت وهما. أحببت أبطال الروايات عند عم بلال وخذعت بمثاليتهن.

- منه لله أدهم صبري!

همست فسألتني بدهشة

- رجل المستحيل؟

أومأت بالإيجاب فضحكت وضحكت هي الأخرى حتى لم تعد قادرة على أخذ نفسها بانتظام.

- معلش ما هو محدش بيتوجع قوي..

حركت يدي على قفايا بسرعة

- إلا لما بينضرب على قفاه جامد قوي!

وضعت يدها على صدرها تهدئه

- ياه يارب يارب!

نظر لي صلاح بقلق

- هي البنّت اتسلّطت ولا ايه؟

أشحت بيدي مطمئنة والتفت لنجوى حين قالت برومانسية

- أصل أنا برده أول حب في حياتي كان سي أدهم.

قلب صلاح والباز عيونهم في عدم فهم. هز الباز كتفه
واعتدل يغير الحجر. وعاد صلاح الغناء
- جت القطّة قالها بسبس قالتله سم كده!
- لا قالتله مبكلمش ولاد لوسمحت.
رفعت نجوى سبابتها محذرة وانفجرت في ضحكة طويلة
أخرى ..
- ايه يا صلاح الي بتهيبه ده يا أخي؟ بوظت ذوق البنّت في
الأغاني.
خطفت الشيشة من الباز وأخذت نفسا طويلا،ناولتها له ثم
تنحنت
- اسمع يابني انت وهو.
وغمرت لنجوى
- وهي.

غنيت من كلمات الشاعر. لست متأكدة مما قلت إلا أنني كنت
ألمح عين نجوى التي تتابعني بانبهار وكأنني ألقى شعرا
بالرومانية القديمة في حين قلب صلاح صينية الشاي وأخذ
يدق عليها وتبعه الباز بالتصفيق حسب الإيقاع. صرخات
المارة وهتافاتهم واحتكاك كاوتش العربات القريبة وزمارة بائع
غزل البنات ، كل هذا وأكثر انقلب (ريمكس) وانضم للوحة
غنائي يزينها ويحييها أكثر. كنت في حالة سلطنة وعندما
انتهيت صفقت نجوى وتبعها صلاح والباز بحماس.

عادت صابحة وأعدنا تسخين الشاي. حكى صلاح لنجوى عن
مزرعة الفراخ وعن المدرسة. مصمص صلاح حين أخبرته
نجوى بأنها تعطي دروسا خصوصية عندها في البيت..

- وهو في أحلى من شغل الحكومة؟ كفاية انك هتتعدى متعلميش حاجة!

هزت نجوى كتفها حين أخذ يحاول إقناعها بأنه يمكنه التوسط لها للعمل في المدرسة التي يقوم بحراستها.

وبخصوص المزرعة بالطبع لم يخبرها بأنه يسرق ولكني رأيته يميل عليها ويهمس لها أن تخبره فوراً إذا ما احتاجت فراخاً في أي وقت. من الواضح أنه أحبها.

حدثها الباز عن ولده وبنته وحدثتها صابحة عن الكلب الأعرج الذي خلعتة. كانت تسمع وتسمع دون أن تقاطع أحدا منهم. كنت أتابعها من وراء حلاقات دخان المعسل. كان الفرع بادياً عليها. وكان هذا جل ما تمنيته. أن أسعدها.

خمدت النار واستأذنت نجوى للقيام. حاولوا استبقائها ولكنها اعتذرت منهم ووعدتهم بالعودة بعد أن نظرت نحوي مستأذنة فهزرت رأسي موافقة. قمت لتوصيلها

- مافيش داعي أنا هاخذ تاكسي.

ابتسمت وأذعنت لها. أوقفت لها تاكسي

- هشوفك بكرة؟

هتفتُ فأطّلت برأسها من الشباك وابتسمت.

مَمْلَكَة الحُب

أعلنت شاشة المطار عن تأخر رحلتها القادمة من المملكة المتحدة. التفتُ لأوتوي بغضب مصطنع

- اعتقدت إن الإنجليز يحافظوا على مواعيدهم.

ضحك. أرسلت لسترايدر أخبره بتأخر الرحلة وبقرب وصول اليابان وروسيا. حملت لافتة بأسماء الواصلين من روسيا وحمل أوتوي لافتة اليابان. وصلت روسيا أولاً وبعدها بدقائق وصلت اليابان استقبلناهما وتعارفنا سريعاً. أخبرتهما بأننا لازلنا في انتظار ماليزيا

- هاهي ماليزيا.

قاطعني أوتوي فالتفتُ نحو من أشار. رائع

- يبقى لسه إنجلترا.

تفحصت لوحة الرحلات، من المفترض أنها وصلت، قلبت شفتي. اقترح أوتوي بأن يخرج مع الوفد الحالي إلى الباص حتى ينظموا الحقائب ريثما يصل الطالب الأخير. فكرة جيدة

- تمام. هجيبه وأجيلكوا على طول.

ناولني اللافتة التي تحمل اسمه. أنا من كتبتها ليلة أمس. كتبتها ولم أقف لأسأل نفسي لحظة عن أصله وفصله. كأنه حقيقة عليّ استلامها وإيصالها للجامعة. أما الآن فأنا متوترة وكأني أنتظر نتيجة إمتحان. ربنا يسامحك يا ميم.

- آدم عمر!

همست بالاسم وأنا أتفحص اللافتة

- أيوة أنا.

رفعت عيني عن الورقة بسرعة وضممت شفتي في عدم فهم.
الواقف أمامي طويل وأسمر بعيون سوداء وشعر أسود ناعم.
يرتدي قميصا من الصوف الأبيض وجينز أسود. وينتعل حذاء
أرضيا أبيضاً مريحاً. يمرر يده في شعره الناعم بين لحظة
وأخرى يرغمه على العودة إلى الوراق عندما يغطي رموشه
السوداء الطويلة. أنا أتفحصه بدقة وهويلاحظ هذا ويبتسم ولكن
عندما طال تفحصي ارتبك

- أنا آدم عمر!

أخذت أدور بعيني بين الاسم في اللافتة الساكنة بين يدي
والواقف أمامي وكأني أقارن بينهما في محاولة للتأكد. ما هذا
الجنون؟

- آدم عمر؟

سألت بغضب غير مبرر. ارتبك مرة أخرى ومرر يده في
حقل شعره الأسود. هوف توقف عن هذا أرجوك.

- اسفة! أقصد أهلاً!

عادت ابتسامته سريعاً لوجهه

- أهلاً بيكي!

مرة أخرى قلبت نظري بين الورقة في يدي وبينه

- هو فيه صورة لي في الورقة مثلاً؟

سأل وهو يخطف اللافتة. قلبها دون العثور على الصورة التي
كان يرجوها فرفع حاجباه مستفهما!

- معلىش.. لا.. أصل أنا.. افكرت حاجة ، ثواني هو انت...

قاطعني بمرح:

- أنا آدم عمر والله العظيم!

- يا صلاة النبي!
- همست...
- سأل ..
- قلتي حاجة؟
- لهثت من المفاجأة
- انت بتتكلم عربي؟
- سؤال سخي
- أنا بتكلم عربي أيوة.
- إجابة جميلة.
- انتي مقابلتيش عرب ومتفاجأة صح؟
- نكتة سخيفة. العرب هنا أكثر من الأمريكان أنفسهم. إن أردت
- أستطيع إصطحابك لأكل الحمام والمحشي يوم الجمعة بعد الصلاة.
- انت بتحب البلح؟
- قرب حاجبيه في تفكير
- اممم أعتقد اه بحبه، وانتي؟
- مش عارفة، أقصد تقريبا أيوة.
- أطلت النظر لحقيبته علي أتمكن من رؤية ما بداخلها مثل
- سوبرمان
- هل فيه إمكانية إن يكون فيه بلح في شنطتك؟
- ضحك...
- اخ ضحكته جميلة...
- هزرت رأسي أهش صدى ضحكته بعيدا.
- مش معايا للأسف.
- ثم غمز

- على فكرة الأمن مسألنيش الأسئلة دي كلها.
تنهدت

- طب سؤال أخير وخلاص؟
انتظر السؤال بصبر

- انت قاتل أوهربان من ثأر؟
فتح فمه مذهولاً، أنا نفسي لا أعلم ما هذا الذي أهذى به
- دول سؤالين على فكرة. والإجابة هي لا ولا.

ضحكت وشفقت بيدي
- يبقى نبتدي من الأول.

مددت يدي
- أنا نون!

أخذ يدي في يده
- وأنا آدم!

استبقى يدي في يده فسرى منه دفناً ارتعشت له كفي وانتقلت
ارتعاشته إلى جسدي كله. ترى هل لاحظ؟ لا أظن، فابتسامته
الدافئة لازالت مستقرة على شفتيه
- ممكن أفهم..

قاطعته وأنا أسحب يدي لألتقط الكاري أون أجرها
- أكيد لازم تفهم. بص يا سيدي، ميم، دي صاحبتني، كلمتني
النهاردة الفجر ووصفتلي راجل بياكلني بلح وقالها إنه أول
راجل.

كانت عيناه تتسعان شيئاً فشيئاً
- وهي فسرت إنه أول راجل يعنى هيبقى آدم، وحضرتك
اسمك ايه؟

لم يرد، فأكملت بحماس

- آدم ومش معاك بلح بس بتحبه ومش قاتل ولا هربان من
طار ودي هفهمالك بعدين، المهم ده معناه ايه؟
أفاق من صدمته...حكّ رأسه
- مش عارف!
غمزت وأنا أخرج من بوابة المطار
- معناه اننا هنتجوز!
مرر يده في شعره وجر حقييته الكبيرة يتبعني وابتسامة جذلة
تتألق فوق شفتيه.

غربت الشمس وازدادت برودة الجو. أحكمت الجاكيت حول
جسدي. نسيت قفازاتي الجلدية. أوف يدي تجمدت، انزلقت
الحقيبة من يدي وكادت تشدني معها لولا أن أمسك بي يحفظ
توازني. الثلج يتساقط ، وحقييته ملقاه على الأرض. لم ينحني
لالتقاطها وظل ممسكا بيدي.
- تمام؟

سألني فهزرت رأسي. حينها خلص الكاري أون من يدي
وانحنى يلتقط حقييته ليجرها. اعترضت ولكنه لم يمهلني. كان
قد سبقني بخطواته الواسعة للباص الذي أشرت نحوه. ترك
الحقائب لأوتوي وعاد لي. ثم مد لي يده فعقدت حاجبي
- بعرف أمشي لوحدي من غير سنادات!
قال في رجاء

- عاوز أتأكد من حاجة بس.
اه من الواضح أنني لست وحدي المجنونة. منك الله يا
منصورة! مددت يدي فتلقفها بلهفة. أخذ يقلبها لثوان ثم تنهد
وابتسم

- بالظبط زى ماتوقعت.

نظرت له بتساؤل

- إيدك مقاس إيدي.

خسارة! لم يكتمل الحلو. إنه مجنون. رفعت يدي الحرة أنظر لها ولكفي التي تغوص في بحر يده فلا يظهر منها إصبع واحد. مرر يده في شعره. ودون تحرير يدي، انطلق يشدني إلى جانبه في خطوات سريعة نحوالباص.

كان أوتوي قد انتهى من تحميل الحقائق

- هاه قاتل هوأوهربان ؟

سأل وهويعمز

- مجنون!

أجبتة وأنا أشير لكفي الواقعة في أسر يده العملاقة. دخلنا الباص وتحركنا نحوفاसार. جلس الطلاب على مقاعد متفرقة. ارتمى آدم على أقرب كرسي إلى جانب الباب وسمعنا غطيطة قبل أن يترك الباص نيويورك.

اتخذت أنا المقعد المقابل وافترش إفي المقعدين ورائي. وقفت ألقى نظرة سريعة على باقي الوفد فوجدتهم كلهم نائمين. السائق هو الوحيد المستيقظ لندعوا الله ألا ينام هو الآخر. عدت لمقعدي واتكأت على النافذة جانبي.

وفي بقايا بصيص من شمس الغروب، تابعت ندف الثلج المتساقطة تهوي سريعا إلى الأرض إما لتذوب فوراً على الأسفلت الأسود وتدوسها الأقدام. أو تتلكأ فتعلق بورقة شجر عطشى. بعضها أكثر عنادا فيمضي قدما ليسقط على أرنبه أنف طفلة تلهو بمرح بين الثلوح فتتوقف لتهرش أنفها وتعطس.

البعض الآخر يتكوم لخلق تمثالا لرجل ثلج قصير، يجري ولد صغير مع كلبه للإتيان بجزرة من البيت لإستخدامها كأنف له. أقرب أيضا الولد نفسه يتمسك برجل أبيه ويشير لنظارته في رجاء. ينبج الكلب محاولا إقناع صاحبه وأخيرا يرضخ الأب لتوسلات ابنه ويعطيه نظارته يلبسها لرجل الثلج. يقف بعيدا ويحيط كتف زوجته بذراعه يرقبان ابنهما في حنان.

وما الحياة بذكرياتها ومواقفها إلا رقائق ثلجية، بعضها ترعاه وتبنيه بيدك حتى يتحول صرحا آمنا تدخله وقتما تشاء وتذكره دوما بابتسامة تذيب حزنك. مواقف أخرى وأناس يؤلمك وجودهم فسريرا تذيبهم وتنسأهم. ليصير الواحد منهم بعد ما كان لك كل شئ، ولا أي شئ. التقت خلصة نحو آدم، وشيئا فشيئا تذوب في أعين أحدهم كأن لم – يوما تكن. هل يمكن ؟ تنهدت وعدت لأفكاري.

تحسست جببي وأخرجت قلادة هارد روك أتفحص اسم منصورة عليها. تذكرت يوم أخبرت منصورة بضرورة أن تشتري هاتفًا، كالعادة عارضتني وتحجبت بألف حجة. طلبت بطاقتها كي أشتري لها خطأ باسمها فضحكت.

- بطاقة إيه؟

كنا في السوبر ماركت نشترى بعض البقالة حسبما أذكر، طفل صغير أتعب البائع العجوز وأثار ضيقه من كثرة طلباته وعناده. يريد بسكوتنا فيعطيه فيغير رأيه ويطلب شيبسي، لا مصاصة، لا لا لبان فراولة. زفرت منصورة

- يابني انجز في يومك ده عايز إيه؟

نظر لها الولد برعب فلكزتها في كتفها

- إيه هتاكلي الواد؟ ثم ردي على هنا زى مابكلمك.

أشارت لي بيدها علامة الصبر

- انطق يابني، بسكوت؟

هز رأسه بنعم فسأله البائع بابتسامة شماتة جلية وقد رحمته منصورة من سماجة الطفل

- سادة ولا محشي؟

- يابنتي ردي على بقولك؟

- ماشية بكارنيه النادي ، تاخديه؟

قالتها بسخرية وخطفت باكوا البسكوت من يد البائع دون أن تمهل الصغير السمج وقتًا للإجابة

- خد بسكوت محشي كرنب اهوه!

خطفه الولد وجري دون أن ينظر وراءه. لا بطاقة، لا شهادة ميلاد، لا شهادة تأمين، لا شئ. في نظر الحكومة منصورة لا

توجد من الأساس. وفي نظر الناس أيضا. قطبت حاجبي حين
فهمت الطرفة. فعلا شئ يدعو للضحك.
ماذا إن احتجتي إثبات هوية في أي كمين؟ تهز كتفيها. ماذا إن
مرضت واحتجتي تأميناً؟ تمط شفتيها. ماذا إن أردت الإستقالة
وقبض معاشك؟ تضحك بشدة وتبصق.
منصورة لم يتم تعيينها في أي وظيفة من الأساس. ممدوح
أبوسالم من يعطيها راتبها الشهري. هي تعمل عنده لا عند
الحكومة. فتحت فمي في ذهول فضحكت أكثر وضربت على
كتفي. المهم أنني اشتريت لها خط الهاتف باسمي. وسافرت بعد
أن اتفقت مع أخي على إيجاد حل لهذه الكارثة.
كان هذا من سنة تقريبا وحتى الآن لا جديد بخصوص أوراق
هوية منصوره. استطاع إفي حل مشكلته في بلد غريب بشكل
أسرع. فتحت كاميرا الهاتف ألنقط صورة للقلادة
- اعتبري دي بطاقتك الجديدة.
وضغط إرسال.

لاحت فاسار في الأفق تلفت حولي. استيقظ الوفد أو معظمه، آدم لازال نائما. وقف إفي يتحدث معهم في حماس ويخبرهم بأننا سنتجه أولا إلى السكن وبعدها سنذهب مباشرة إلى فيزا لحضور العشاء الصغير الذي حضره لهم باقي الزملاء هناك. نادى إفي آدم يوقظه، فرك عينيه وتثائب -
صح النوم!

ابتسم

- هنروح على السكن تحطوا الشنط ونتقابل في فيزا بعد نص ساعة.

أوما موافقا

- بس مش فاكرا اسم البيت الي هنزل فيه؟

أخرجت لائحة بأسمائهم وبأماكن سكن كل منهم. الروس سينزلون في منزل رايموند. اليابانية معي في سترونج. -
انت في لاثروب.

مرر يده في شعره وابتسم. أوصلنا الطلاب كل إلى مسكنه واتفقنا على أن نتقابل أمام نقطة معينة حددناها للجميع للإطلاق منها إلى فيزا. تكفل أوتوي بالروس وأخذت أنا اليابانية معي إلى سترونج.

اسمها كاورى. فتاة لطيفة في الخامسة والعشرين تدرس الفن. أخبرتها عن ماتيلدا ووعدتها بأن أعرفها عليها قريبا وعلى كازوالذي سيحب ذلك بالتأكيد.

أتى آدم معنا وانتظر في غرفة المعيشة الكبيرة في البهو الرئيسي حتى تأكدت من وصول البنت لغرفتها. نزلت لأجده جالسا على الأريكة الكبيرة أمام التلفزيون. كان التلفزيون مغلقا إلا أنه استمر يحملق إلى الشاشة

- معلى هقطع عليك الفيلم؟

ضحك

- يلا يا بيه مافيش وقت لتلفزيونات.

أشرت عليه بأن نأخذ المخرج الخلفى لأن لاثروب أقرب من تلك النقطة. مررنا بمطبخ سترونج ووجدت بعض الفتيات يحضرن العشاء. لوحت لهن ومشيت. تبعني آدم يجر الحقيبتين. ماتيلدا موجودة وغرفتها مفتوحة.

- أهلا نون وصلت الآن؟

قالت وهي لاتزال على مكتبها. أومأت وأشرت نحو ضيفي - آدم من يوكيه.

تنحنح

- ومصر.

قامت وسلمت عليه. أخذ يدها في يده وحادثها بالفرنسية. اممم غريب! يكتفى بسلام الأيدي. بدت عليها الدهشة حين حادثها بالفرنسية وسرعان ماتبددت واخذا (يرطنان) سويا حتى أتت أن

- اه اكتملت اللمة.

عرفتها على آدم وغمزت له

- هترطن معاها بالألماني دي كمان؟

ضحك. تحدثنا سريعا وسألتهما إن كانتا ستحضران العشاء في فيزا

- كلنا سنحضر.

نظرت مستفهمة فردت ماتيلدا

- كازووناتاليا جاهزان وبانتظارك.

- طب كويس أنا رايحة أوصل آدم.

- ستسكن في لاثروب؟
- سألت ماتيلدا هز رأسه وأشار لي
- هي الي بتقول.
- ضحكت أن
- اه ستسمع الكلام دون مناقشة إذن.
- خرجنا من سترونج واتجهنا نحوالباب الخلفي لللاثروب.
- أصحابك لطاف قوي.
- ولسه كمان كازووناتاليا هتحبهم قوي.
- قلت بحماس وأنا أمد يدي نحوالباب. اخ مققول.
- نروح من الباب الرئيسي؟
- سأل فهزرت رأسي بلا. دققت الباب وناديت على ناتاليا
- وكازو. وفعلا أطلت برأسها بعد ثانية وفتحت. رحبت بآدم
- وخرج كازووسلم عليه وتكفل بإيصاله إلى غرفته في آخر
- الممر.
- متنساش قدامك ربع ساعة تقريبا ونتقابل.
- أشرت للخارج فابتسم
- طبعا!
- استوقفته فالتفت في تساؤل، غمرت
- اوعى تنام.
- ضحك.

في البهو الرئيسي أمام الكانتين وحيث التقينا أول مرة، نظم سترايدير والباقيين عشاء رائعاً. سمحت لنا الإدارة بميزانية \$١٥٠ وهذا أكثر من رائع. سنقتصد ونوفر بعض المال لمناسبات قادمة أخرى. طلبوا المخبوزات من المخبز اليوناني في جادة رايموند.

والأكل إيطالي ومكسيكي. تفقدت طاولة الطعام المكسيكي. لست معجبة جداً بالمطبخ المكسيكي ولكن الجواكامولي والناشوز مقبلات أكثر من رائعة. وبالتأكيد مطعم إيطالي يعني بيتزا. الحمد لله لن أنام من غير عشاء.

تفرق الطلاب يتحلقون وقفاً في البهو. هذا يضحك وهذا يُعرف هذا على ذلك. جودافى. وعلى سيرة الدفء نظرت من البوابة الزجاجية الكبيرة لندف الثلج المتساقطة بالخارج. سأفتقد هذا كثيراً. شعرت بالعطش. طاولة المشروبات في الركن. جذبت كوباً بلاستيكيًا وتفقدت الزجاجات أمامي. اه وجدتُها. عصير الرمان. صببت لنفسي والتفتت لأجد آدم ممسكاً بكوب آخر يدعوني لملئه.

- ايه رأيك في الحفلة يا آدم؟

أشرت حولي في حماس

- منتهى الدفا الي في الدنيا.

لست أدري ما الأكثر دفئاً؟ الجومن حولي أم ابتسامتك أيها الغريب؟ ملأت كوبه فرفعه نحو كوبي وضربه ضربة خفيفة محدثاً تكة مكتومة لإرتطام البلاستيك

- في صحتك.

ضحكت. وقف سترايذر في منتصف الغرفة يدعو من حوله للإنصات. رحب بالجميع ووعدهم بقضاء وقت ممتع وآمن في فاسار.

- والآن سنلعب لعبة.

غمز سترايذر لناتاليا التي انضمت لي ولآدم فلكرتها في مكر. سن تبادل التعارف بشكل عادي كما نفعل الآن ولكن اللعبة تقضي بالأ يزد وقت حديثك مع نفس الشخص لأكثر من خمس دقائق.

- ستتولى جين التوقيت وستصحح بإنهاء الدقائق الخمس ووقتها ستبدل مكانك مع الشخص المجاور لك.

أكمل سترايذرو هو ينظر نحوي بابتسامة غامضة

- ولكن..

اه.. عرفت أنه لابد وأن يكون هناك فخ ما. أعلم هذا جيدا فأنا من حضّرت الفخ.

نظرت ناتاليا لي مستفسرة فتظاهرت بعدم الفهم وكان دورها لتلكزني في كتفي. ليلة الأمس حينما كنا ننظم اللافتات ونتأكد من غرف الوفد ونختار الطعام والمخبوزات، خصصنا وقتا لألعاب التعارف وكسر الجليد بالطبع.

- ستتبادل أنت والشخص الجديد المعلومات التي عرفها كلاكما عن طالب الفيزا أو الطالب القديم.

ضحك

- لعبة إستخبارتية صغيرة، وبعد نصف ساعة، وهو وقت اللعبة بالكامل سنسأل كل منكم عن بعض المعلومات الخاصة ومن يجيب عن أكبر عدد من الأسئلة ستكون له هدية خاصة من نون.

التفتت الأنظار نحوي فلوحت بيدي في حركة مسرحية
- فهي من اقترحت اللعبة.

وضّح سترايذر. لكزنتي ناتاليا مرة أخرى وضحكت.
- مستعدون؟

صرخ سترايذر وبحماس هتفنا بالإيجاب.
- انطلقوا.

إذن فالسباق بين الوفد الجديد والفيزا. على الوفد الجديد أن
يجمع أكبر قدر من المعلومات عننا وعن الجامعة في خلال
نصف ساعة. وقفت مع إحدى الطالبات الروس. لمحت ناتاليا
مع آدم. وأوتوي مع كلوري. والباقون كذلك تفرقوا هنا وهناك.
ولخمس دقائق أخذت الروسية تسألني وأسألها. حتى صرخت
جبن بالتبديل.

أنا الآن مع كلوري. تحدثنا لخمس دقائق وبدّلنا. واجهتني
ناتاليا وضحكتنا.

- كيف كانت نيويورك؟

- اه رائعة كالعادة، مشينا في ميدان تايمز ودخلنا ديزني
ومحلات كثير، اه والمكتبة.

أخذت أثرثر وأثرثر حتى أتى سترايذر ينبئنا بإنتهاء الدقائق
الخمس واستأذن ليتبادل الحديث مع ناتاليا

- طبعاً يا باشا تفضل.

قربت معصمي أدقق في الساعة وغمزت

- أربع دقائق وخمسين وأربعين وعشرين، دقيقتين إلا ربع.
ضحكتنا.

- دوري.

- اه السيد آدم عمر؟

- وربنا أنا.

ضحكت

- هتفضل ماسك لى الموقف ده لحد ما تمشي صح؟

هز كتفه فرفعت يدي أمام وجهي

- قلت لك إن ده حلم وأنا ماليش ذنب فيه.

ابتسم

- طبعا طبعا. المهم عندي سؤال؟

بدت الجدية على وجهه، فتحت يدي إشارة لإعطائه الإذن

فتألفت حوله قليلا

- كان نوعه ايه البلح الي في الحلم؟

ضحكت لكنه لم يزح عيونه السود عني

- بتتكلم جد؟

أوما وانتظرني بصبر، يرشف من العصير

- بلح اسود بيلمع مشافتش زيه قبل كده.

قلت وأنا أرقب سواد عيونه اللامعة.

انتهت النصف ساعة وطلبنا عشر دقائق زيادة. كان الجميع

مستمتعا. انضم لنا بعض الزملاء الذين كانوا يمرون لأخذ

مشروبا سريعا قبل الذهاب لصفهم المسائي. قابلت ماري من

صف الدراسات الأمريكية وسألتني إن كنت سأحضر الفيلم

التسجيلي للصف والذي سيعرض مساء الاثنين. لست متأكدة،

الاثنين يوم حافل فهو بداية الأسبوع الدراسي وغالبا ما يكون

ممتلئا عن آخره. غمزت لي

- طلبنا الأكل من جستو.

- طبعا ساتي؟

ضحكت ولوحت لي وخرجت. تسعين بالمائة لضمانك نجاح الحدث أو الحفلة التي تجهز لها يعتمد على نوعية الطعام الذي ستطلبه. عندما تكتب الإعلانات وتجهزها فلتترك مساحة لذكر نوع المطبخ الذي سنأكل منه. جستومطعم جميل يقع خارج فاسار. أرغب بالذهاب إليه يوما قبل السفر. وما أن نتأكد من أننا لن نجوع، نسارع بالذهاب فورا. في الواقع أحيانا نذهب فقط كي نأكل

- والباقي شكليات يعني. عندكوا كده في لندن؟
سألت آدم وأنا أضحك. أعلم عنه معلومات أكثر الآن. أخبرني أنه تخصص في القانون الدولي وتعين أستاذا مساعدا في ليفربول حيث يعيش مع أبويه. يُدرس أبوه القانون أيضا وتدرس أمه المصريات.

- دي من الجامعات الي مقدمة فيها بس لسه موصّلنّيش رد، اه على فكرة أنت ممكن كده تدرس لسترايدر؟
أشرت له هناك فأوما آدم بالإيجاب.

- لما دردشنا أنا وهوقالي.
مر بأصابعه في شعره

- ليفربول جامعة مش سهلة في إختياراتها لطلابها بس إن شاء الله تتقبلي.

هزرت كتفي وعدت لسؤاله عن أبويه
- عايش معاهم في نفس البيت؟

هز رأسه بالنفي

- شقة منفصلة بس جنبهم يعني، جدي وستي بقي عايشين في
سوري.

- لا ماتتأسفش يا حبيبي بتحصل عادي.

ضحك. مدينة سوري Surrey، مدينة جميلة تحمل الطابع
الريفى الإنجليزى. ولا تبعد كثيرا عن لندن. جداه لأبيه يحبان
الريف لأنه يذكرهما بريف مصر.

- شفتي فيلم أجازة العيد لجود لوكيت..؟

- هل سمعت اسم جود لو؟

قاطعتنا آن حينما كانت تمر لملء كوبها بالعصير

- نون تعشق كل ما يتعلق به.

غمزت آن ومضت. نظر لي في فضول

- احم احم أيوه تقدر تقول جود لو الكراش بتاعى.

ضحك

- طيب يبقى أكيد شفتيه.

نظرت له في تساؤل

- الي كان بيحكى عن البنيتين الي بدلوا بيوتهم مع بعض في

الكريسماس؟

برقت عيني عندما تذكرت. اه هذا من أفلامى المفضلة فكرته

رائعة وحبكته أيضا. طول عمري وأنا أسيرة لفكرة تغيير

جلدك وحياتك ونفسك نفسها عندما يقتضى الأمر. لولم تفعل ما

فعلناه لانتهت حياتهما قبل أن تبدأ. والأهم أن به مستر جود

لووأنا مهووسة به جدا.

- جدك وستك عايشين في المدينة الي اتصور فيها الفيلم؟

والااااا

قلت بانبهار حقيقي فأنا أحببت مشاهد الريف الإنجليزي

العريق. والحقول والخراف التي ترعى هنا وهناك والكوخ

الذي سكنت به البطلة وكل شئ كل شئ. هم بقول شئ ما إلا

أن سترايدير وجين هتفا بانتهاء اللعبة وتعالّت الصرخات في مرج.

والآن حان وقت التصفية لإنتقاء الفائز صاحب المعلومات الأكبر. كل طالب على حدة ولمدة خمس دقائق سيكون عليه أن يجيب عن أسئلة عنا وعن فاسار، وصاحب أكبر إجابات صحبة هو الفائز.

وبدأت الجولة الأولى مع اليابان تلاها الروس وماليزيا وأخيرا مستر آدم. تعادل آدم مع كاوري.

- سؤال أخير سأسأله عليكما معا والأسرع هو من سيفوز.
أومأت كاوري في تصميم. لا مزاح مع اليابانيين يا سادة.
ومر آدم بيده في خصلات شعره وهز كتفه.
يبدولا مباليا...

مالت ناتاليا على سترايدير وهمست له بوضع كلمات برقت لها عينه ونظر نحوي في لفظة سريعة. تنحج
- والسؤال هو: من منكم مستعدا لحضور حفل عيد ميلاد إن' نوننا العزيزة؟

وتعالّت الصرخات. فتحت فمي في ذهول. لم أتوقع هذا أبدا.
اندفع الجميع نحوي يهنأونني. المطاريد كلهم هنا. أن وماتيلدا احتضنتاني. كازو ربت على كتفي في حب...
إفي العزيز يصفق في جذل...

آدم يتسم في سعادة...
زأغت عيني في المكان كله وحيثما أقلبها تقع على من أحب.
آه إنها لحظة من الجنة...
تتابعني ناتاليا العزيزة من بعيد. بعض طلابي أتوا أيضا.

- إن القصيرة العزيزة.
أوه أديتي أيضا. نظرت لئاتاليا في عرفان. أخذت سفير في
حضني بيد وعائشة أمه في اليد الأخرى. لم تعد لي قدرة على
عرقلة دموعي فحررتها. مالت علي نأتاليا
- لا مكان للدموع اليوم.
- متى قمتى بتجهيز هذا كله ؟
سألتها من بين دمعاتي وأنا ألهم
- لست وحدي، كلنا كنا معا. ثم أنا قلت بأنى سأحتفل بعيد
ميلادك هنا كما احتفلي به في مصر.
احتضنتني
- أنا محظوظة أن ساقني القدر إليك عزيزتي.
- أنتِ اختى يا نأتاليا.
قلت بصدق من وسط دمعاتي. ازداد الصخب حين ظهرت أن
وكازو بالتورته...
تورته الشوكولا التي تخبزها ماتيلدا على الطريقة الفرنسية
وتأبى أن تبوح بسرها لمخلوق. غنينا سنة حلوة ياجميل
- تمنى أمنية يا قصيرة.
هتف أديتي درت بعيني في من حولي واحدا واحد ثم
أغمضتها...
لا أريد لهذه اللحظة أن تنتهى...
أريد أن نبقى كما نحن حتى آخر الزمان. ولكن رغما عني
تذكرت نصفي الثاني في مصر.
- ليس لدينا اليوم بطوله.
- نريد أن نتذوق التورته.

تعالت الهتافات في مرج. أعرف تماما ما أريد ودون لحظة
زائدة فتحت عيني أطفئ شمعة وأضئ ألف ألف طاقة نور
أخرى في روحي.
تعالت الصرخات وأتى سترابير بزجاجة شمبانيا اشتراها
خصيصا لهذه المناسبة
- أعرف بأنك لا تشربين الكحول ولكن اسمحي لنا أن نشرب
نحن على شرفك وشرف الوفد.
هزرت رأسي في تقدير.
- من دون الواحدة والعشرين يتفضل بالخروج.
هتفت ماتي في مرج وتعالت الموسيقى. اختار أديتي أغنية
بنجابية لم يستطع أيا منا فهم كلماتها إلا أنها نجحت في توحيدنا
كلنا في قرار واحد، الرقص. رقص كل منا حسبما بدا له.
وضحك علينا أديتي حتى كاد ينقلب على قفاه مثلما يقولون.
اختارت أن بعدها أغنية ألمانية وتلتها فرنسية لماتيلدا أما ناتاليا
فاختارت أغنية لعمرودياب كانت قد بحثت عنها وجهزتها كي
تفاجأني. رقصنا على إيقاع الموسيقى دون الإهتمام بتفسير
أوترجمة الكلمات. للموسيقى لغة واحدة على أية حال.
اه ولكن لا بد وأن تكون أدركت جيدا أن الغربة ليست فقط
غربة سفر وحواجز ومطارات وأختام، تلك الغربة لا تقارن
بإغترابك الحقيقي داخل ثنايا روحك. فإغترابك النفسي لن
يخرجك منه ألف فيزا إلا إن سمحت له، فقط اسمح له وانظر
ما سيحدث.

أخذت نفسا عميقا حتى دخلت بعض ندف الثلج إلى أنفي فعطست.

كنت قد هربت إلى شرفة الدور الثاني بحثا عن مكان أختلي فيه بنفسي. ترى لماذا نخاف من السعادة؟ منذ كنا صغارا ونحن نرى الكبار يمسكون بصدورهم وهم يجاهدون ضحكاتهم ليقولوا من وسط لهائهم "خير اللهم اجعله خيرا!" حقيقي لم أفهم. هذا ما وجدنا عليه آباءنا صح؟

وفعلا كبرت لأقلدهم وأحاكي ما يفعلون. كلنا نحاكي دون فهم. لماذا انسحبت من فقاعة السعادة بالأسفل وتسحبت كي أجد نفسي وأفتح معها نقاشا عن أهمية الخوف لصحة الإنسان؟!

بدأ عقلي في تحديد أسبابه دون استئذان. هل نخاف من مرور اللحظة؟ أم نعلم أنها عاجلا أو آجلا ستمر؟ لذا نقرر أن نحجم سعادتنا انتظارا وتوقعا للأسوأ؟ لكن لماذا نحجمها؟ إن كان الأسوأ آت لا محالة فلماذا لا نحررها ونعطيها حقها عن آخره، أليس هذا هو العدل؟

رفعت رأسي أرقب الثلج المتساقط علّه يَمَن على بإجابة. تنبأ خبراء الطقس بأن تلك آخر عاصفة. ربيع مارس سيذيب كل الثلوج.

- شكرا إنك ادبتني عيلة ثانية هنا كمان.
همست للسماء. لا أرى شيئا ولكن أعلم أنها هناك فوقى، مرفوعة بعمدان لا نراها وأعلم أن الله حولي في كل مكان. اه السعادة أيضا لا ترى بالعين المجردة وإنما نحس بها تغزو خلايانا. قبضت بيدي على السور
- بلغهم سلامي وقولهم ما يخافوش على.
- بتكلمي مين؟

قفزت من مكاني فزعة
 - اسف خضيتك؟ أنا بس شفتك وانتى طالعة و..
 ارتبك ومرر أصابعه في شعره
 - وحببت أبقى معاكى.
 تنحنح
 - تحبى أسيبك؟
 هزرت رأسي بلا ودرت بعيني بين الثلج حولى. ابتسم بحنان
 - مكنتش أعرف إنه عيد ميلادك؟
 ارتكن بيديه على السور فشعرت بدفء يده حين لامستني
 ومجددا سرت رعشة كهربية إلى جسدي. ترى هل لاحظ؟
 فركت يدي أداري ما أَلَم بي وافتعلت ضحكة
 - ماهومش عيد ميلادي فعلا!
 نظر مستفهما فأخبرته بأني احتفلت بعيد ميلادي في أجارة
 الشتاء في مصر ولكن ناتاليا أصرت أن نحتفل ثانية
 - كنت فاكراها بتهزر.
 بدا عليه الفهم فلمعت عيونه السود ببريق أخاذ. هربت بعيني
 بعيدا
 - تعرف إن المبنى الي احنا فيه ده كانت ساكنة فيه الممثلة
 جين فوندا؟
 سأل بمرح
 - معقولة! كانت بتدرس هنا؟
 أومأت بحماس
 - ميريل ستريب كمان، استضافها طلاب قسم المسرح نوفمبر
 الي فات وكان حدث جميل.

رفع حاجبيه في إستمتاع. أخذ يحدثني عن المسرحية التي قام بها وهو صغير، إلا أنني لم أفهم حرفا واحدا فقد شغلتنى لكنته الإنجليزية ذات الرنة الكلاسيكية. وكأني انتقلت إلى إحدى فصول رواية من روايات جين أوستن. اخ تهت.

رنين رسالة استدعاني من حرم صوته.

- أين أنت؟ وقت الهدايا؟

كتب كازو وكررت أن السؤال

- يلا ننزل؟

أوماً موافقا. اتجهت نحو أن وكازو وماتيلدا. ناتاليا وسترايدر كانا يرقصان على موسيقى هادئة وعندما رأتنى أتيا نحونا

- هاه جاهزة لهديتك؟

سأل كازو وبحماس

- اشتريناها معا.

قالت أن

- ولكن أنا صاحبة الفكرة.

غمزت ناتاليا. أخرجت أن علبة مغلقة من تحت طاولة المشروبات وناولتني إياها. ترى ما هي الهدية التي أجمعت عليها الأرجنتين وفرنسا وألمانيا واليابان؟

كارت صغير ملصق أعلاها "لأنك أنظف قلب." وصورة سمايلي يغمز. التوقيع: المطاريد.

هزرتها محاولة تخمين ما بداخلها. وصلني صوت خشخشة مكتومة. كتب جديدة؟ لا أعتقد. اه ممكن تذكرك من متجر فاسار كنت قد رأيت مفرشا كبيرا من الصوف بلوني الجامعة الرمادي والمارون. هزرتها مرة أخرى، أيضا لا.

- افتتاحها يا نجوى!
قال آدم وهو ينظر نحوها بفضول
- نعم افتتاحها الآن.
صفقت ماتيلدا في جزل. أسندت العلبة على الطاولة. وقطعت
الورق المذهب الذي يغلفها. بدا جزء من المنتج مرسوما على
العلبة. تبدو كأداة من أدوات المطبخ
- مقشرة بطاطس؟
سألت في عدم فهم. قهقه كازو وصفقت ماتيلدا مرة أخرى
وهي تتقافز
- افتتاحها وستعرفين.
أزلت الباقي من الغلاف الورقي وفتحت الغطاء الكارتوني.
وهاهي في يدي. زجاجة بلاستيكية في حجم زمزية متوسطة
ولكن هذه عنقها طويل ينتهي بمرشات.
أدرتها لآدم علّه يخمن ماهي فضحك حتى احمر وجهه.
وأخيرا فهمت. اه ماذا أقول؟ إنهم يفهمونني. برقت عيني في
مرح وصرخت
- شطّافة يا أولاد المجانين؟
تعالّت ضحكاتنا وتحلقنا معا في حضن دافئ طويل لن أنساه
أبدا ما حبيبت.

ياله من يوم! ارتميت على سريري أعيد أحداثه مشهدا بمشهد.
جولة نيويورك مع إفي ووصول الوافدين الجدد وحفلتهم التي
انقلبت لحفاتي أنا والشطافة التي وضعتها بفخر في الحمام
ولكن ليس قبل أن أصورها لحسام ومنصورة.

أتى رد حسام بعد دقائق مستفهما فأخبرته بأنها هدية ووعده
بشرح الأمر كله صباحا حين أحادثه سكايب.

منصورة أيضا لم تفهم وحين أخبرتها أرسلت رسالة صوتية
مكونة من ثلاثين ثانية فقط. في الثلاث ثوان الأولى أخبرتني
بأن (أسد وداني) وفي السبعة وعشرين الباقية سبّت ما يقرب
من السبعة وعشرين سبة في انبهار تام بهذا الإختراع العجيب.
ثم أرسلت رسالة صوتية أخرى لدقيقة كاملة هذه المرة تسب
وتلعن طوال الستين ثانية هذا الشعب النتن الذي لا يشطف
نفسه بعد كل حمام.

رسالة أخرى أتت من ناتاليا تقول فيها بأنها قد أضافت آدم
إلى مجموعة الواتس وكازوأيضا قام بإضافة كوري. أرسل
آدم يخبرني

- هدية عيد ميلادك هتوصلك بكرة أوبعده بالكثير هنا في
الجروب.

وغمز. اه غمزة أخرى؟

- أرجوكوا كفاية مفاجآت!

- تصبحون على خير يا مطايد.

قالت ناتاليا

- نوما هنيئا يا جماعة.

ردت ماتيلدا. وأتى صوت أن عاليا من الغرفة المجاورة

- تصبحون على خير يا فتيات سترونج.

ضحكت. أسبلت جفوني وفي تزيينه ابتسامة حالمة.

قطع نومي الهادئ دقائق جرس الإنذار. فأنتفضت وأزحت
البطاطين وقمت ألتقط الجاكت والبونيه من حيث تركتهما.

فتحت باب حجرتي لأجد أن وماتيلدا وبعض من الفتيات الأخريات يتجهزن للخروج. وضعت البونيه على شعري ونحن في طريقنا للباب. لم نتدافع وباقي الفتيات. كل يعرف ما عليه فعله.

عندما تنطلق صفارات الإنذار تتجه إلى أقرب مخرج وتنتظر خارج المبنى لحين وصول أفراد الأمن التي تتبئك بزوال الخطر. هذه أولى قواعد الأمن التي يتدرب عليها الطلاب هنا من قبل المرحلة الابتدائية. لذا لا وجود لأي هرج أو مرج.

تذكرت أول مرة انطلقت فيها صفارات الإنذار وأنا هنا الخريف الماضي. لم أكن أعرف ما الذي يحدث بالضبط؟ هل قامت الحرب؟ هل هي نهاية العالم؟ حينها أصبت بنوبة فزع إلا أن الفتيات طمأنني واصطحبني معهن للخارج في هدوء وسرعة. اه كان تدريباً لا أكثر. ومن يومها وأنا أجهز نفسي لأي موقف مماثل. النظام حلوايا أولاد!

- هل هذا تدريب؟

سألت وأنا أنزل درجات السلم

- لا نعرف بعد.

هزت ماتيلدا كتفيها وهي تتأفف من البرد وتحكم الجاكييت حول جسدها. تلفتنا حولنا لنجد كل فتيات سترونج في الفناء الخلفي للمبنى. خلال عشر دقائق أربع ساعة على الأكثر من إنطلاق جرس الإنذار يتم إخلاء المبنى بالكامل.

- الساعة كم الآن؟

سألت أن وهي تتثائب فردت واحدة

- الثانية والنصف.

برررر وحوحنا من البرد. التفتنا نحولاً ثروب. الجوهادئ
ويغطون في نوم عميق. يا لحظهم! عندما يدق جرس الإنذار
عندهم نخرج لهم ألسنتنا من الشباك إن كنا مستيقظين.
بعد ربع ساعة تقريباً، خرج لنا أفراد الأمن. أخبرونا بأن
جرس الإنذار انطلق أولاً من الطابق الثاني وعندما ذهبوا
لتفقدته وجدوا مجففاً للشعر وقد نسيته إحداهن في
الكهرباء. فتسبب ذلك في شياط أسلاكه وتصاعد الدخان الذي
أدى لإنطلاق الإنذار.
تم التعامل مع الموقف بفعالية وحزم وسرعة. طمأنونا بأن كل
شئ تمام الآن. شكرونا على حسن تصرفنا وسرعة خروجنا
وامتنالنا لقواعد الأمان. وأخيراً طلبوا منا بمرح أن نجري إلى
السريـر بلا خوف الآن. وفعلاً جريـنا نتحصن بالدفء. وبعد
خمس دقائق كنا نغط ثانية في النوم.

نون

لم أقابل منصوره بالأمس...
 ولسبب مجهول لم أنعم بأي نوم يُذكر. طلع الفجر وقد قررت
 أن ألغي جميع حصص اليوم والذهاب لملاقاتها. سأعمل لها
 مفاجأة. أم أنا التي ستتفاجأ؟ لا يهم.
 المهم أنني انتظرت حتى أتت الساعة السابعة وطررت على
 الشارع. وجدتتها متكومة في فرشتها التي تركت لها
 السندوتشات تحتها. راقبتها لحظات. كم هي مسالمة وبريئة.

رموشها الطويلة تظلل عينيها فلا تظهر خضرتها ولكن
 يمكنني تخيلها. اقتربت منها بهدوء كي لا أوقظها وانحنيت
 نحوها. تصنع من كلتا يديها وسادة تضعها تحت رأسها.
 ورجلاها مضمومتان نحو صدرها في موضع جنيني لا يتماشى
 ورصيف الكورنيش. لا يسترها سوى بطانية قديمة مهترأة لا
 يتعدى سمكها جلدة الكراسي التي يكتب بها طلاب أولى ابتدائي
 في الحصة.

بدأ جسدها في الاهتزاز فجأة، جفلت وهممت بالسقوط على
 ظهري إلا أنني تماسكت ونجحت في الإستناد بأصابع يدي
 اليمنى أتشبث بالفرشة. أخذت تتمم بكلمات متفرقة لم أتبين
 منها سوى: المطر.. أمي.. والغول. اممم هل كانت تحكي لها
 أمها حدوتة قبل النوم عن الغول؟

زادت هزات جسدها وبدأت أسمع صوت أنين وكأنها تصارع مجهولاً. لم أستطع مراقبتها أكثر فقررت إيقاظها. تفاجأت من وجودي وسألتني عن الساعة. أخبرتها بأنني سأقضي اليوم معها. أرغب بإضفاء بعض الحياة لحياتي الميته. ووجود منصوره يقدم لي منحة كاملة ومفتوحة. وعدتها بأنني سأكون لها كالتابع الأمين الذي لن يرهقها بأي أسئلة أو بأي أحكام. على كل، من أنا لأحكم عليها؟ وافقت. وأخيراً قابلت من هي أكثر جنونا مني. أردت بأن أتقافز فرحاً، بأن أصفق أو أصرخ ولكن فرحتي لم تكتمل حين بدأت في النظر لي وكأن مظهري غير لائق. شددت الجاكت حول جسدي. وحينما أخبرتني بأنني يجب أن (أوسخ) نفسي انفعلت. ولم أستطع منع فمي من السقوط في دهشة. تابعتها لحظات كي أتأكد من جديتها. أشارت لي بنفاذ صبر فأخذت أتلقت حولي بحثاً عن وسيلة مناسبة لتحقيق درجة الوسخ الذي ترغبه.

لمحت كومة تراب مكومة على الرصيف. قبضت على كومة التراب. إذا كان هذا هو المطلوب كي أصبحها، قربت الكومة من وجهي أزعم رشه بها ولكنها استوقفتني. اه كان إختبار إلتحاق. أرادت التأكد من تبعيتي. ما يدهشني في منصوره هي أنها دائماً ما تخالف توقعاتي.

منصوره تعطيني دروساً وتعلمني ما لم أتعلمه في سكاشن الجامعة. أتفق معك يا منصوره الوسخ الذي يملأ النفوس أكثر من الوسخ الذي يغطي الملابس. ثم أنا لا ألمح وسخاً على

قميصها وبنطلونها. اه يا لئيمة يا منصوره واه يا غلبانة يا نجوى.

طلبت مني أن أتبعها إلى عمارة قريبة. أنا قلقانة، وشعرت بالقلق أكثر حين اتجهنا نحو البدروم. وقفت عند المدخل مترددة. ما الذي أفعله هنا بجد؟ التفتت وأشارت لي. شئ ما في خضار عينيها الصارمة يأمرني باتباعها في صمت. أخذت نفسا عميقا أداري به انفعالي وتبعتها. ناولتني الكيس البلاستيك وطلبت مني أبدل ثيابي بثيابها. أشارت لي بالدخول للحجرة. قفلت الباب ورائي وانتظرتني هي بالخارج. كانت غرفة صغيرة بها شباك صغير للتهوية وتلفزيون أصغر وطاولة وطشت تحتها وباجور. في الركن توجد كنبه طويلة لابد وأنها السرير

- ده فيه نونوهنا!

هتفت بدّهشة. كان رضيعا نائما في سلام. ألقيت عليه قبلة سريعة وبدأت في تبديل ملابسي.

لم تكن هناك مرآة كي أتتحقق من مظهري إلا أنني حين خرجت وواجهتها شعرت بأنها تقاوم ضحكة تعتمل بداخلها. اه تلك الماكرة تستمع بروئيتي في هذا القميص الواسع والبنطلون الطويل الذي (ينسلت) مني بين كل لحظة وأخرى.

عدلت من وضع طرحتي، عصبنتها حول رأسي كما كنت أراهم في سوق الخضار. لم أعترض. أردت إرتداء الجاكت ولكنها أخبرتني بأني لن أحتاجه. تمام، هي أدري مني بما أحتاج.

كومت الكيس وراء الباب وأشارت لي باتباعها للخارج. كنت أقف بين لحظة وأختها (أشمر) البنطلون وأرفعه. التفتت هي

مرة ولم تعلق إلا أنني لمحت ابتسامة في جانب فمها سرعان ما وأدتها في مهدها قبل أن أراها.

ذهبت إلى عمارة أخرى وخرجت بمقشة بالية. أعطتني المقشة وقالت بأني سأكنس من هنا وحتى فيلا غيث. يا سلام! أنا أصلاً أكنس غرفتي بالعافية.

هذا كثير يا منصور. ولكن لا يبدو عليها أنها سمعتني. شعرت بأنها ترغب بالتخلص مني وحسب. حتى عندما ناديتها وسألتها كيف سنلتقي قالت بأنها

- هتلاقيني.

زفرت في إستسلام. وقفت أرقبها للحظات حتى ابتعدت عني. نظرت للمقشة في يدي وتنهت

- استعنا على الشقا بالله.

ازدادت زحمة المشاية السفلية بالطلاب المتجهين للجامعة. الناس في كل مكان. وقفت الميكروباصات تنزل وتحمل الطلاب. باصات المدارس ملأت الدنيا. لم يكن بالمشاية موقع لقدم. كنت أتلفت بين الحين والآخر أرقب وجوه الناس وأرى إن كانوا يتابعونني. كنت خجلة.

توقفت عن الكنس. دققت النظر في الوجوه من حولي. هم لا يرونني من الأساس. اه تحقق حلمي أخيراً، يا لفرحتي! أنا مخفية بالنسبة لهم. أرتدي طاقية الإخفاء التي حلمت بها.

حتى كفوفي لا رغبة لي في إخفائها. شمريت عن ساعدي ولم أكثرث للشق الطويل في معصمي الأيسر. حتى وإن رأوني فلست أنا من سيرون وإنما أخرى لا أعلم من هي.

تعمدت الإصطدام ببعضهم لأفاجأ بهم يفتحون الطريق لي
ويتقادوني كالوباء. لا يحرقونني بنظراتهم ولا يقبلون شفاههم
حين يروا ألواني غير المتناسقة. اه تحررت.

كنست وكنست حتى نسيت كل من حولي. لم أكن أكنس
الرصيف قدر ما كنت أكنس مخاوفي. جمعت كومة كبيرة من
عقبات وحواجز كانت متفرقة في ثنايا نفسي لما يزيد على
الثلاثين عاما. هاهي تحت أمر مقشتي. كومتها بعنف. لم
أستئذنها. كومت وكومت وبعدها نفخت فيها فطارت مع
التراب تذروها الرياح كأن لم تكن يوما.

تصببت عرقا وأدركت لم أخبرتني منصوره بأني لن أحتاج
الجاكيت.

- بتعلمي ايه يا ميم في صيف أغسطس انتي؟

تنهدت

- ولا في رمضان؟

كنت عطشى وكنت خجلي لشعوري بالعطش. اه الجاكيت به
نقودي وهاتفي. ما الذي يمكنني فعله الآن؟ لم أدر ما الوقت.
استوقفت رجلا خمسينيا أسأله عن الوقت، لم يسمعني. سألته
بصوتي الرقيق. نظر لي بعدم فهم. يجب أن أستخدم صوتا
يعلو على صرخات السائقين وسباتهم. يصل لأذنيه عبر هواتف
بائعي الترمس والذرة وصرخات السائقين. فلأستخدم صوت
الشارع إذن.

سؤالي هو هولم تتغير كلماته ولم تزد عن

- الساعة معاك كام؟

نظر في ساعته بسرعة

- داخله على ١١.

أخذت أتلقت حولي، تأخرت منصوره. وأخيرا وصلت عند الفيل. تركت جسدي يسقط على أقرب دكة خشبية وجدتها. تركت المقشة لتسقط تحت رجلي.

لا زال العطش يهزني. كل جسدي بدأ في الإهتزاز. شعرت بحلقي يجف وبوجهي كله يكاد ينفجر من الوهج والصد. ما عدت متأكدة أننا في الشتاء.

- خدي يابنتي شكلك هبطانة.

التفت وأخذت القلة دون كلمة زيادة.

- أطعم مية دقتها في حياتي.

قلت وضحكت من قلبي. لم أتبين معالم صوتي. لست أدري ماذا يحدث لي ولم أهتم. تناول منى القلة رجل خمسيني تبدو عليه الطيبة. تبعته بنظري لأجده يذهب نحو عربة الترمس. اه هوبائع الترمس إذن.

- انتي جديدة في المنطقة؟

وجدت نفسي أجابه بنعم وبأنه سيراني كثيرا. لوح لي بيده ودفع العربة أمامه في صبر. الحمد لله. شربت وارتحت. اخ ليس تماما أنا جعانة جدا. معدتي توجعني من شدة الجوع. لم أجوع هكذا من.. من.. لا أعلم متى كانت آخر مرة شعرت فيها بالجوع. لا أعلم متى كانت آخر مرة شعرت فيها بالحياة. غلب الجوع التعب، فربعت يدي وسندتها على الذكة ونمت.

أخبرتني أمي بأن آخذ معي بطانية ثقيلة عندما أذهب إلى بلاد بره. أخبرتها بأن نتيجة المقابلة لم تظهر بعد. فربت أبي على كتفي بحنان وابتسم لأمي ابتسامة العالم بخفيا الأمور. - لازم تعرفي اننا سايبينك تسافري عشان إحنا واثقين فيكي.

قالت أُمي فنكست رأسي
- مافيش داعي تتكسفي من شيء، كلنا بنغلط، لكن مش كلنا
بنفوق في الوقت المناسب. لكن بنتي هتفوق في الوقت
المناسب.

احتضنني أبي فبكيت في حضنه.
- أنا آسفة أنا مكانش قصدي والله!
انضمت أُمي لنا واكتمل حضننا الجماعي، أردت أن لا ينتهي
أبدا. طفق أبي وأُمي يرددان بأني سأفوق في الوقت المناسب.
وبالفعل أفقت. دون أي سبب واضح أفقت لأجد مجموعة من
الأولاد الصغار تقف على مقربة مني ويتناقشون في أمر ما.
جفلوا عندما قمت فجأة. اقترب مني أحدهم محاولا جذبني
نحو المجموعة، أخبرتهم بأنه

- عيب ده أنا مدرسة وبدرس لأكبر منكم.
ضحكوا على النكتة. زاغت عيني على الناس المارة من
حولنا. هممت بطلب المساعدة إلا أن البلادة والتناحية الغربية
في أعينهم أوقفنتني. اه تذكرت المقشة. رفعتها بسرعة ولوحت
بها أمام وجهي، وأخيرا ظهرت منصورة.

فجأة أنت كالمنقذ الشجاع الذي سيحمي الأميرة الصغيرة.
الفرخة أنت لتحمي كتكوتها المبلول من الحداة. ابتسمت
وطلبت مني أن أسد أذني. احتमित وراء ظهرها وراقبت
وجوه العيال. لم يبد أنهم استجابوا بالطريقة التي توقعتها هي
لذا فقد مدت يدها إلى جيبيها الخلفي.

تابعتها بفضول فوجدتها قد أخرجت مطواة وفتحتها تلوح بها
أمام وجوههم وقبل أن تنهي تهديدها كانوا قد تفرقوا كالذباب.
لا أعرف بالضبط ما الذي أثار صدمتي إلى هذا الحد. هل

اندهشت من عمر (العيال)؟ أم من ما كانوا ينوون فعله بي؟
هل صعبت علي نفسي؟ أم صعبت علي منصوره؟ أنا في
الشارع من كام ساعة. أما هي ففي هذه الغابة من كام
سنة.

أن تلبس ملابس رجل وتتصرف وتتكلم كواحد من الرجال
هو أقل المطلوب كي تنجو. أفقت من شرودي على كلمات
منصورة المتبعثرة. كان الارتياك باديا على محياها. لا بد أنها
تؤنب نفسها على تركي. ولكن أنا من تؤنب نفسها على تركك
أنت بالشارع يا منصوره.

لمحت بعيني كيس بلاستيك على الأرض ورأيت السندوتشات
خارجة من فمه. لا بد وأنها أوقعته قبل المعركة. انحنيت
وفتحته. اه أنا جعانة. أخذت سندوتشا أكلت نصفه في قضة
وأعطيتها واحدا.

والنظرية تفيد بأن أكثر أسرارك ممكن بسهولة جدا أن تُطلع
عليها الغرباء في ميكروباص أو عيادة دكتور. سليمة جدا
وصحيحة مية المية. أحيانا الواحد منا يحتاج أن يعمل عكس
ما هو معتاد ، يعنى لو كنت معتادا على الصمت وعدم المشاركة
ستجد نفسك تتكلم وتتكلم وستفاجأ برغبة في البوح والإعتراف
بكل ذنوبك.

لحظتها أنت لا ترى من أمامك ولا تتبين ماهيته ولا يفرق
معك من يكون من أساسه، ما يفرق معك بحق أن تتوفر لديه
شروط الإصغاء والتي ليس من ضمنها التعاطف أو تقديم
الحلول أو حتى النصيحة. تخلق الصدفة الجوال المناسب وترى

من أمامك كاهنا ينتظر اعترافك من وراء ستار. ولكن ما يكسبك طمأنينة وأمانا تستطيع معه أن تنام كالأطفال هوحقيقة أنك أبدا لن تقابل من تعرّيت أمامه لتوك.

تغريك تلك الحقيقة للبوح والفضفضة والتجرد من أي هالة زائفة قد تكون أحط بها نفسك اتباعا لعادة خرساء أو انقاء لشر مجتمع. نفسها تلك الحقيقة تدق تلافيف عقلك بأن لا غرابة ولا استنكار إذا ما تكررت الصدفة ووجدت نفسك وقتها تتظاهر بعدم معرفة من تعرّيت أمامه يوما. أنا اخترت أن أحكي لمنصورة ومنصورة اختارت أن تسمعي. ثم تبادلنا الأدوار. مع خلاف بسيط وهواني أبدا لم أكن أنتوي التنصل من معرفتي بمنصورة أوالتنكر لها، وإنما مع كل كلمة وكل حرف نتبادلته كنت أزداد إصرارا للحفاظ عليها.

لم نشعر بمرور الوقت. حتى حل الغروب برومانسيته، تابعت مبيت الشمس في صمت. حررت يدي ومددت باطن كفائي أمامي في سكون. انتهيت من اعترافاتي وشعرت بخفة تجتاحني. باقي اعتراف واحد تركت لمنصورة حرية اكتشافه. لمحتها تنفحص الجروح في باطن كفي وشعرت بعينها وهي تتابع الشق الطولي الذي يصل عمقه إلى قلبي. انتظرتها أن تسأل ولكنها نكست رأسها لتشرّد في شقوق وخدوش يدها هي الأخرى.

إن كانت أيادينا شوارعا لتشابهُتُ ومنصورة بأن باطني كفينا متاهة لحواري وأزقة وحفرات معتمة، ستلتهم كل من رماه حظه العاثر في طريقها. ضمنت يدي نحو صدري ودون حاجة مني أن ألقت أخبرتها بأن تلك طريقتي للشعور بأني حية.

ما لم أقله بأن تلك (كانت) فأنا وبحق هذا الغروب الذي
جمعني بها وبحق الحزن الذي نلته من أبواي أقسمت ألا
أعاود فعلتي. لم تستوضحني ولم أقل المزيد.

غابت الشمس وشعرت بجسمي كله يتكسر وبمعدتي تان من
الجوع. خفت بأن أعلن عن جوعي أمام منصوره. وكيف لي
أن أدري إذا ما كانت تأكل عندما تجوع؟ أنا أكل عندما أجوع-
ولفترة طويلة كنت أكل دون أن أشعر بأي جوع- لأنني أملك
فعل هذا. أما هي فلا تملك سوى ما (تستلقطه) من هنا وهناك.
قبضت على معدتي أسكتها وتثأبت. أعلنت عن رغبتني في
الذهاب ولكن منصوره أخبرتني بأن السهرة لم تنته بعد. ذهب
عني التعب فجأة وتوارى الجوع خلف ستار من الحماسة
والفضول اللذان انتاباني لمعرفة نوع السهرة التي حضرتها
لي منصوره. في الحقيقة ظننت أنها قد نسيته في هذا الصباح
ولكني ظلمتها. كيف تنساني وقد جهزت لي سهرة مخصوصة؟
جذبتني من يدي تنفض عني الكسل واتفقنا أن نعود لعمارة
صابحة كي أستراد ملابسي. شعرت بانقباض حينما تذكرت.
انتهت (الفسحة) وعلي أن أزيل تنكري لأستعيد جلدي. ولكن
لا، لقد شعرت بحلاوة لا رغبة لي في التنازل عنها أبدا.
استبدلت ثيابي وعدلت من وضع طرحتي ولكني لم أتنازل عن
روح المغامرة في عيني. وحينما تفحصتني ميم اطمأننت حيث
رأيت انعكاس إصراري باديا في عينيها.

سألتها عن وجهتنا وفاجأتني بأننا وصلنا. رأيتها تتجه نحو ثلاثة
يفترشون الرصيف ويتحلقون حول ناراً يستدفأون بها ويشوون
عليها كيزان الذرة. تقلصت معدتي من الجوع.

تشاغلتم بمتابعة الثلاثة وللحظة الأولى خفت وانكمشت وراء منصوره حين أدركت بأني قد عدت لملايسي وجلدي. حين دقت النظر عرفتهم من وصف منصوره السابق. هذه المرأة التي تحمل رضيعها هي صابحة. وهذان الرجلان أحدهما حرامي الفراه والآخر لا أذكر اسمه. اه تذكرته من فيلم اسماعيل يس، اسمه الباز أفندي. ذهب عني خوفي وسرت خطوة بخطوة مع منصوره. عرفتي على ثلاثتهم. بالفعل هذا الضاحك المبتسم يكون صلاح وهذه صابحة والمتجهم الباز أفندي. هوليس متجهما ولكنه فقط يحاول فرض سطوته.

لكن على من؟ منصوره تطغى على الكل!. عرفتي عليهم أو عرفتهم علي فأنا أعرفهم بالفعل من كلام ميم عنهم.

وفورا شعرت بالألفة تجتاحني. تمجلست بين صلاح والباز تقابلني ميم وتحيطني بعينها. صلاح ودود يتكلم دون انقطاع. يخرج من موضوع ويدخل في الآخر بسلاسة تجذبني. ناولني الباز كوزا من الذرة وقبل أن يحذرني من سخونته كنت قد أعملت أسناني فيه. من أين أتوا به؟ هل هذا موسم الذرة؟ لا يهيم، أنا جعانة جدا.

ميم تحمل الصغير وتلاعبه. ما بال الأطفال يظهرون جانبك الحنون؟ وما بال الآخرين يدفعون مستر هايد للهرب من شقوق روحك؟ خضار عينيها رائقا لا تشوبه شائبة حنق أو غضب. لديها كل ماتحتاج بين يديها. تهدد الصغير بحنو الدنيا كله، حتى هولا يمكنه الهرب من دفء الأمان بصدرها فيستسلم لهدداتها وينام.

بلى، فاقد الشئ يعطيه ونصف!.

وجاء دور الشاي. ماذا أحتاج أكثر؟ اه نسيت تماما الآن أن كل هذا يحدث على الرصيف. تابعت الشيشة التي تجهزها صابحة. رائحتها نفاذة، والغريب أنني لم أنفر منها. لكني ارتبكت حين ناولنيها الباز فأخذتها ميم بسرعة دون أن تعلق على ارتباكي.

ما الذي ينقصنا؟ اه حديث عن الحب طبعاً. دون مقدمات يفتح باب الحب وأحتد وأجادل وأتكلم وأتجرأ فأجرب نفساً وأسعل وتطلب مني -لا بل تأمرني منصوراً بالتوقف وأنا أذعن وأرضخ. هل (انسطلت) من دخان الشيشة حولي؟

اه ومنه لله أدهم صبري. وسامحه الله د. نبيل فاروق على غرس مبادئ الرجولة وأخلاقها بنا نحن البنات. ماذا تتوقع ممن تفتحت أعينهن وقلوبهن على احمرار خدود منى توفيق حينما يقترب منها أدهم ويكتفي باحتضان كفيها، فقط كفيها؟

وحينما تتجرأ وترمي هي نفسها بين يديه يبعتها هوبنبل عوضاً عن أن ينتهز الفرصة. اه أفلا ترحمون عزيز قلب حب؟

تعلمنا الدرس يا دكتور وكبرنا نبحت عن أدهم صبري. بحثنا وبحثنا دون جدوى. وكلما مر الوقت كلما ازددنا عناداً واشتياقاً فتطبّعنا بطباعه وتسلحنا بأخلاقه. ليرانا أشباه الرجال (مسترجلين). وأنا لا أنكر، فأنا وكثيرات غيري أكثر رجولة من ذكور كثيرين.

من صغرنا ومجتمعاتنا تلوح في وجهنا بكثير من الأفكار العظنة. تسكبها في ملعقات وتزرمي بها لجوفنا نشربها كارهات ونتجرعها مرغمت.

وملعقة بعد ملعقة نألف مرارتها وتؤتي بمفعولها، فلماذا إذن تنصدمون عندما نتحول رجالا. أليست البنت بمائة رجل؟ تمام، كبرت البنت وتخرجت بأعلى الدرجات. تفوقت التلميذة على أستاذها وصارت رجلا بحق. أكثر رجولة منه نفسه. أليس هذا ما أردتموه لنا من البداية كي ننول رضاكم وتختموا لنا شهادة تسمح لنا بالتجول في أرضكم!

أنهيت كوز الذرة واحتفظت به معي. لن أرميه في النيل. منذ قابلت منصوره لم أعد زبالة.

ثم ما هو الحب؟ عمى اختياري واستغلال للظروف يا ترى؟ ثم أصلا هل يمكن حصره في تعريف واحد؟ أم يختلف باختلاف الأشخاص وطباعهم ونشأتهم وحالتهم؟ هل أرى الحب الآن كما كنت أراه من سنوات عشرة فانت؟ هل الحب يُرى أم يُحس؟ الحب له طعم ولون ورائحة. قد يكون مرا علقما وقد يكون عسلا حلوا، ورديا حالما تنفتح معه أبواب روحك لتطل على جوانب في نفسك لم تعي وجودها قبلا، أو أسودا كثيبا يمتص طاقتك وقوتك كغثب أسود لا يبقى ولا يذر على روحك مهما صرخت واستتجبت.

للحب الصادق رائحة لا تخطئها الأنوف الزكية التي اعتادت الياسمين والعنبر، أو قد يكون كالطر حين يعانق ذرات التراب.

أما حينما يختلط الزيف بالوعود الكاذبة وتطفو على السطح حلقات من الخسة، تغزو المكان رائحة نتنة تحيل حياتك جحيما. هل للحب صوت؟ صوت منصوره يفوق حنان عينيها حين تداعب رضيعا.

يا الله على جماله. نعمة أخرى تملكها وتفاجأني بها. كلمات رائعة غنتها لنا وتبعناها كلنا نصفق وندندن ونردد. حتى الشارع انضم لنا في سيمفونية بديعة. تمام، إن تحررت أكثر من هذا سأطير. خفتت النار ولم تخفت حماستي. قمت وقد تركت قلبي معها.

لا أعرف كيف وصلت. كيف لم أرى أحدا أثناء قدومي! انتشرت الناس في الشوارع ولكني لم أر أحدا منهم. كنت خفيفة. أمسك بنفسك كي لا أترقص ثم شيئا فشيئا أطيرو. شعرت ببعض قطرات المطر تضرب وجهي. اكتملت لوحة الجمال. لاح سور البيت، تقافزت على درجات السلم ودفعت الباب الخشبي. يمتد المدخل لبضعة أمتار. كانت عمتي تخرج للجلوس هنا هربا من حر الصيف في المنزل المقفل. أدت المفتاح في ثقب الباب وأنا أدندن بالكلمات التي كانت تغنيها منصوره. وهناك لمحنته متكورا في الركن على الكنبه القديمة ويغط في خفوت. حرامي؟ أراد أن يسرق البيت؟ ولماذا انتظر؟ اه لم يجد المفتاح في الباب فقرّر انتظاري ونعس؟

ليس هذا وقت استظراف يا نجوى. سأتصل بمنصوره. يا سلام!

منصورة ستأتي من آخر الدنيا لتوقظ الحرامي؟ ستغضب بالتأكيد وستطلب مني أن (أسد وداني) ثم من الممكن أن يصحوقبل مجيئها وحينها ستسبني أنا.

- ثواني ميم أصلا معندهاش تليفون، علوزة أبقي أسألها ليه أواجيلها واحد.

إلتفت للحرامي النائم

- تفكر يا عموالحرامي منصوره هتوافق إنني أجيلها تليفون؟

لم بيد أنه سمعني. هل أصرخ أم أوقظه برفق؟ أنا شخصيا لا أستلطف فكرة أن يوقظني أحدهم لأي سبب. اعتدت الإستيقاظ وحدي.

ولكن أعتقد أن هذه الحالة تعتبر استثناء. هزرت كتفي

- معلش مضطرة أصحيك ياعموالحرامي.

إقتربت بخوف، ورفعت يدي المرتعشة أزعم هزه لكن أراحني هو وتقلب ليكشف عن وجهه.

- حسام!"

عودة مفاجأة لأرض الواقع. أتى أخي في زيارة مفاجأة ونام

على الكنبه. امتدت يدي نحو جيبه أخرج هاتفه

- لازم رن على كتير.

- خمستاشر مرة حضرتك.

جفلت !

- كنتي فين يا نجوى؟

وقف يتمطى وهو يفرك عينيه، فعلا أكثر من خمسة عشر اتصالا، مها أيضا راسلتني وكلمتني، ووفاء أيضا. لم أشعر

بأي من هذا. عدت من شرودي على سؤاله المكرر بحزم أكبر..

- أبدا خرجت بس من أول اليوم ولسه جاية.

لم يرد، تفحصني بعينه. طرحتي متسخة في عدة مواضع، قميصي قد تكرمش والجبية كذلك. أما الكوتشي المسكين فلم يعد بني في بيج وإنما أسود في طين. اه مظهري ليس جيدا ويرسل رسالة خاطئة بالتأكيد!

- كنت مع ناس صحابي.

تلعثمت. هرش رأسه وتنهد. عاد نحو الكنبه وارتدى عليها، يبدو متعبا. هل فقد بعضا من وزنه؟ لم أره منذ.. لا أعرف بالضبط. بعد أن ماتت عمتي طلب مني العودة للبيت لكنني فضلت البقاء هنا علّ الريف يبطئ من نوبات جنوني.

في الحقيقة أنا من تتحاشى لقياه. وحينما يتصل بي أرد مرة وأتجاهله عشرة. اقتربت منه. اه فقد الكثير من وزنه. أشار لي بالجلوس إلى جواره ..

- أخبار شغلك ايه؟

هزرت رأسي ..

- الحمد لله.

أحكم الجاكيت حول جسده فسألته :

- تيجي ندخل جوة من البرد؟

نظر حيث أشير..

- لا هنا كويس.

وقعت علبة صغيرة كانت بجانبه على الكنبه إلا أنني لم ألاحظها سوى الآن، التقطها ووضعها بجانبه. تفحصني مرة أخرى

- انتي بردانة؟

- لا لا أبدا.

عدلت من وضع الجاكيت وشدت كمه أداري يدي. تابعني هو
واقترب مني حتى استشعرت الدفء النابع منه. أخذ يدي بين
يديه..

- لسه إيدك بتبرد زى زمان.

ابتسمت ولم أرد. مشى بيده اليمنى على باطن كفي
- انتي مش محتاجة تتكسفي من جروحك ومش محتاجة
تداريها.
أشحت بعيدا..

- كلنا بنغلط يا نون.

اه يا حسام لم تتاديني هكذا منذ رحيلهما، تضائل صوته..
- وأنا غلط لما مفهمتكيش ومستوعبتش إنتي عملتي كده
ليه؟

رجفات متتالية تهز جسدي دون استئذان. لا بسبب البرد وإنما
بسبب الذكريات التي يطرق أخي بابها بعنف.
- أنا كمان زيك كنت محتاج وقت عشان أفهمك.

أنا نفسي لم أفهم لم فعلت ما فعلت حين فعلته. بعدها بفترة
ليست بالقصيرة أدركت لم اخترت أن أؤذي نفسي. عندما تفقد
من تحب تفقد معه شعورك وإحساسك لتجد نفسك خاويا رخوا.
أسئلة كثيرة تطرح نفسها. لماذا تركوك ورحلوا؟ متى أصلا،
تركوك ورحلوا؟ ثم كيف تبقى وقد رحل الأساس؟ أنت
مجرد تابع لهم، صورة وامتداد. كيف بحق الله يرحل الأصل
وتبقى الصورة؟ لم لم يحترق النيجاتيف بأكمله؟
- أنا بس مكنتش عارفة أعيش ازاي.
قلت بخفوت لم أدر إن كان سمعني...

مهما توقعت واستعددت لرحيل من تحب ستندم وتنقلع عن جذورك حين يحدث الأمر. ومعى حدث الأمر كله بسرعة. رحلة عمرة لم تكتمل، سافرا وقضى الله أمره هناك. خواء.

فضاء مرعب يجتاح روحك ويحيلها فراغا مصمتا بلا طعم وبلا لون وبلا رائحة. لا شئ يستقر في معدتك. يتساقط الأشخاص واحدا بعد الآخر من عقلك. تلتهمك ظلمة أحلك من الظلمة التي واجهها ذا النون في بطن الحوت. وفجأة تفيق لتجد نفسك وحيدا في هذا الفراغ. تصرخ فلا تسمع صوتك وإن سمعته لا تتعرفه. تبكي فلا تستطعم ملوحة دمعاتك، ولا تشعر بها وهي تمشي في الأخاديد التي حفرتها في وجنتيك.

تتلفت بحثا عن أي أحد حولك فقط لتسأله هل ما زلت حيا أم مت مع من ماتوا؟ ولن تجد أحدا، لقد فقدتهم واحدا واحدا وقت كنت في فراغ ثقبك الأسود. لا تنطبق عليك لفظة على قيد الحياة. فأنت لم تعد مقيدا بها بأي حال. أنت فقط مقيد على لائحة إنتظار الموت. حتى هو أعطاك ظهره. لا أحد سوى نفسك معك الآن. ونفسك ستكون أقسى عذاب تخيلته.

تهرب منها إليها. تخلق هدنة فتتكسها لأن نفسك تعلم بأنك مخادع. والنفس لا تسامح الخائنين. تعاقب نفسك على ذنب لا تدري كنهه. أم تراك تدريه جيدا وتلتحف به مساء ثم تنفضه عنك في الصباح وقد نسيته؟ متلازمة ستوكهلم تتكون بينك وبين ذنوبك فتخشى أن تفارقها.

أو ربما تشعر بحنين لذنبك وتبدأ في سؤال نفسك ماذا وكيف ستكون بدونك وبدون حمله الذي يثقل على قلبك؟
اخ الألم مرة أخرى...
أريد صلحا. فات الوقت. تغضب وتصرخ وتخمش وجهك.
اه لقد شعرت بشئ. ما هذا؟
هو الألم، تجيب نفسك. هو الألم إذن الذي يشعرك بأنك حي لازلت.
هو الألم الذي ينجح في جذب انتباه نفسك وإثارة سخطها.
فليكن.
أنت وحدك تستحق أن تكون معك حتى تجتاز هذا الإختبار...
لن يكون هينا ولكن ستجتازه. عزلت نفسي عن كل ما حولي ومن حولي..
ولماذا أظلم آخرين كل ذنبهم أنهم يهتمون لأمرى؟ أنا لا أحمل نظرات الشفقة ولا نظرات الذهول التي تعترهم حين يقابلون نفسي الجديدة. اعتادوا على وجهي الصلب القوي وروحي الخفيفة المرححة وعقلي المتوهج بالذكاء.
عندما تعلن الحرب على نفسك تتحول كل تلك التناقضات التي تميزك إلى خلطبيطة بالصلصة. جستونفسه لا يقدر على فك طلاس مقاديرها. لا شكرا، أنا أولى بنفسي ونفسي أولى بي. "ثم إن كان في البعد راحة يبقى حي على الفراق!" وفارقت فعلا.
كان صعبا ولكن ليس بصعوبة مواجهتي لنفسي. وأخيرا رضيت عني وقبلت بمواجهتي ونجحت. اجتزت الإختبار ونجحت في عقد هدنة.

- ليه مترجعيش تعيشي معايا؟
سأل وهو يربت على كفي. الهدنة التي عقدتها لم تشر
لإمكانية البدء من جديد هي فقط سمحت لي بالمتابعة دون
النظر للوراء.

تركت يوما كوب القهوة الزجاجي الصغير في حوض
المطبخ. وكانت حنفية المياه بحاجة إلى ضبط، فمهما أدركته
لأمنع تسرب المياه عاندتني وتسربت محدثة صوتا رتينا
في أرضية الحوض. بونج بونج بونج نسيت الكوب لبضع
ساعات وحينما كنت مارة بالصدفة وقعت عيني عليه
لأجده ناصع البياض وقد زالت بقايا القهوة الكثيفة دون أي
مجهود مني.

مثل فنجان القهوة أرواحنا، تعلق بها شوائب تتكاثر
وتتكوم حتى تظن أن زوالها بات مستحيلا ولكن مع الوقت
سيعود كل شيء كما كان. فقط اصبر واعط نفسك كل
الوقت الذي تحتاجه.

- مش هينفع.

زفرت بيأس ودموعي الساخنة تبلل خدي

- ليه يا نون؟ انتي خفيتي خلاص واتعلمتي ورجعتي
بنفسك لنفسك و..

قاطعته

- أنا خايفة!

يكنم الخطر في الاختبارات التي تضطر فيها لمواجهة
نفسك أنك خسران يا ولدي خسران. أما إن كنت على
دراية معقولة بكيوننتك فسيمنحها هذا تفوقا كي تسد

الطريق على حركاتك ومناوراتك. وإن كنت جاهلا
بقدراتك فأیضا سیمنح هذا نفسك الحرية الكاملة للعب بك
كقطعة الشطرنج.

الحرب نهايتها واحدة. لتتج في حرب مع نفسك يجب أن
تذوق مرارة الخسارة أولا. حينها فقط ستثق بك نفسك
لتستعيد زمام أمورك.

أحاطني بيده وتركت نفسي على راحتها في حضنه تفرغ
كل التوتر والإرتباك والخوف والقلق..

- أخوكي هنا.

طببط على كتفي

- جنبك هنا.

اه حدث ما كنت أخافه...

أنا طرت...

من الفرحة طرت...

جاء أخي في وقته، دائما في وقته. أتى بعد أن ظننت أنه
يأس مني..

- افكرتك فقدت الأمل في خلاص.

لكزني معاتبا

- الجسر ممكن يموت لما نبطل نعدى من عليه عشان
نوصل لبعض، لما كل واحد يفضل واقف في مكانه
ومصمم ومتشبث بموقفه مش راضي يقابل الي قدومه في
نص الطريق، هنا فعلا الجسر للأسف ممكن يموت.

تنهد وضممني..

- وأنا عمري مابطلت أعدي الجسر عشان أوصلك،
وعمري ما هبطل.

سكنت في حضنه رافضة التحرك ..
 - بصي هو إحنا اخوات وكل حاجة بس لوحد رشق عينه
 من ورا الباب فده فعل فاضح على الكنبه في المدخل.
 ومن قلبي ضحكنا معا...
 اتفقنا على أن يمنحني حسام مزيدا من الوقت حتى أتأكد
 مما أريد. وحتى "الأقي نفسي." مثلما قلت له. وعدني بأنه
 سيدعم قرارى وبأن بيته هوبيتي وسيقى مفتوحا لي ليوم
 الدين. سألني عن أخبار المنحة
 - لسه نتيجة المقابلة مظهرتش.
 غمزت
 - بس أنا جتلي موافقة من حته تانية وخلص كده كده
 مسافرة.
 نظر لي مستفهما فحكيت له عن حلم اليوم. ضحك وضمني
 إليه
 - بابا وماما فرحانين بيكي وأنا كمان."
 هزرت رأسي في فرح
 - مبروك يا نون، أنا واثق في نجاحك من الأول، طول
 عمرك لما بتحطي حاجة في دماغك يبقى عليه العوض.
 لكزته في كتفه
 - يا سلام ياخويا!
 - وحياة عيلة عيسلام!
 - اسمها وحياة السلام يا أهيل.
 قطب حاجبيه في غضب مصطنع
 - بنت! عيب أنا أخوكي الكبير.
 رفعت حاجبي الأيسر لأغيظه

- جابيلي ايه في العلبة دى؟
أَمَسَّهَا
- ومين قال إنها ليكي أصلاً؟
- انجز وهات.
ضحك ومد بها إلى
- عارف إنه..
شهقت
- الله فانوس!
تقافزت حوله كقرد صغير. وفشلت كل محاولاته لإعادتي
لعقلي...
قلت لكم أنا طرت....

بِلا حُدُود

التاسعة صباحاً. أحمل سبت الغسيل بيدي اليسرى وأسندته على جنبي كما كنت أحمل بنت حسام الصغيرة. وضعت كتاباً وتفاحة أعلى السبت. ومقشة في اليد اليمنى. بالتأكيد لن أستخدم الدرج.

نزلت بالمصعد للقبوفي الطابق السفلي. في بادئ الأمر كنت أخاف من النزول وحدي حيث كان المكان هادئاً جداً. بعدها وبعد أن تعرفت على أركانه، واعتدت على الوجوه وألفتها أصبحت آتي في أي وقت من النهار أو الليل.

القبو بالأسفل مقسم لثلاثة أجزاء، الأمن وعمال النظافة وحجرة الغسيل. غرفة الأمن مغلقة.

مررت بعربة النظافة وتوقفت لأعيد المقشة التي استعرتها لأكنس غرفتي. ثم تابعت طريقي لغرفة الغسيل. وقعت عيني على الجدران الملونة والمرسومة برسومات جميلة. فتيات سترونج من قمن بطلائها الخريف الماضي في يوم جميل تخللته الكثير من الضحكات والأيس كريم.

ماتيلدا عضوة في لجنة سترونج. كل بيت سكني في الجامعة له لجنة خاصة من طلابه تهتم به وبشؤنه. تنظم التجمعات والفعاليات والرحلات.

الخميس الماضي نظمت فتيات سترونج رحلة ترفيهية للملاهي.

استمتعنا بنصف يوم من اللعب والجري. تنافس البيت كله في ساحة الليزر تاج. نفس فكرة الطلقات المطاطية أو طلقات الطلاء ولكن أقل ألما.

دخلنا إلى حجرة مظلمة نرتدى فيها الخوذات على رؤسنا وفورا يبدأ المرح. لا أذكر من فاز ولكن أذكر أنني استمتعت كثيرا.

تقوم اللجنة بجولات تفقدية في المنزل وتطلب أثاثا إذا ما لاحظت نقصان أو عدم صلاحية كرسي ما أو طاولة. أيضا تتفقد المطبخ وتجرد الموجود وتطلب طقما جديدا من الأواني أو الملاعق.

كذلك كل منزل في فاسار يسكنه أمين أو مشرف، أستاذ أو أستاذة يتقدم للسكن بالمنزل ويتم اختياره كفرد أمن شرفي. إذا ما كانت هناك شكوى لم تتمكن اللجنة من حلها أو شعرت بمماثلة من الجهة المعنية يقومون بمراسلة الأمين، ومع القدر الكافي من الإلحاح و(الزّن) يتم تنفيذ ما يرغب به بنجاح. أيضا في آخر جمعة من كل شهر، ينظم الأمين تجمعاً في البهو الرئيسي للمنزل. قد تكون أمسية ثقافية تتجمع فيها الطالبات لمناقشة حدث ما أو قضية دائرة.

مثلا الشهر الماضي تجمعنا لنتكلم بخصوص الأفريقي الأسمر الذي يسكن في بوكيبسي ويعمل سائقا لدى إحدى شركات النقل الخاصة.

تم إيقافه والتعرض له بعبارات عنصرية ومضايقات عرقية من قبل الشرطة. وهذا تزامنا مع تعرض مجموعة أخرى للتهجم والتعنيف التعسفي من قبل شرطة بالتيمور. امتد ليشمل تراشق بالحجارة وتكسير للمحال وعربات الشرطة نفسها.

انقلب المجتمع الطلابي في فاسار و دشن طلاب الدراسات الأفريقية بالتعاون مع طلاب السياسة والإقتصاد حملة مناهضة بعنوان "الأرواح السمراء مهمة".

هاجمت الحملة تصرفات بعض أفراد الشرطة غير المقبولة ووزعت ملصقات وخرجت بمسيرات في الحرم الجامعي وامتدت لشوارع بوكيبيسي حيث انضم لها المحليون. وعلى موقع الجامعة قامت مجلة فيزا بنشر فيديو للواقعة التي توضح مدى عنصرية الحادث وعلق مجموعة من الأساتذة عليه.

طلاب فاسار لم يكتفوا بهذا وإنما قاموا بمراسلة زملائهم في الجامعات القريبة وطلبوا منهم الانضمام للحملة. وبالفعل اتسعت رقعة "الأرواح السمراء مهمة" لتصل إلى الجامعات في المقاطعات المجاورة مثل نيوجرسي وكارولينا الشمالية.

طلبت لجنة سترونج إضافة مجففا جديدا في الركن الخالي من الغرفة. أحيانا ما تتكدس الغرفة يومي السبت والأحد بكومات الغسيل، واحتراما لوقت الطالبات فقد طلبت اللجنة مد البيت بمجففا آخر ليصبح المجموع خمس غسالات وخمس مجففات عملاقة. الغسالات الخمسة ليست مشغولة فاخترت الأقرب لي. أفرغت الملابس ووضعت المسحوق. واخترت البرنامج. اتجهت نحو الدارة الإلكترونية في الجدار المقابل. أدخلت البطاقة الممغنطة وأعطيت أمرا على أن تقوم الآلة بسحب دولارا ونصف لدورة الغسيل.

تم قبول الأمر، وفورا سمعت صوت الغسالة تبدأ دورتها. الغسالات مصممة لدورة تستمر نصف ساعة بعدها تخرج ملابسك وتضعها بالمجفف لمدة ساعة أخرى. أحيانا ما أضع غسيلتي وأخرج للقيام بمشوار أو أقوم بتنظيف غرفتي ريثما تنتهي، أحيانا أخرى نذهب للقلعة. هذه المرة أخذت كتابا لأنهي القراءة الإستباقية التي علي القيام بها لصفى.

ولكن أولا سأحدث الأهل هناك في المنصورة. فتحت اللاب وضغط زر الاتصال وانتظرت. أخرجت تفاحة أقضم منها. فوّت الإفطار اليوم لأننا اتفقنا على تناول الغداء في مول بوكيبسي الكبير خارج الجامعة. رنين...

- أهلا يا نون!

قالت سلوى أختي ولوحت بفرح. أرسل لي حسام قبلة

- عاملة ايه؟

- قللي باي لعميتو.

قالت زوجة أخي وهي تمسك بيد بنتها الصغيرة. سلمت على الجميع ودرت بعيني

- بتدوّري على حد؟

أتاني السؤال من عيون خضر تطل علي بمرح. هاه الكل هناك. ابتسمت في راحة

- متجمّعين عند النبي يا اخواننا.

أنهت الغسالة دورتها وقمت بنقل الملابس للمجفف. أتت بعض الطالبات لوضع ملابسها. سلمت عليهن وعدت لمكاني بالخارج.

كنت قد أنهيت كلامي مع أسرتي. الجميع هناك اليوم. حسام وسلوى ومنصورة. عزومة غداء حضرتها زوجة أخي. طلبت من حسام ألا يترك منصورة وبأن يتناولوا الغداء معا على الأقل مرة واحدة في الأسبوع. وعدني أخي الحبيب وأوفى بوعده. سلام على من إذا وعد أوفى ومن إذا حدث صدق ومن إذا خاصم ستر. هيب! تعلمك الغربية أن تكون رومانسيا.

خارج غرفة الغسيل. توجد مساحة واسعة بها طاولة كبيرة وعدة كراسي جلدية مقشرة ولكنها مريحة وأريكة كبيرة أمامها طاولة أخرى صغيرة، وتلفزيون.

أتت فتاة لتأخذ بعض مكعبات الثلج من ماكينة صنع الثلج على يميني. هناك أيضا أربع أو خمس ماكينات آلية لبيع البسكويت والشيبسي والأيس كريم والمشروبات الغازية. تقبل الآليات الأوراق والعملات النقدية كما تقبل رصيدا من البطاقة الجامعية الممغنطة.

اه لا بأس من شراء البسكوت والعصير. استرحت على الأريكة، أخذت بضع رشفات من العصير وفتحت الكتاب في يدي.

جری سمیر نحوي عندما رآني
- عيد ميلاد سعيد يا نون!
احتضنته
- شكرا يا كتكوتة نون!
- هل تلقيت الكثير من الهدايا؟
ضحكت
- نعم لكن أتدري ما هي أحلى هدية ؟
نظر لي في فضول
- حضنك النونو.
طبّطب عليّ في حنان أسر.
- تأخرت خمس دقائق كاملة.
قال أديتي بحاجبين معقودين فأجبتة بالهندية كي أنال رضا
- أعتذر يا مستر كان عندي غسيل.
فضحك. أنا لا أفوت درس الهندية إلا للشديد القوي فعلا. فما
أعمله من أديتي يتخطى الحروف وقواعد النحو. وجوده معي
يشعرنني بالأمان. (مطروود) آخر يضيف لي ويؤنس غربتي
ويروضاها.
عندما ننتهي ويكون هناك فائضا من الوقت أسأل أديتي عن
قصة تعارفه وزوجته عائشة. سمعتها مائة مرة ولازلت أسأل.
وكل مرة يحكيها أديتي بنفس الشوق والحب.
تعرف أديتي على عائشة في إحدى مواقع التواصل الإجتماعي
الخاصة بالهند. بدأ بالمراسلة حينما كانت عائشة تسأل عن
عنوان مركز ما لتعليم خطوات الرقص الهندية. ومن أكثر
دراية بالعناوين من أديتي؟ كانت قد أتت من باكستان لتقضي

أجازة الصيف عند خالها بالهند. يسكن خالها على الحدود في منطقة كشمير الجبلية الثلجية.

- توجد كشمير في الهند وكشمير في باكستان وعائشة واحدة وأديتي واحد هنا وهناك.

يقول أديتي كما تردد عائشة على مسامعه دوما. يكمل أديتي - كنت وقتها هنا في أمريكا وكانت هي في الهند.

لا علم كيف أولماذا توطدت العلاقة؟ ولكن هكذا الأرواح المتآلفة لا تهتم للسبب وإنما كل ما يشغل بالها النتيجة. والنتيجة معروفة: القرب.

بعد شهر واحد من حديثهما وتعارفهما، فكر أديتي في العودة إلى الهند كي يقابلها عند خالها ولكن أجازتها كانت قد انتهت. هل ينتظر للصيف القادم؟ يوطد علاقته بها ويعرفها أكثر ثم يذهب لخطبتها. ولكن ماذا سأعرف أكثر؟ كل ما أعرفه هو أنني لا أبداً يومي دون محادثتها ولا أختمه حتى أسمع صوتها يتمنى لي نوما هائناً.

وفورا سافرت لباكستان لخطبتها. أرحت يدي على قلبي - اه ووافقوا. وعشتم في تبات ونبات وخلفتم سмир وفي انتظار البنات.

هز رأسه بابتسامة

- على العكس تماما، رفضوني.

ماذا؟! كيف ولماذا؟ انهلت عليه بالأسئلة فضحك. أهلها قلقون. أولا: لا يريدون تزويج ابنتهم من هندي. وثانيا: لا يريدونها أن تعيش بالهند.

- ولكن أنت لم تكن في الهند وقتها.

أوماً موافقا ..

- بالضبط ولهذا..

رفع ثلاثة أصابع أمام وجهه

- وثالثًا: يرفضون رضا باتا أن تعيش ابنتهم مع هندي خارج الهند.

للأسف استهلكت أجازتي في محاولات عديدة لإقناعهم والتي قوبلت كلها كذلك بالرفض. عدت إلى أمريكا وكلي إصرار على ألا أياس. وقررنا أن أنزل الأجازة التالية لأقابل خالها في الهند، والتالية لأهلها في باكستان، والثالثة للهند، والرابعة لباكستان، والخامسة للهند.

- خمس سنوات وخمس أجازات أقضيها بين الهند وباكستان وأخيرا فزت بها.

يتنهد أديتي في راحة كأنما للتوانهي عدوه بين البلدين. وكل هذا لأجل الحب؟ أسأله في هيام
- لم يكن حبا.

ماذا؟! وإن لم يكن انتظارك لخمس سنوات و(الشحطة) من بلد لآخر حبا فماذا يكون إذن؟

- ماعرفته وعشته معها، أنبأني بأن كل تلك المشاعر التي جمعتنا قبل رباط الزواج ذرة تافهة في كيان عملاق ومهيّب.
اه يا أديتي إذن هناك حياة أخرى بعد الزواج؟ وحينما يظفر الزوج بزوجه، وينضمان تحت سقف بيت واحد، لا يقفل الباب في وجه حبهما مثلما يزعمون؟

وماذا عني؟ أما أن للضياح الذي أشعر به أنا أيضا أن ينتهي؟
حبيبي موجود أم ماذا؟ أعترف بأن توهاني خفت كثيرا وتضاءل حينما وقعت أسيرة لعينيهِ السود. ولكني أخاف أن يكون هذا فخا ويكون التيه منتظرا ومتربصا بي لازال.

- أديتي!
- ناديته بتضرع
- نعم يا قصيرتي.
- تلعثمت
- كيف.. كيف أعرف لو.. أني أحب؟
- رفع رأسه نحو الرفوف العلوية الممتلئة بالبضائع المختلفة
- تعرفين أنك تحبين عندما تبدأين بسؤال نفسك هذا السؤال.
- عقدت حاجبي
- أنا لا أمزح يا أديتي.
- كان يقوم بترتيب بعض الكراتين على الرفوف وتوقف وغمز
- وأنا أيضا. بالمناسبة من الوسيم الأسمر الذي كان واقفا معك ليلة الأمس؟
- وقبل أن أجيبه أتنتي صوت رنة ففتحت هاتفي أتفقده. كان آدم
- قد أرسل فيديو على مجموعتنا الخاصة. فتحته ولم أقدر على
- النطق. لا يمكن أن يحدث هذا. هذه مزحة أخرى بالتأكيد.
- صرخت أنادي أديتي
- تعالى شوف بسرعة.
- عَلَّه يقرصني ويخبرني أنه ليس حلما. فتحت الفيديو لأجده
- امامي بابتسامته الساحرة ويتمنى لي عيدا سعيدا
- عيد ميلاد سعيد عزيزتي نجوى!
- ويغمز
- أي شئ من أجل عيونك وعيون صديقي المصري.
- أديتي هل ترى ما أرى أم هذه تهيوءات؟
- هزرت ذراعه بحماس فضحك
- لا لا حقيقة، أعتقد بأنني رأيت هذا الوجه من قبل؟

- فلتغيري الخطة إذن، عائشة تحب أن تتعشين معنا الليلة، ما رأيكِ؟
- اه أكيد أحب طبعاً.
- تمام سأمر لاصطحابكِ من أمام سترونج، لنقل في السابعة؟
- أومات برأسي
- لك أن تصطحبي فرداً آخر يكون + ١ خاصتك.
- تنهد
- اه سأريحكِ من عذاباتكِ وأختاره بنفسِي.
- حك رأسه في تخابث
- فليكن ذلك الشاب الأسمر. موافقة؟
- وغمز لي فعقدت حاجبي
- ماذا! فقط أريد التعرف عليه والترحيب به.
- هز رأسه في تتابع سريع مدافعا عن نفسه. تنهدت ولوحت بيدي في استسلام.
- سلمت على أديتي وعلى سمير الذي عاد من اللعب بالثلج مع أصحابه في الخارج. دفعت الباب
- متأكد من قوة اللاصق؟
- سألته بشك فمط شفثيه
- لولم يقم بالنتيجة المطلوبة فالأسهل أن تتزوجي.
- وضحكنا.

كنت سعيدة بالكتب التي اشتريتها. مررت على الكافيه بجانب المتجر وطلبت قهوة.

- مساء الفل، واحد قهوة أنا كمان ينوبك ثواب.

اه آدم مازحا بالطبع

- متأكد إنك مولود في إنجلترا يا بني؟!

أخذنا قهوتينا ومشينا. أخبرني بأن أبيه وأمه كانا يصران على الحديث بالعربية في البيت طوال الوقت، حتى لا ينسى هويته. أيضا وحتى وقت قريب لازالوا يتحلقون حول التلفزيون ليشاهدوا فيلم عربي مساء السبت.

- كمان كنا بننزل أجازات أنا وماما عشان نشوف جدى وستي، بس لما ماتوا أجازاتنا قلّت بس بننزل برده.

آدم ليس عنده اخوة. ولكنه نجح في تعويض وحدته بأن اكتسب الكثير والكثير من الأصدقاء من مختلف الجنسيات. أيضا أسرته على علاقة جيدة بالجالية المصرية في لندن.

- وعلاقتك بجود لو؟

غمزت

- هدّدته ولا عملت ايه بالظبط؟

ابتسم

- ما أنا كنت هقولك بس الكلام أخذنا.

أومأت له مشجعة

- البيت بتاع جدي وستي الي قتلناك عليه فاكراه؟ في سوري.

أومأت

- ده يا ستى الي اتصور فيه الفيلم.

سألت بذهول

- أي فيلم؟

فيلم أجازة الكريسماس الذي حدثني عنه تم تصويره لا في المدينة الريفية وحسب وإنما في بيت جده وستة تحديدًا. وقتها كان جده وستة يسكنان في فندق قريب لحين انتهاء التصوير. وكانا قد أقاما حفلة ترحيب لفريق العمل حضره المخرج والسيناريست وكيت وينسلت وجود لوطبعا.

- بس وشفته يومها وكان محتاج إستشارة قانونية.
ومن الحين للآخر كان يصطحب جده وستة لتفقد أجواء التصوير ويقابل لوإن كان موجودا وتوطدت علاقتهما. هز كتفه

- وبقينا اصحاب.

- انت مش متخيل أنا بحب الجدة ده ازاي!

ضحك وهز رأسه في إقتناع

زلت قدمي فجأة واندفعت نحوه فأمسك بخصري يمنعني من السقوط. شعرت بأنفاسه الدافئة تضرب خدي برفق - تمام؟

هل اتسعت عيونه السود أم كانتا دوما بهذا الاتساع؟ وكيف لكلمة واحدة بحروف أربع أن تبعثرني ثم تعيد جمعي هكذا؟ ت م ا م يقولها وكالعادة لا أرد.

هزرت رأسي دون أن أنطق فأفلتني بهدوء ولكنه استبقى يدي في يده.

- عشان لوفكرتي تقعي تاني.

ضحكت بخفوت.

نظمت ماتيلدا مع لجنة سترونج رحلة لمركز التزلج في المدينة أجازة الأسبوع قبل الماضي. خرجنا بالباص الجامعي

إلى ملعب الهوكي في بوكيبسي الذي يفتح ساحة تزلجه للعامة في غير وقت المباريات. وطبعا طلاب جامعة فاسار لهم خصم.

قضينا ثلاث ساعات تقريبا هناك، منهم ساعتين قضيتهما أنا على أرضية الملعب. هل تعلم أنه يمكنك التزلج وأنت لم تكمل الخامسة؟ صدقني أنا أعلم لأنني لم أسلم من ضحكات كل الأطفال هناك.

- كنت أرضية الملعب من أولها لآخرها يا آدم ياخويا.
حكيت له عن خبراتي الفظيعة في التزلج وطبعا استمع لي بعين منبهة وضحكات مكتومة.

مشينا نحو سترونج كي أضع الكتب التي اشتريتها ومن ثم نخرج للجالي ريا. كان الثلج حولنا أسرا. شردت في البياض من حولي وحينما التفت وجدت آدم يرقبني بصمت
- طبعا متربي في الثلج ومش جديد عليك؟

هز كتفه

- بس أنا بحب الصيف أكثر.

تنهدت

- أنا بقى بحب الشتاء.

بس انتي مش بتستحملي البرد أبدا.

غمز

- ده غير إنك بين كل خطوة وخطوة بتقعي.

رفعت سبابتي معترضة

- على فكرة أنا موقعتش من زمان.

ضحك وأخبرني بأن كازو حكي له عن الواقعة المشهورة أمام القلعة. أصبحوا يحذرون الجميع من تلك البقعة بسبب إنزلاقي أنا بها.

- شفت! يعني أنا بقدم خدمة جلييلة للجامعة كلها.
- طبعا طبعا!

ضحك ومرر أصابعه بين شعره
- هوانت مينفعش تبتل الحركة دي؟
عقد حاجبيه ومرر أصابعه في شعره بارتباك
- حركة ايه؟

ضحكت وأنا أقلده
- دي بالظبط.

هز كتفه في إستسلام
- مش عارف بس ليه يعني؟
غمزت
- هقولك بعدين.

لم يزح عينه عني فسألته
- اه على فكرة انت وراك حاجة باليل؟
نجح السؤال في إثارة انتباهه فشرع يخبرني بما كان يفعل
ولكنني سرعان ما شردت ثانية
هز كتفه

- تمام جدا اعمل حسابك بقي انى عازماك على العشا.
ابتسم فقلت موضحة
- مش أنا بالظبط يعني. أديتي الي عزمنا.

حكيت له عن أديتي وعائشة وعن قصة حبهما وكيفية تعارفهما.

- عارف فكرة الحب الي بيتخطى الحدود ده بتأسرني دايماء، زى الثلج والبراح الي قدامنا ده الي مالوش آخر.

رسمت إشارات وهمية بيدي

- بتخليني أحس إنه إنه..

تلعثمت وتوقفت أبحت عن وصف مناسب

- فيه أمل؟

- بالظبط!

ضربت يدي ببعضها في حماسة وأخذت أثرثر دون حساب. أنا بحاجة لتلخيص الكثير من الخيبة والنتيه في دقائق. الفقد وما يفعله بروحك؟ غياب الأمل والخذلان في مجتمع تشعر به وكأنك دائما ناقص. مهما علوت وكبرت وحقت مراكز علمية أو مادية أنت ناقص. لأنك لم تكمل المعايير التي يطالب بها المجتمع كي يمنحك المرتبة الشرفية ويدعك لتعيش في سلام. بل يعلن عليك الحرب لمجرد أنك جرؤت وامتلكت أفكارا مخالفة له. أو يمكن لأنك قد امتلكت أفكارا من الأساس. تبعثر الأمل عندي وتحول إلى ألم فقط ألم. قلبي أنهكه الوجد وهده الحزن والخذلان. همست بوهن

- قلب مبيعيشلوش حبايب!

والخوف اه من الخوف. أحايله مرة "لنتصالح." فيخبرني "لا صلح مع من قلبه ضعيف." وأهدده مرة. "أسقطك من عقلي الآن." ليرد "إن أسقطني من عقلك وقعت بقلبك." اللئيم يعرف بأن قلبي ضعيف." فلتبق في عقلي إذن محبوسا في ركن مظلم." أقول بصوت مرتعش تحاول أوتاره التمسك

بحبال القوة فيقطعها هو ويضحك بتشفٍ يأنُّ له قلبي "إذن اتفقنا على أني باقٍ." يكشف لي أسنانه الصفراء " ومع أول سقطة لكٍ سأقوم أنا."

زاغت عيني تبحث عن مقعد قريب، أشار هونحو واحد فأتجهنا إليه. أخذ كوب القهوة الفارغ من يدي. ذهب ليرمي بالكوب في السلة ، وارتيمت أنا على المقعد. اقترب وجلس بجانبني زفرت بيأس

- ميزتي ولعننتي في نفس الوقت إني بحس بكل صغيرة وكبيرة بتحصل للي حواليا، بنغمس في المشكلة الي قدامي بكل حواسي وبنسى مين صاحب المشكلة.

نظرلي باستفهام فتابعته موضة
- يعني لما حد بحبه بيتوجع بتوجع أنا كمان. لو واحدة زميلتي حبيبها خانها مش بس هي الي بتتوجع، أنا كمان بتألم وبقتل على نفسي. وبخاف.

ضحكت بخفوت
- يمكن هي تخف وترتبط تاني لكن أفضل أنا قافلة الباب على نفسي وخايفة يحصل معايا الي حصل معاها. تحولت لمغناطيس كبير يجتذب كل الوحش وكل الطاقة السلبية.

افتعلت ضحكة
- وكأني تسجيل حد رزل دايس بصباعه على زرار الإيقاف بتاعه.

لا أتحرك قدما نحو مستقبل تلوح منه نجاة، ولا أملك رفاهية الرجوع للماضي حيث أحن لذكريات ولّت ومضت تقفل باب العودة ورائها في عنف. الوقوف في مكانك شعور صعب جدا

ومميت. ودون اختيار مني تحولت وقفتي إلى مزار، انقلبت
مقاما يتمسح الجميع به يلقون بحمولهم علي، يتحدثون فأسمع
يحكون ويبيكون فأطبطب وأواسي ويطلبون المشورة فأنصح
ولكن بداخلي ألف دمة وألف بركان يغلي بانتظار الفوران.

التفت لأجده يضمني بعينيه في عناق طويل
- كملي!

تنهدت باستسلام وفعلا أكملت، أكملنا معا. تحدث هو هذه المرة
وأنا سمعت. أسأله فيجيب ويسألني فأجيب. لست أعلم ماذا من
الممكن أن يحدث ولا ما الذي يعنيه؟ كل ما يعنيني هو أنني أريد
أن أتحدث معه ويسمعني، يتحدث إلى وأسمعه.

وُصُول

٢٠

ميم

ارتفعت شمس أغسطس تخرج لسانها للشتاء الذي مضى.
تلهب بأشعتها كل من راودته نفسه على الخروج لقضاء
مصلحة أو مشوارا. لكن البقعة التي اخترتها ظللتها فروع
شجرة عجوز كبيرة امتدت ظلالها لنيل المنصورة. استندت
بظهري إلى الشجرة

- تفتكري الشجر لو بيتكلم هيقول ايه؟

التفتت نحوى التي أمسكت بكرتونة ورقية طبقتها على شكل
مروحة لتحركها يمينا ويسارا أمام وجهها في محاولة يائسة
لخلق موجة من الهواء وتوقفت لحظات لتفكر

- أيا كان الي هيقوله فهو أكيد بلاوي.

اه محقة أنت يا نحوى. خلق الله الشجر وحرمه من الكلام لكن
في المقابل منّ عليه بطول العمر. جذع هذه الشجرة التي
نحتمي بها يتخطى المائة. أخبرني صلاح أن جده لأبيه كان
يملك عربية دندورمة يقف بها هنا بالضبط.

- متبقيش متشائمة كده، أكيد زى ما شاف وحش فهو أكيد شهد
على حاجات حلوة كتير.

هزت كتفها وعادت لتحرك مروحتها الصغيرة. متأكدة أن تلك
الشجرة شهدت كثيرا من قصص الحب، عشرون أو خمسون
أو خمسمائة لا أحد يعلم. ولكن أحب دوما أن أتخيل المحب

وهو يحتضن يد حبيبته ويحتمي بها من مطر يناير أو شمس
مايو تحت فروعها.

يعيش الشجر على الحب مثلما يعيش على الماء. فمع كل
همسة حب صادقة تزهو وردة، ومع كل اختلاجة قلب
تنمو وتترعرع. قمت أفنش في جذعها

- بتدوري على أيه؟

- بدور على دليل.

قامت نجوى تتبعني بعينها، تبحث هي الأخرى

- طب قوليلي بس بنور على أيه؟

- اهوه!

صرخت بحماسة وأنا أشير للقلب المحفور. اختبأ تحت لحاء
الشجرة العجوز وغطاه التراب وفضلات العصافير. مسحته
بأصابع مرتعشة، أحاول تبين الحرفين اللذان كتبوا بداخله.
اقتربت نجوى

- حرف عين و..

توقفت تحاول تبين الحرف المراوغ الآخر الذي يأبى الخروج
من مخبأه

- تقريبا ميم.

- عمرو وميادة؟

- وليه يكونش عزيزة ومراد؟

- مراد أفندي وعزيزة هانم.

أومأت منصوره موافقة

- مراد كان بيدرس في المهندس خانة ومستني يتخرج عشان
يتقدم لعزیزة.

مطت شفيتها

- بس عزيزة أبوها راسه وألف سيف إنها لابن عمها العطار الي هيراعي عطارة عمه ويخلي بابها مفتوح طول العمر. عقدت حاجبي في عناد
- مراد مش عيل تافه، حاول مرة واتنين وعشرة.
- بس أبوها برده مش موافق وخلاص حدد معاد كتب الكتاب والدخلة الخميس الي جاي.
- اه دائما الخميس القادم ودائما هناك من يعرقل القدر والنصيب. ولكن لا.
- مش هيحصل، مراد وعزيزة اتفقوا انهم يهربوا وويتجوزوا.
- لا إنتي بنتي ولا أنا أعرفك، امشي اطلعي بره بيتي.
- قالت نجوى مقلدة صوت الأب وضحكت. لكنني لم أضحك. التقت بعض حصوات من تحت الشجرة ورميتها بسخط في النيل أمامي. طلبت منها أن تسد أذنيها فترددت للحظات ثم أذعنت.
- سببت كثيرا محاولة السيطرة على غضبي. اه أرغب بصفعها. ليس معنى أن قصتي لم تكتب سطورها ولم تخرج للنور أن قصص العالم أيضا لابد وأن تكون فشلت. إن فشلت أنا فلينجح العالم على الأقل. اقتربت نجوى في تردد فهتفت بها - مش لازم تعقدي كل حاجة ومتكلميهاش.
- توقفت مكانها
- مستسلمة وضعيفة حتى في أحلامك؟
- هاجمتها. نكست رأسها وتسارعت أنفاسها، تحاول السيطرة على انفعالها ولكن يبدو أنها فشلت ، رفعت بعينيها نحوي
- أنا بقولك واقع الدنيا إنما انتي بتحكي لي فيلم أبيض وأسود. دفعتها في كتفها فارتدت خطوة

- إنتي بتقولي واقع يخلصك انتي.

تابعت بقسوة

- عشان كده انتي لوحداك لحد دلوقتي، عشان رافضة تشوفي واقع غير السواد الي في دماغك. ابوكي وامك ماتوا؟ ما كل الناس دي مات لها ناس. الي مات له ابن أو أخ أو أخت أو زوج أو حبيب أو صديق. ثم ما كلنا على بعضنا هنموت. حبيتي واتسيتي، أولسه بتدوري على الحب؟ اتفضلي في الطابور. حوالكي خداع وخيانة ووجع؟ ما كلنا في الطين ده.

صرخت

- مش أنا الي لونت السواد ده، هوالي فرض نفسه وأنا..

- وانتي قاتليه أهلا وفتحتيله الباب.

صفقت أمام وجهها بغل

- لا والله براقو على الواقعية.

أزاحت يدي

- أنا مش سوداوية ولا نكدية ولا بحب الوحدة، محدش بيحب الوحدة لكن أنا بخاف من اللمة المغشوشة.

- اه حجة البليد.

نظرت لي بعينها البنية، أرى فيهما موجة دموع تجاهد كي لا تغرق وجهها. تعالى لهاثها

- انتي بتهاجميني ولا بتهاجمي نفسك؟

سألت بغيظ فضحكت

- وأنا ه...

قاطعتني

- أيوة بتهاجمي نفسك وبتقولي الكلام ده لنفسك عارفه ليه؟

سألتني فلم أجب ،راقبتها تحاول السيطرة على أنفاسها المتلاحقة

- عشان انتي الي لوحذك مش أنا.وانتي الي في الشارع مش أنا.

وانفتحت البوابة أمام دموعها التي حبستها فأغرقت وجهها وخديها.

ارتمت نحو جذع الشجرة تحتضنه علّها تجد فيه حنانا يطغى على قسوة الرصاصات والحصوات التي تراشقناها لتونا.

ترى لماذا خلق الله الحزن؟ وبهذا الشكل بالذات؟ تفتح ذراعيك وتمدهما في شوق ليرتمي حبيبك بينهما في إستسلام.

تعد دقات قلبه ويكون هو أقرب ما يكون لضلوعك فتقف عليها كي لا يتمكن من الهرب.هششش ،أنت معي الآن. يبكي فتخرج

الآهات منك ويسكن فتتهد أنت. يتوقف الزمن ويخلو العالم من الجميع إلاكما ومنذ هذه اللحظة يصدر صك سماوي بتملك

أحدكما للآخر.

جلست بجانبها أسمع أناتها ونهناها. يكفي هذا. ناديتها فلم تستجب. استماتت أصابعها حول جذع الشجرة تأبى مواجهتي.

زفرت وبقوة أكبر شددتها وفي حضني أخذتها. تركتها تفرغ دموعها دون أن أحاول تهدئتها.

تركتها تبكي بالنيابة عني أيضا فأنا بداخلي دموع متجمدة تأبى النزول منذ ذلك الشتاء الأسود ذوالأمطار الملتهية. أدفع

نصف عمري وأرتمي في حضن أُمي،لأذرف دمعة واحدة. لا تحاول تهدئة من يبكي فقط اتركه لحاله، ولا تقلق عليه بشرط

أن تحتويه وتضمه في حضن صادق. إن لم يكن الحزن صادقا فعدمه أحسن كثيرا لك وله.

استكانت ولكن لم تتوقف دمعاتها. اه من أين تأتين بكل تلك الدموع يا نجوى؟ طبطبت عليها أحاول تهدئة جرحي أنا.

- إنتي مش عايزة تسافري ليه؟

سألتها بخفوت فانهمرت دموعها أكثر. تابعت

- أنا عارفة إن الموضوع مش سهل بس انتي تعبتي على بال ما نجحتي، إنتي محتاجة السفر ده، لازم تلاقي نفسك.

ظهرت نتيجة المقابلة وتحدد السفر وفجأة أخبرتني بأنها قررت قرارا لا يقبل نقاشا بأنها ستبقى ولن تسافر. لماذا يا نجوى؟

الكثير والكثير من الأعدار الواهية. قلت مؤكدة

- لا انتي ضعيفة ولا انتي غبية. تنهدت

- انتي تايهة.

مسحت أنفها بكما وتنحنحت محاولة استدعاء صوتها

- أنا حرة.

كتمت ضحكة أبت ألا تخرج

- ولا انتي بتستسلمي لأي حاجة حواليك. ده انتي دماغك جزمة قديمة ما شاء الله!

سحبت نفسها من بين ذراعي في غضب طفولي واستندت إلى الشجرة فتابعت

- إنتي أكثر واحدة عارفة انتي محتاجة التجربة دى قد ايه.

لم ترد. زفرت بسخط

- وإنتي أكثر واحدة عارفة ايه نتيجة عدم سفرك.

زاغت عينها وحاولت السيطرة عليها بسرعة قبل أن تفتح بوابات الدموع ثانية

- أنا مستبلك الأسود الي انتي خايفة منه وبتحاولي تتفاديه.

التفتت نحوي بجزع فأشرت إليها بسبابتي

- وبإيدك انتي بس تخليه ماضي.
- قامت وأخذت تدور كقطة صغيرة
- إنتي.. إنتي..
- قاطعتها بحزم
- أنا صح. وعمرى ماهقف أتفرج عليكى وإنتي بتتحولى شوية شوية لصورة تانية منى.
- لم تتوقف عن الدوران فقامت وبمرح قلت
- يا بنتى دوختينى من القيام للقعاد، ولف ودوران، اتهدى بقى."
- أخذت نفسا عميقا وواجهتني
- عاوزانى أقبل المنحة؟
- أومأت بتأكيد
- يبقى تسيبي الشارع.
- ضحكت
- وأروح فىن؟ حد يسبب بيته برده؟
- ده مش بينك. انتى هتقعدى معايا وهتشتغلى مع عم بلال.
- ضحكت فرفعت سبابتها محذرة
- أنا مش بهزر.
- بصقت واندفعت نحوها فى خطوات غاضبة أضرب
- الحصوات فى طريقى بغل فانكمشت القطة الصغيرة على نفسها
- على فكرة مش معنى إني بكلمك بالعقل وبراحة تقومى تسوقى فيها. انتى كده كده هتسافري حتى لوحطيتك فى شوال وشلاتك على ضهري لحد المطار.
- ومرة أخرى انفتحت بوابة الدموع.

مجنونة نجوى هذه!
تطلب مني وبمنتهى البساطة أن أترك الشارع لأقعد معها. أنا
أقعد في بيت وجدران وشبابيك وأبواب وكل هذا يقفل على؟
سأختنق قبل مرور دقيقة واحدة.
روح مشردة مثلي لا يقدر على إحتوائها بضعة قوالب من
الطوب. هزرت رأسي بعنف وزفرت

- مجنونة!

أوصلتها لعربتها التي كانت قد ركنتها في الجهة المقابلة من
الرصيف. ركبت في مقعد السائق
- أول مرة أعرف إنك عندك عربية؟
عدلت من المرأة الجانبية وبفخر أوضحت
- أيوة دى أول حاجة حوشت وجبتها من شغلي، بس مكنتش
بسوقها.

نظرت لها بتساؤل فنكست رأسها وهمهمت ببضع كلمات لم
أتبينها.

- بتقولي ايه يابنتي!

رفعت لي عيون بنية مليئة بعناد طفولي
- مكنتش بسوقها قلت.

ضحكت ولم أتركها تفلت

- أيوة ليه بقى؟ كنتى مخلصه بنزين طول الشهور الى فاتت
ولا ايه؟

تلعثمت

- لا.. أصلي كنت..

- هاه؟

قلت أستحثها

- خبطّ قطة!

أزاحت يدها عن المقود وفركتها في توتر وكأنها تشهد الحادثة لأن. سألت بدهشة حقيقية

- بجد! قعدتي تنترمطي في المواصلات الكام شهر دول عشان قطة؟

- ايه هي مش بني آدم زينا ولا ايه؟

اندفعت متسائلة بغضب وحين أدركت سخافة ما قالتها ضحكت وأضحكتني معها حتى تقطعت أنفاسنا أقفلت لها الباب وتتحيت من أمامها. شددت قبضتيها على الدركسيون

- على الأقل توعديني تفكري في الي طلبته منك؟

قاطعنا صوت كلاكس عالي متقطع لسائق غاضب يريد أن يخلص عربته من ركنتها ويبدو أن سيارة نجوى تضيق عليه - سدي ودانك ثواني كده.

لم أجب تسأولها القلق واندفعت نحوه أشمر عن ساعدي

- جرى ايه يا بقف ! يا ابن المتسربعة! ماتهدى في ايه؟

أكملت سبه كيفما تراءى لي فأغلق نافذته بسرعة مخافة من أن أجذبه منها هووالسنيورة التي جلست إلى المقعد الخالي بجانبه وقد نشبت فيه أظفارها من الخوف.

نادت على نجوى ولمحتها تحاول الخروج من عربتها فأشرت لها بالبقاء وعدت لها بعد أن توعدهت بقطع لسانه وحشره في كابوت عربته إن شعرت بوجوده حتى.

أعدت هندمة ملابسي وذهبت أهدئ نجوى التي كانت تتكلم وتشوح بيدها

- هشش خلاص انتيلي اهدي انتي كمان. واحد حمار وكان لازم يتربى.

عدت بناظري إليه لأجده ثابتاً في مكانه لا يتزحزح. ابتسمت بانتصار

- المهم كنتي بتقولي ايه؟

اندفعت بسرعة

- تيجي معايا. وانتي قابلتني حسام وسلوى وهما عارفينك و

قاطعتها وأنا أشير لها بالمضي

- اه اه طبعاً طبعاً هفكر.

رفعت حاجبها في عدم إقتناع فأشرت بنفاد صبر

- هووف يا نجوى خلاص قلت. عيب بقى، يلا الحمار عايز يطلع.

أزاحت قدمها عن الفرامل وتحركت وهي تضحك في جنون.

أنا يقفل علي باب وقفل ومفتاح، وجدران تضيق على أنفاسي وتسحبها مني وأنا نائمة لا حول لي ولا قوة؟ وأصحو لأجد سقفا يحرق بي ويمنع عني النجوم والسماء والسحاب والمطر والشمس والتراب؟ مستحيل طبعاً. مجنونة نجوى هذه!

زفرت بسخط وتلفت حولي. لا رغبة لي في فعل شئ ربما أمشي قليلاً أو أطل على صابحة. ربما أقابل صلاح أو الباز في طريقى. وعوضاً عن هذا كله قادتني قدماي إلى ميدان المحطة.

ذهبت إلى فرشة عم بلال الذي تفاجأ عندما رآني وضحك فهزرت كتفي

- عادي يعني كنت بتمشى لقيتني جيت هنا.

- لا مش بضحك على كده.
- نظرت له مستفهمة فأشار ناحية القهوة
- أصل المطاريد هناك.

عبرت الفرشة إلى القهوة في الجهة المقابلة وهناك على الطاولة وجدت الأستاذ والشاعر واثنين آخرين لم أتبينهما، وحموكان يغير حجر الشيشة.

تهللت أساريره حين رأي فأشرت له بالصمت، أريد أن أباغتهم. اقتربت في خطوات هادئة وسمعت عبد الحميد يلقي شعرا باستمتاع. يسحب نفسا من الشيشة ويلقي بيتا. يهز الأستاذ عكازه معجبا بما يسمع وترتفع آهات الجالس إلى يمينه. وقعت عيني على وجهه الآن، اه إنه عليّ ابن عم بلال الذي يدرس الطب ومعه شاب آخر لابد وأنه زميله.

أجمل مكان في الدنيا دى كلها
عاش هنا أجدادنا وفي التاريخ
مجدها

تعيش لنا أسوان ويدوم لنا عزها
أسوان أسوان أسوان
يهلل عليّ وصاحبه ويضرب الأستاذ عكازه.

- قتلوكوا أنا إني من أسوان؟

النقتوا متفاجئين

- والله أنا كنت عارف إنك هتيجي.

قال عبد الحميد

- كنت عارف أمال ايه صح يا جدو؟

ضرب الأستاذ بعكازه محييا

ضحك علي وقام من كرسيه يستقبلني في حب فبادرته
- ازيك يا دكتور علوة، موّت كام واحد لحد دلوقت؟
غمزت فضحك وقدم لي زميله كما توقعت
- أبداً والله لسه، زميلي حسن معايا في سنة رابعة.
سلمت على حسن ولكزت علي في كتفه
- شوف الواد بيقولك لسه! يعني ناوي.
ضحك الأستاذ وقال الشاعر
- الأعمال بالنيات أمال ايه؟
- ياسلام ياخويا!
اعترضت فضرب الأستاذ عكازه
- إش فهمك إنتي؟ ثم مجبتيش نجوى معاكي ليه؟
رفعت يدي مستسلمة
- خلاص أنا آسفة! كان عندها حصص فمشيت. ثم النهاردة
مش معادنا أصلاً.
وزعقت على حمو
- واحد سلوم هنا يا حمو.
غمزت للدكاترة الشباب
- اوعوا تفكروا حتى. التدخين مضر بالصحة بس أنا مدرستش
الكلام ده عشان كده هومش مضر بالنسبة لي.
- حضرتك قلتي إنك من أسوان؟ منين في أسوان؟ أصلي أنا
من هناك من منطقة صحاري.
سأل حسن بتأدب، قلت بشروود
- مش عارفة بس أُمي قالتلي إنها قرية مليانة نخيل.
همّ بسؤال آخر فغيرت الموضوع بسرعة ووجهت حديثي
للشاعر

- اه عشان كده بتقول شعر في أسوان؟

أطلق نفسا وسعل

- اه أمال ايه؟ أسوان دي جنة.

غمز للأستاذ

- رحتها في شهر العسل.

سعل وأوماً برأسه مؤكدا

- أمال ايه؟

طبعا أنا من أسوان. أينعم لم تطأها قدماي وإنما سكنتها روحي
ولولعدة ساعات حتى.

تكونت برحم أمي هناك. إذن هناك أصلي وإليها مردودي.
طبعا أنا لم أختر الفرار وترك الأرض. أيضا لم يختار أبي
وإنما أرغم. ترك كل شئ ورائه وسحب أمي تحت إبطه
وهربا. هربا من موت إلى موت.

على الأقل دفنا سويا. دفنت أمي إلى جانبه. بحثت عن أخي
ولم أجده. لن أنتظر. غسلتها وحفرت قبرها بيدي إلى جانب
البقعة التي أشارت نحوها وأخبرتني بأن هنا قبر أبيك يا
منصورة. تحت نخلة طويلة. علها تسقط عليهما معا رطبا جنيا
إذا ما هزتها أمي من قبرها.

لم يتوقف المطر كانت قطراته تلهبني ولكني لم أتوقف. لم
أتوقف حتى لإسترداد أنفاسي وبالتأكيد لم أتوقف لمسح
دمعاتي. لا أدري أيهما يلهب أكثر دموعي أم دموع السحاب
من فوق. لا يهم.

للفت جسد أمي الضئيل بملاية بيضاء مهترئة كنا نفرشها
أحيانا ونتغطي بها أحيانا أخرى حينما يشتد البرد. انتهيت من

الحفر ورفعت جسد امي أضمها إلى صدري. كانت دافئة لازالت. اه بردت من بعدك يا امي ولا تدفني ألحفة العالم كله. ماتت أصابعي على جسدها. أبت أن تتركها. حتى وأنا أواريتها الثرى أهلت التراب وأنا معها في قبرها. غطى التراب وسطي. للحظة فكرت في أن أوارينا اثنتين معا ولكن لمن أترك أخي؟ اه ليتني تركته.

انتهيت واستندت بظهري إلى النخلة أرقب التراب الذي استوى ورددت تحته أمي. رفعت رأسي بحنق نحوالمطر الذي يتساقط لازال. هل يبكي أمي؟ أم يبكي؟ اه أكره المطر وأكره كل من يحبونه.

لم أقم حتى جفت دمعاتي. جفت تماما حتى شعرت بالجفاف يسري إلى روحي فيتركها جدياء لا أمل في ارتوائها. ومنذ تلك الليلة لم أبلك. قرأت الفاتحة لأمي وأبي. واتجهت نحوغرفتنا.

ساعة أوأقل قليلا ويشقشق الفجر. ولم يتوقف المطر بعد. توقعت أن أجد أخي نائما ولكنه كان بانتظاري خارج الغرفة - خلاص؟

توقفت عن السير نحوه. كيف عرف؟
- انطقي دفنتيها؟

كان صوته خشنا قاسيا لم أعده بهذا الجمود، أهي الصدمة؟ اقتربت منه أحاول ضمه بذراعي فدفعني بعيدا عنه
- كنتي عارفة من امتي؟

لم أفهم. دفعني مرة أخرى

- مش بعيد تكوني انتي كمان زيها؟
تلاحقت أنفاسي

- انتي لازم تداري على غلطتك، أنا لازم أرفع رأسي بين الناس.

ضم قبضته ولوح بها أمام وجهي المصدوم
- لازم كنت دفنتك معاها.

وأخيرا نطقت. كلمات متبعثرة لكنني نطقت وسألته عن مغزى الجنون الذي يهذي به. صرخ بي بأنه هو العاقل الوحيد بيننا. وبأنه لا خيار آخر أمامي سوى إصلاح غلطتي. أي غلطة أيها المخبول؟

لقد قتلت من لوث شرف أمنا وانتهك حرمة أبينا. ازداد هذيانه وصرخ بكلمات فهمت منها بأن أمي هي من باعت شرفها بنفسها من أجل حفنة أرز.

رفعت يدي أصفعه فأمسك بها بقسوة أمتني ودفعني حتى وقعت على الأرض العائمة في بحر من الطين فتلطخت
- انتي وهي مكانكوا الطين.

زفر بغضب مجنون

- لازم تتجوزيه.

فتحت فمي في ذهول. أتزوج من؟ الغول؟ ألا زال حيا بعد ما فعلته؟ إذن أنا لست بقاتلة؟ اه لا أدري هل أشعر بالراحة أم بالخذلان؟ أنا لم أستطع الثأر لأمي. لقد عاش الغول وكتبت له النجاة.

أصبح غولا مشوها وأعورا فقد عينه اليسرى ولكنه أرسل الخفير لأخي يهدده بكشف سر أمه واخته. وبأن يرميني في السجن إن لم أمتثل لأمره. وبأن يرمي أخي كذلك بتهمة التستر على مجرم. من المجرم بالضبط؟ صرخ في
- قومي!

حاولت القيام فانزلقت في الطين. استندت على باطن يدي
أحاول القيام، صرخت عندما ألمني إلتهاب يدي الدامي. مددت
له يدي فأمسك بها ولواها حتى كاد يكسرها
-هتجوزيه وإلا هدفنك مكانك.

ماذا! هل جننت يا أخي؟ تريد مني أن أتزوج قاتل أمي
ومغتصبها؟ صرخت فيه فلم يسمع. أخبرته الحقيقة ولم
يصدق. أين ذهب أخي الذي رفضت أن أدفن نفسي خوفا من
تركه وحيدا؟ اه ليتني دفنت نفسي معها حين لاحت لي
الفرصة. الآن مطلوب مني أن" أدفن نفسي بالحيا " كي
أعيش.

أفلت يدي فصرخت ووقعت في الطين مرة أخرى. لم لا
يتوقف هذا المطر اللعين؟ أمهلني حتى يطلع النهار. بعدها
سيسحبني من يدي ويرميني له يفعل بي ما يشاء. دخل وأغلق
باب الحجرة. وتركني فريسة لذهولي وصدمتي في الطين.
أكره المطر وأكره كل من يحبونه.

جريت وجريت ولم أتوقف إلا بعد أن توقف المطر. المكان
يبدو مألوفا لي. كما وصفته أمي بالضبط. كوبري القطار والنيل.
كنت هنا من قبل. بلى كنت هنا حين اقتسم أبي وأمي ثمرة
سوداء واختار اسمي.

أفقت على جولة شعرية أخرى وتهليل من الدكاترة الشباب. طلبا منه المزيد ولكنه كان عنده استشارة مستعجلة. يريد دواء للأعصاب تقريبا. لم يفهم علي ولا حسن، فغمز وأشار نحوي خفية لتبادل معه الأماكن. هزرت كتفي وقمت أجلس بجانب الأستاذ

- مالك؟

سأل وهو يتقحصني

- ماليش!

قلت بسرعة وأنا أسحب نفسا

- ايه ده الحجر برد!

ناديت حمو بغضب

- جابيلي الحجر من التلاجة ولا ايه يا بقف انت؟

ضحك وأقسم بأيمانات المسلمين بأنه أمامي من نصف ساعة كاملة وحين سألتني أن يغيره حينما أتى بالقهوة لجدو، أشرت له بطرف يدي دون أن أنطق.

أه لم ألمح القهوة. ترى أية مصيبة تخبئها القهوة السادة اليوم؟ زفرت ..

- طب معلش! لو سمحت يا أستاذ حمو سخن الحجر على النار شوية.

ضحك واستبدله بآخر وطلب مني أن أسحب نفسا كي أختبره بنفسي

- عيب ياسطى وأنا هكدبك برده؟

غمزت ..

- لو طلع بايظ هقوم أجيبك بنفسي من قفاك.

- مش بقولك مالك؟

سأل الأستاذ بنفاز صبر. أمسكت بالملقط أسوي الحجر
متشاغلة عنه..

- مالي بس؟ ما أنا زى القرد اهو. مالك انت بتجر شكلي ليه؟
عايز ايه هاه؟

نجحت التمثيلية في إقناعه فهز عكازه يمينا ويسارا ماطا
شفتيه.

سمعنا ضحكات الشاعر قليلة الحياء التي نعرفها عن ظهر
قلب.

يحاصر الشابين بحكاياته عن شهر العسل ولا شك.

- شوف صاحبك بيبوظ أخلاق العيال ازاي؟

هز كتفه وضرب بعكازه

- وانتي إش فهمك انتي؟

ضحكت

- بتدافع عنه طول الخط انت، ماشي يا سيدي.

سحبت نفسا من الدخان وأخذت أثرثر في أي هراء والسلام
وفجأة نط من مكانه كمن لدغه عقرب. استوقفته فلم يسمع
مني.. كان يقفز لا يمشي.

إلتفت إلى كرسيه فوجدته قد نسى عكازه. لا يستطيع أن يخطو
دون عكازه. أمسكت بالعكاز وقمت ورائه ولكني توقفت حينما
رأيته يتجه نحو امرأة وقورة في الخمسينات من عمرها تقريبا
لكن حمرة خديها كذلك التي نراها على وجه فتاة عشرينية.

اه إن كانت هذه البدر بهذه الحلاوة الآن فكيف كانت إذن في
صباها؟

كانت ترتدي تاييرا رماديا مزينا بلألئ سوداء. واسعا كان لكنه لم يتمكن من إخفاء تناسق جسدها البديع. متأكدة أنها في الخمسينات يا منصور؟ تبدو أكثر صبا منك.

ارتفعت على مقعدي والعكاز في يدي لازال. هزرت كتفي واستمررت في تفحصها. تخفي وجهها بنظارة شمس وتمسك بيدها اليمنى مظلة. نقلتها إلى اليسرى كي تسلم على الأستاذ. تردد لحظة ولكنه حسم ترده وأخذ يدها في يده وقبل ظاهرها في إحترام وحب.

اعتذلت في مجلسي أقاوم رغبة ملحة في الجري نحوهما. أراهما يتحدثان الآن لكن للأسف لا أسمع ما يدور بينهما. قال لها شيئا أطرقت له في حياء فازداد توردها خديها. يا الله على تلك الخدود.

أشار لنظارتها فأزاحتها عن عينيها وحينما فعلت ارتد هو للخلف. فأمسكت به وكأنما تقيه السقوط. اه إذن كانت عيناها هي من تشبه السماء في ذلك اليوم!

تحدثت وهو يسمع دون أن تصدر عنه حركة واحدة ودون أن يزيح عينه عن عينيها.

سألته شيئا ما فنكس رأسه وقبل يدها مرة أخرى وأخيرا تركها.

مر عم بلال بجوارهما لكنه لم يتوقف. اه لم لم تتوقف يا عم بلال ألا يشغلك هذا البدر الذي طلع ساعة العصرية؟ أعادت ارتداء نظارتها وأمسكت بمظلتها ومضت.

لم يتحرك...

بقي واقفا في مكانه ينظر إليها. اختفت عن ناظري وناظره لكنه لم يتحرك.

هزني عم بلال فنقلت ناظري إليه ثم أعدتها للأستاذ وأشرت
- مين الي كانت مع جدودي؟
- دي الست سميرة.
نظرت له بتساؤل غاضب فهز كتفه
- مراته!
وفتحت فمي في ذهول.
- لكن هو عمره ما قال إنه كان متجوز!
- هو مبيحبش يتكلم في الموضوع ده كثير.
- أيوة بس هو عمره ما قال إنه كان متجوز!
رددت مأخوذة وأنا أستعيد حادثة القهوة السادة الشتاء الماضي
فهز عم بلال كتفه دون أن يرد.

كنت قد شاهدت فيلما قصيرا كانت تذيعه القهوة على قناة ناشونال جيوغرافيك. كان البطل يعمل بالإنقاذ. الإنقاذ النهري والبحري على وجه التحديد. قام تقريبا بإنقاذ مائة وعشرين حالة من الغرق. الملفت أن أكثر من النصف كانت بدأت كحالات انتحار.

ونكس المنقذ رأسه بألم حينما قال بأن حوالي ثلاثين حالة غرقوا ولم يستطع إنقاذهم. سأله المحقق الذي كان مسؤولا عن قصته

- وطبعا كل من عجزت عن إنقاذه كانوا من محولي الإنتحار أليس كذلك؟

فهز المنقذ رأسه بالنفي القاطع

-على العكس تماما. من ماتوا لم يحاولوا الانتحار أبدا.

لست أذكر بقية الفيلم أوروبما قلبوا المحطة لإذاعة ماتش مصارعة. لست أدري لماذا تذكرت الفيلم الآن عندما رأيت الأستاذ مع زوجته التي ظهرت من العدم. ربما لأنه يذكرني بالغريق؟ وربما لأنني أنا الغريق. فالغرقى تتشابه أرواحهم ويتألفون، صح؟

هل جربت إنقاذ أحدهم يوما ما من الغرق؟ ستتمكن من سحب الغريق فاقد الوعي نحو الأمان بمنتهى السهولة وكأنما تسحب ريشة. يمكنك أن تسحب ثلاثة فاقدين للوعي في دقيقة واحدة إن خصصنا عشر ثوان لكل واحد. ولكن إن كان الغريق لازال بوعيه فمن الممكن أن يُغرق هو ثلاثة على الأقل ممن يحاولون إنقاذه وخصوصا إن لم يكونوا مدربين على ما يفعلون.

وتفسيري المتواضع أن من فقد وعيه فقد الرغبة في المقاومة.
أما مازال صاحبيا فهو يقاوم باستماتة فإما يموت هو أو تموت
أنت أو تموتا معا.

ولذا يلجأ المنفذون المحترفون لضرب الغريق الذي لا يمتثل
لأوامرهم بالتزام الهدوء -ضربة غير مميتة بالطبع- ولكنهم
يضرّبونه إما لتهدأته وإما لتشويش مقاومته ومن ثم ضمان
السيطرة عليه فيتمكنون من إنقاذه وإنقاذ أنفسهم.

وهذه هي الحالة الوحيدة التي لا يموت فيها أحدا والتي لا
تصبح الخسارة فيها كاملة. وللسبب نفسه فأنا أعتقد بأن أكثر
من يتم إنقاذهم هم من حاولوا الإنتحار بإرادتهم بادئ الأمر. لا
أحد يعلم ما مروا به أو ما قد رأوا بالأسفل. ربما رأوا الموت
وتيقنوا من عدم إستعدادهم لملاقاته ومواجهته. أو ربما أدركوا
أن الصعب الذي مروا به لا يقارن بصعوبة الغرق نفسه.

تفيد الدراسات بأن الغرق يقع على رأس قائمة الميقات البشعة
وأصعبها. ليس بإمكانك أن تقف مكتوف الأيدي عندما ترى
من تحب وهو يغرق. حتى وإن أردت لن تستطيع التجاهل.

إن أشحت بعينك بعيدا تشنجت عضلاتك وأعادتك قسرا
وغصبا نحوه. أنت تحبه. أنت أخذته بين ذراعيك وتملكتما
بعضكما وأمام الله تعاهدتما على البقاء. إذن فأنت باق إلى أن
يجذب أحدكما الآخر نحو الأسفل. هويشذك مرة وتجذبه للأعلى
مرة. هو أقوى وجراحه مثخنة، تضعف أمامها وتأن فيشذك
أكثر.

تعاود الصعود لسحب بعض الأنفاس التي تعينك على الحياة
في الأسفل. ويشذك ويشذك حتى ينفذ الأكسجين وتنفذ قدرة
عضلاتك على التحمل. تناشده أن يتركك فيرفض. سأذهب

للأعلى فقط كي أتنفس وأعود لك فيرفض. أعدك بروحي أن أعود لأجلك فيرفض.

يشدك للأسفل أكثر وأكثر. لكن لا، أنت عنيد ومقاتل لن تسمح له بشدك ولن تسمح لنفسك بأن تنتهي معه. ستجذبه أنت للأعلى. تهزه بعنف فلا ينتبه. أنت تخنقني -تصرخ فيه- أيضا لا ينتبه.

استحال وجهك إلى الأزرق وروحك تخضبت بالأسود، لا مفر. تضربه وتوجعه، تلوح عليه الصدمة. اه هناك أمل إذن. توجعه أكثر وتقسو عليه أكثر فيتشتت ويتركك أخيرا لتتنفس. اه أنت حر. تجذب نفسا عميقا وتحمدالله على نعمة الحياة ونعمة الحرية. أنت ترى الألوان الآن هي باقية بالرغم من عزوفك عنها. بعضنا ينسى وعده وقد تنفس الصعداء وبهرته الألوان على السطح. بعضنا يخاف العودة فلربما هي رحلة بتذكرة واحدة.

بعضنا يزهد المحاولة، من للأسفل سيبقى للأسفل. وقليل منا يسمح لنفسه بالمحاولة ثانية وبالنزول للأسفل مع أمل ووعد بالصعود. ولكن الألوان تلوح لك وتهمس، هي باقية وبانتظارك. تقطب حاجبيك في إصرار. لا، بانتظاركما معا. تجذب نفسا آخر وبكامل إرادتك تنزل للأسفل ، مستعدا لجولة أخرة من الشد والجذب. تجده مستكينا ونظره ثابتا نحو الأعلى. نحو النجاة. نحوك. أنت وعدته وسمعتك. إذن كان ينصت حتى عندما كان يقاومك ويشدك معه للأسفل كان ينصت.

تقبض على يده فيتزكها تستسلم ليدك. توجهه وتجذبه معك للأعلى لتتنفس عن كليهما نفسا عميقا تستشعر فيه حلاوة الحياة وحلاوة الصعود. وفيت بوعدك. نجوتما. نظرة التقدير

والعرفان في عينيه تنسيك ملوحة المياه التي ابتلعتها. ومرارة الطعنات التي تسربت لرتتيك. الحب المستسلم والواثق في عينيه يبنبك بأنه قد ملّكك نفسه ما بقي لكما من العمر. وحتى ما بعد ذلك.

قمت وفي يدي العكاز نحو الأستاذ الذي ظل مستندا إلى الجدار لا يتحرك. انتبه الشاعر من حديثه الجانبي وأتى مع بلال إلى صاحبه. وضعت يدي على كتفه من ناحية وعبد الحميد الشاعر من الأخرى.

أخذ عم بلال العكاز من يدي ورفع يده يمسكه إياه. لم يتحرك أي منا حتى خطا هو فخطينا معه.

وخطوة بخطوة كان يرفع همته عاليا ويتنفس ويعيش. أجلسناه على كرسيه برفق. أشار عم بلال لابنه بأن يقوم مع زميله. استندنا في خفوت وانسحبا. وبقينا ثلاثتنا.

يدي على كتفه من ناحية وعبد الحميد من الأخرى وعم بلال يمسك بيده على العكاز. تنهد ودار بعينه بيننا وابتسم. اه يا لحلاوة ابتسامته. بالتأكيد ابتسم الأستاذ أمامي من قبل وضحك وسعل واحمر خداه ودمعت عيناه ولكن هذه الابتسامة مختلفة. إنها ابتسامته الأولى في حياته الجديدة بعد أن طفا على السطح وأبصر الألوان في خديها.

الست سميرة، المنقذ العنيد. منذ عشرين عاما وعدت بالعودة وعادت. وكان هو مستكينا ومستسلما بانتظار يدها التي تسحبه وتشده إلى السطح. التفت نحوي - قلناك إني حاولت ومقدرتش.

أومأت في رهبة

- سميرة كانت أصدق محاولة قمت بيها. تعبتها كثير وهي
تعبتني كثير. حبيتها بصدق وهي حبتني بصدق. أشدها مرة
وهي مرة. نعمل هدنة ونرجع ثاني. تاخذ نفس وترجع ثاني.
أشدها وتشدني.

ضحك باستمتاع فضحكنا نحن كذلك كالمجانين
- كانت أكثر حد وجعني، وأكثر حد فوقني وردني لنفسي.
كنت صغير في نظر نفسي قوي. قلت لها أطلقك. إنتي
تستاهلي أحسن كثير.

ضحك ثانية فضحكنا نحن أيضا
- قامت ضارباني حدة قلم..

وضع يده الحرة على صدره
- لسه معلم في قلبي لحد دلوقتي.

تنهد

- وبنفس الايد الي ضربتني حطيتها على بطنها مكان ما ابني
أوبنتي بيتخلق، وضحكت ضحكة بترن في وداني لحد دلوقتي.
ضحك وضحكنا

- عارفين لولا القلم ده ؟ كان زمني ميت لحد دلوقتي. القلم ده
خلاني أدعي ربنا وأرجع أكلمه بأدب وبثقة وبايمان ثاني.
وخلاني برده أقرر إنني أبعد.

لم أفهم

- لكن انت قلت إنه فوّك وإنك..

قاطعني موضعا

- حسيت قد ايه أنا صغير وهي كبيرة. عينيها كان فيها رجاء.
كانت بتقولي أرجوك سيبي أتنفس وأعيش لابننا الي جاي.
حسيت بقد ايه أنا تعبتها ووجعتها عشان كده قررت أوجع

نفسى بايدي. أشوفها من بعيد لبعيد وأتابعها من غير ماتحس
وأموت وأنا عايز أترمي في حضنها أوأخذها في حضني
ومقدرش، لحد ماربنا يقبل توبتي.

ضحك وضرب بعكازه
- وربنا قبل توبتي النهاردة لما هي جنتي.

سأل
عارفين أنا كنت بدعي بايه؟

سألنا كلنا في نفس واحد
- بايه؟

ضحك
- بان ربنا يمد في عمري لحد ماشوف أحفادي.

تقافزنا على مقاعدنا فرحين
- يعني.. يعني..

قال من وسط لهاته

- أيوة. سميرة جت تعزمني على سبوع بنت بنتي الخميس الي
جاي.

غمز

- وانتوا الثلاثة معزومين يا أوباش.

الاخ يا جدو... الاخ !

إذن جدو أصبح اليوم جدو فعلا...

ضحكت...

أريد أن أخبر نجوى الآن. اه لوكان معي هاتف. ترى من منا
سيشد الآخر يا نجوى؟ لم أشغل نفسي؟ هل علي أن أنتظر
عشرين سنة أخرى ليقبل الله توبتي؟ ثم من قال أنني أذنبت

أصلاً؟ تم قبول توبتك بالفعل يا أستاذ وامتدت لتشملني أنا أيضاً.

قمت فجأة وجريت نحو الفرشة أخبر عم بلال بأني سأعمل معه منذ الغد لا بل منذ الليلة. سأذهب لنجوى وسأقبل بالبيت وبالجدران وبالسقف. سأقبل بالأسرة قبل أن تمضي الفرصة. لن أشد نجوى معي للأسفل وإنما سأسلم لها يدي تجذبني كي أرى الألوان. سنوقع على هدنة أنا وهي. وحدث الأمر فجأة...

طرت حتى أنني قرأت لافتة الدكتور وحيد عادل المتخصص في القلب والأوعية الدموية والموجودة عيادته في الدور الثاني. ثم زحفت لما يقرب العشرين متراً حتى وصلت لشحاة حنفي للأحذية الممتازة..

اه هناك خصماً على حذاء قبيح من اللون الأحمر الفاقع. اللون يبهـر عيني سأغمضها قليلاً.

فتحت عيني وقد أرحتها للحظات ولكني لم أتمكن من معرفة قيمة الخصم على الحذاء الأحمر القبيح. أدرت عيني فلم أتبين معالم الشارع. هل أصبت بالعمى؟ اه لا أنا أرى جدارا أزرقا و.. مهلا هل أرى جدارا؟ وقعت عيني على الجبس الأبيض الذي يمتد من كعبي وحتى أعلى فخذي اليمنى. حاولت رفع رأسي فتأوهت. هرعت نجوى نحوي

- الحمد لله الحمد لله! فاقته. فاقته يا حسام، فاقته يا عم بلال.
اه لم تصرخ تلك المجنونة هكذا؟ تمام، من الواضح أنني كسرت رجلي ولكني لم أصب بالصمم.
- ما براحة يا نجوى! طب قوليلي سدي ودانك حتى يا شيخة.
بللت وجهي بدمعاتها. لاح عم بلال أمامي واقترب مني يطمأن على سلامتي.

أخبرني فعلا أن تاكسي صدمني وبعدها فقدت الوعي فورا. وأخبره الناس بأنني من أخطأت فقد قمت مندفعة من القهوة للخارج.

- وراح فين البقف الي خبطني؟

ضحك عم بلال

- انتي زي الفل الحمد لله. ومتقلقيش انتي مبطلتيش شتيمة طول ما كنتي مغمى عليك.

شعرت بالخلج منه ولكنه أنقذني بسؤاله

- صحيح انتي كنتي جاية ورايا بتجري ليه حصل ايه؟

- كله من الست نجوى!

نظر حسام بفضول وقطبت نجوى في قلق، فغمزت وقلت لعم بلال دون أن ألقت عنها

- موافق تشغلني معاك يا عم بلال؟

صرخت المجنونة واندفعت نحوي تحضنني فصرخت من الألم
ومن وسط لهاثي قلت:
- سدّوا ودانكم بقي!

رَجُلٌ أَبْيَضٌ وَآخِرٌ أَحْمَرٌ وَمَغْنَطِيسٌ أَسْوَدٌ

السابعة مساءً، في طريقي أنا لحضور فيلم وثائقي خاص بصف الدراسات الأمريكية. أنهيت عشائي في القلعة مع كازووناتاليا وكاوري وبعدها تركتهم ومشيت.

أصلاً لم أكل ولكن ذهبت فقط كي أترثر معهم قليلاً. فكما أخبرتني زميلتي وأكد على أوتوي أن الأكل في الأمسية خاصتنا تم طلبه من مطعم جستو. وعندما سألت أوتوي في تخابث

- لكن أنت يابني لست معنا في هذا الكورس؟
هز كتفه

- وعدت توماس بالحضور.
ضحكت

- اه توماس بلّس ون إذن.

لم تحضر آن ولا ماتيلدا لانشغالهما بصفوف مسائية. آدم أيضاً لم أقابله طوال اليوم. كان مشغولاً بمحاضراته. استضاء الحرم بنجوم السماء التي أطلت في عناد من وراء السحب لتضفي جوا رومانسياً على المكان كله. لسعة برد أخرجت بلسانها لتذكرنا بآخر أيام الشتاء.

آخر شتوية وآخر موجة برد وبعدها يأتي الربيع. أسبوع على الأكثر ونودع كل هذا البياض. توقفت قليلا آخذ صورة فوتوغرافية أحتفظ بها في قلب قلبي.

كاميرا الهاتف لن تحتفظ بتفاصيل الشعور الذي أشعر به الآن. سنكتفي بطبع خارطة لأبعاد المكان وطوله وعرضه وألوانه. لكن الصورة لن تتضمن كم الحنين الذي أشعر به.

فعلا سأفتقد هذا الصفاء والسكون. ترى هل سأراه مرة أخرى؟ أم سيكون هذا أول وآخر شتاء مثلج أشهده في حياتي؟ لربما إن تم قبولي في أحد برامج الماجستير أو الدكتوراة التي تقدمت لها في لندن، لفعلت.

ولكن الأمل يتضائل. لا أقصد أن أنتشائم أو أي شئ فأنا إنسانة جديدة الآن لا مكان للفضة تشاؤم في قاموسي. كل ما في الأمر أن ثلاث جامعات من أصل عشرة قد أرسلوا بردهم وأبلغوني أسفين بعدم توافر مكان لي في برنامجهم الدراسي.

لطفاء الأمريكان والأوروبيون، لا يصيغون خطابات الرفض على أنها خطابات رفض وإنما يقلبون الموضوع ويتأسفون لعدم قدرتهم على استضافتك. أرغب كثيرا بالدراسة هناك بعد هذا الرفض الحنون. أخبرني أصحابي بأن هذا طبيعي جدا. يبدأ الطلاب هنا في مراسلة عشرات وعشرات من الجامعات والشركات والمشروعات وغيرها حتى يتم قبولهم. لا مجال لليأس...

صديقي تقدم لأربعين جامعة وآخر تقدم لخمس وثلاثين منحة. وآخرين وآخرين، هم مثل توماس إديسون ومصباحه الكهربائي تماما.

سترايدر عندما سأل وأخبرته بتخرج..

- ثلاثة من عشرة ردوا بالرفض.

غمز لي ..

- الأكثر دقة هو أن سبعة من أصل عشرة لم يردون بعد.

صرخ أوتوي بمرح وهو ينكرني في كتفي ..

زفرت بقوة وتابعت المشي. أتجه نحو مركز السينما في الجامعة. إلى جانب متحف الأحياء، يمتد مبنى كبيراً من طابقين. في الطابق الأول السينما والتي تتسع قاعاتها لمائة وخمسين فرداً. والطابق الثاني يضم قاعات دراسية للطلاب في قسم الإعلام.

لاح مدخل المركز وتعرفت وجوه بعض زملائي فانضمت لهم واتجهنا للداخل. الفيلم كما لخصته لنا مولي، يحكي بلسان قبيلة من السكان الأصليين وكيف تعرضوا لأصناف عديدة من خيانات وأخطار الرجل الأبيض.

امتدت طاولتان للطعام في صفين وطاولة أخرى للمشروبات الغازية. خرجت مولي من قاعة السينما. وقعت عيني أول ما وقعت على بطنها وقد زال انبعاجها. ولدت بنتاً جميلة جداً أسمتها ديلاماي كما أخبرتنا.

أعلنت في أسف بأن هناك مشكلة تقنية يعمل مهندسي الإلكترونيات على حلها وبأننا لن نتمكن من دخول قاعة السينما. صدرت همهماتنا معترضة فتابعت بسرعة بأنه قد قامت وبمساعدة بعض زملائنا بإستغلال قاعة من القاعات الدراسية التي تحوي شاشة كبيرة للعرض.

ولكن سيكون علينا مشاركة المقاعد والأرضية وإستخدام الطاولات وبعض قطع الأثاث الأخرى. لا مشكلة المهم أن لا

يضيع علينا الفيلم. جزء من مشروع البحث النهائي سيعتمد على المعلومات المقدمة فيه. غمزت مولي - وبما أننا لن نستخدم القاعة بإمكاننا ملء أطباقنا وأخذها معنا إلى الداخل.

- اه أكل وحملقة ،أحمدك يارب.

أنا جعانة جدا. وقفت في طابور الأكل. كل يملأ طبقه كيفما تراءى له ويتجه إلى الحجرة على اليمين. تملمت في وقفتي. وأخذت أبحث بعيني عن نافذة أقرب منها الثلج

- بتدوري على ايه؟

- آدم! بتعمل ايه هنا؟

سألت بدهشة وأنا ألتفت لأواجهه. كان ممسكا بطبق ورقي ويقف في الصف إلى جانبي. ضحك - واحد من طلابي عزمي وجيت.

- يا سلام!

قلت غير مصدقة، فغمز

- وكمان قال إن الأكل تحفة.

ضحكت. ملأنا أطباقنا واتجهنا للحجرة.معظم المقاعد تم شغلها بالفعل.

- روجي اقعدى هناك.

أشار آدم نحو مقعد شاغر

- وانت؟

دار بعينه..

- أنا هقعد على الترابيزة الي في الجنب.

هزرت كتفي وتبعته...

قرفصنا جنباً إلى جنب وبدأنا في أخذ لقيمات من المكرونة

- جميلة صح؟
سألته وأنا أقرمش بعض البطاطس المحمرة بعد أن غمستها
في المايونيز.
أوماً بابتسامة ومد إصبعه يمسح بقعة الصلصة في جانب فمي
- شكلك جعانة.
- مكلتش من ساعة الفطار. وكان عندي تدريس ومحاضرات
وفيزا.. يوم ملحي.
قلت دون أن أتوقف عن المضغ فضحك...
أنهيت قطعة المكرونة خاصتي فناولني باقي طبقه..
- مش جعان؟
- هكمل فاكهة.
أعملت شوكتي في المكرونة وبعد دقائق كنت قد أنهيتها.
رفعت رأسي أتفقد الحضور. اه أوتوي وتوماس هناك لوحث
لهم. لم يتمكنوا من تخطي الناس والقدوم لنا فتقاسما مقعدا
بجانب الباب.
باقي خمس دقائق ويبدأ الفيلم. التفت عندما شعرت بعين
تراقبني. كان آدم يرقبني في حنان يروي عطشي ويشبع
روحي الجائعة. اه شبعت.
ذاك الحنان لم أسمح لنفسني باستشعاره والسباحة في فلكه مع
أى أحد من قبل. عيناه تعملان كمغناطيس يجذبني والأغرب
أنني لا أقاوم. ترى هل تعبت من المقاومة؟
هناك فترة تعلن فيها نفسك التمرد عليك وعلى كل محاولاتك
للسيطرة على مشاعرك. تصرخ فيك أن كفى سيطرة. سنوات
عمري الثلاثين تسألني بعناد إلى متى تهربين ومما تهربين
أصلا؟

قبلا كنتِ تتحججين بأن لا وقت للمشاعر والحب. كيف أحب
وأنا لم أعرف بعد ما الحب بالضبط؟ هل عرفتي الآن؟ ثم هل
هناك سنة تخرّج للحب؟ شهادة مختومة تخبر الناس بأهلية
حاملها وقدرته على ممارسة الحب؟

اعترفي يا نجوى أنتِ كنتِ تتهربين وحسب. لم تقابلي من
يرغمك على مواجهة نفسك وفهم مشاعرها. أما الآن وقد
وجدتيه يرقبك بعيونه السود فقد نسيتي كل شيء.

وكفرتي بكل ما كنتي تؤمنين به من سيطرة وتروى وتحليل
وغيرها من الخزعات التي ساهمت في خلق الشرقة التي
أحطى بها نفسك. لسنوات طويلة كنتِ أنتِ المغناطيس الذي
يجذب الأرواح المتعبة ليلقوا بحمولهم ومشكلاتهم على كتفك.
يرموها بلا اكتراث ويبدأوا حياتهم مع غيرك.

الآن تنجذين أنتِ لمغناطيسه يا نجوى. الآن دوري في فلكه
واغرقني في بحوره وأنتِ مطمئنة. أزيحي الأتربة وافتحي
ستائر قلبك فأنتِ تستحقين. اه سلام على من يدقون باب القلب
فيوقظوه دون مراعاة فروق التوقيت.

- آدم!

همست، فدنا بوجهه مني.

- انت جيت عشاني؟

تنهد حتى شعرت بأنفاسه الدافئة تغمرني. لم يزح عينيهِ

- أيوة يا نجوى!

أظلمت الحجرة وبدأ الفيلم.

استمعت له وهو يحلل الفيلم ويشارك بالمناقشة التي أجريناها بعد انتهائه.

استغرق الفيلم ساعة تقريبا واستمررنا بالنقاش لثلاثين دقيقة أخرى على أن نستكملة في صفنا القادم.

كان صوته أسرا. لوقمت الآن وارتميت في حضن صوته هل يهتمونني بالجنون؟

هووف وما بالي بهم؟

هم لا يعرفون أن أحسن ما في عناق صوته أنه لا يُبطل الصيام...

هو حب من أول همسة إذن...

هزرت رأسي أسيطر على أفكاري وتابعت حركات أصابعه التي تؤكد كلامه وتقوي وجهة نظره. لغة جسده كلها تأمرك بالانتباه فتطيع.

عيناه تجذبك فتخر ساجدا متعبدا في حرماها.

كأنما يترافع أمام قاض ومستشارين جهز قضيته وراجع أوراقها جيدا.

جمع الدلائل والمستندات. وقدم مرافعة نالت إعجاب الجميع. علّق بثبات..

- سياسة أي مستعمر عموما، تكررت بحذافيرها في فلسطين. أوما كثير من الحضور في موافقة، ثم تحدثنا عن الرجل الأبيض الذي تعثر بأرض جديدة بالصدفة ثم أصدر قرارا بتملكها.

- بالضبط وعد من لا يملك لمن لا يستحق.

رد طالب فأكد آدم على كلامه:

- في البداية حاولوا يتمسكوا، إحنا ضيوف وساعدونا لكن بعدين..

أكملت طالبة أخرى ..

- كثرنا عن أنيابهم وبدأوا في المطالبة بحقوقهم.

- أي حقوق؟

سألت مولي فأجاب توماس..

- قاموا بالضغط على قائد القبيلة وأمره بتوفير طعامهم وشرابهم وإلا اضطروا لإستعمال أسلحتهم.

- وهكذا تحول الضيف الطيب إلى آخر وقح وما كان أمام السكان الأصليين إلا طردهم.

علق طالب آخر...

أكمل آدم:

- المشكلة أن الرجل الأبيض متفوق في الأسلحة وفي العدد لأنه أحضر معاه أوبئة وأمراض من أوروبا وسببوا عدوى للأصليين الي مش متعودين على النوع ده من الأمراض وبالتالي تناقص عدد الأصليين بشكل كبير.

أكدت مولي كلامه

- بالإضافة إلى الأمراض التي كانوا يتسببون بها عن عمد. كما قد ناقشنا في محاضراتنا سابقا، كان الرجل الأبيض يقدم المساعدات على هيئة أدوية وألحفة. أما الأدوية فكانت بلا مفعول وأما الألحفة فكانت مشبعة بمرض التيفود.

- والمعاهدات التي أخلفوها والأوراق التي وقع الأصليين عليها من غير أن يعرفوا محتواها.

قلت بسخط فرد أوتوي..

- فعلا اعترف قائد القبيلة بأنه قام بتوقيع اتفاقية كان الهدف منها توفير بعض المعادن والجلود في مقابل الحصول على السلاح ، هذا ما أفهموه ولكن الحقيقة أنه كان يوقع عقد بيع أرضه.

وغيرها وغيرها من جرائم الحرب غير الأخلاقية وأهمها الإبادة الجماعية وشطب الهوية. أسموهم الهنود الحمر وهم ليسوا هنودا ولا حمرا.

- بعد الفيلم الذي شاهدناه لتونا والنقاش القصير المثمر هذا، في رأيكم ما أوجه الاختلاف والشبه بين الرجل الأبيض هنا والرجل الأبيض في فلسطين؟. الصف القادم ملتهب ولا شك.

أنهينا اللقاء، ومضيينا نمشي على مهل نحو البيت.

- ايه رأيك في عزومة أديتي امبارح؟

أخذ يثرثر وأنا أنصت باستمتاع. صوته يملأني بالدفء. حركات أصابعه التي يمررها في شعراته وكأنما يعزف البيانوتلعب على أوتار قلبي فيتقافز في لحن مرح وجميل.

- انتي تهتي فين؟

سأل وهويلوح بيده أمام وجهي. فيك. صرخ قلبي فكتمت دقاته. وقلت أداري ما بي

- الفيلم كان حزين ومثير للغضب جدا.
غمزت

- كويس إنني أكلت قبل ما أشوفه وإلا كانت نفسي اتسدت.

ضحك. اه ضحكته سحرية تهدم كل سدود العزلة التي بنيتها. تزيحها عن آخرها وأنا لا أعترض. اه لوتعرف كم شعرت بالوحشة دونك؟ فعلا وحشتني.

مشينا كثيرا ولم نشعر بالتعب. هويتكلم وأنا أسمع. أتعمد سؤاله حتى يتكلم فأسمعه. وأسأله ثانية فيجيب بدون ملل.

صوته سحري ينثر بذور الحب في قلبي ويسقيها بقطرات العسل المنساب من شفثيه. تتشبث بذوره بقلبي معلنة سيطرتها على أرضه وتذيع في الأرجاء أن قد تم الإقحام بنجاح، وأن لا وقت أفضل من إستقرارها في وطن جديد.

أما براعم الزهر في نبراته الشجية فتزيح خيوط العنكبوت التي تسلفت جدران قلبي وجعلته غلف. وأخيرا تنهدم الجدران نفسها وتذعن لصدى ضحكاته فتركع خاضعة ، فاتحة الباب لنور الشمس يضيء أركان قلب قد نال كفايته من الظلام.

لا خوف من وجع يقبع بركن قلبي الضعيف الآن فقد استقوى القلب بك. الآن أسقطه من عقلي فلا يجد مكانا بقلبي وقد احتلته أنت ونصبت به راية ترفرف باسمك عاليا وإن كُتب لها الكلام لصرخت بحبك. توقف عن حديثه وسأل فجأة كمن سمع صوت أفكاره..

- قلتي حاجة؟

احمرت خدودي وكأنما تم ضبطي متلبسة فهزرت كتفي وتلعثمت. وقفنا أمام البيت ولا رغبة لي بالدخول..

- ناخذ لفة كمان؟

سأل بابتسامة وفورا هزرت رأسي بالموافقة.

نون

الجمعة ما قبل الأخيرة من أغسطس، اليوم صباحاً أنا هنا، وأسافر الليلة مساءً إلى هناك.

فتحت عيني في التاسعة تقريباً، أنا لم أُنم أصلاً. بحلقت للسقف في شرود. ظاهري هادئ وداخلي يغلي. أنا خائفة. أعلم بأنني أنا من تريد السفر وبأنني أحتاج تلك السفرة لإستعادة اتزاني وللتأكيد على الصلح الذي بدأته مع نفسي وأقسمت بالحفاظ عليه.

لازلت خائفة. هنا أم هناك؟ هناك أم هنا؟ اه روح هائمة أنا بين هنا وهناك. أسأل نفسي وأقلب على حقل شوك من الاحتمالات.

ماذا إن بقيت، تلحفت بجبني وبقيت؟ وماذا يحدث إن خرستي قليلاً ونمتي؟ هووف لا أستطيع النوم. قمت وأواجه المرأة. فقط أخبريني بأنني سأنجح وبأن لا داعي للخوف. لا رد؟ أنت تعانديني إذن.

عمّ تبحثين؟ سلامك وأمنك وقد وجدتيهما مع منصورة ماذا تريدان أكثر؟ أيضاً لا رد؟ لماذا تقسين علي هكذا؟ أنا أنت فلا داعي لكل هذا التيه وكل هذه القسوة.

شدت قبضتي حول إطار المرأة الخشبي. حسناً سؤال آخر وحسب.

زفرت نفسي ولوّحت لي في نفاذ صبر. هل سأنجح؟ أعرضت عني وهي تشيح بغضب.

ناديتها فلم تسمع..
هل أنادي منصوره كي تسبك؟ هددتها فلم تكثرث. وعلى سيرة
منصوره أتت تدق على باب حجرتي وتفتحها دون استئذان.
ميم تعيش معي منذ وضعت رجلها في جبيرة. أخيرا وافقت
وأذعنت. ليس الحبس ما يبقيا بالطبع وإنما أنا. أنا من أبقيا
وهذا يشعروني بالأمان. ترى هل سأنجح؟
- هنضيع اليوم بقى في الفرجة على المراية؟ فعلا الي من غير
أم حاله يغم!
عرجت إلى
- يلا يابنتي مش فاضيين للهجس بتاعك ده.
واجهتها بعيون متضرعة
- ياني يامه! تاني هتقوليلي للمرة الدشيليون مش عايزة أسافر؟
وهقولك بطلي هبل بدل ماديكي على وشك.
زفرت في إستسلام واتجهت للحمام.
سألتها من الداخل..
- الخطه ايه النهارده؟
- امبارح سلمنا على شلة الشارع والنهارده فاضل شلة القهوة.
ردت فقلت:
- تمام يبقى القهوة. بس أنا محضرالك مفاجأة.
- ياترى ايه؟
فتحت الباب
- هتعرفي في وقتها.
وغمزت في غموض.

خرجنا بسيارتي واتجهنا لجامع الشيخ حسنين لصلاة الجمعة
مثلما اعتادت منصوره. سنخرج منه لقهوة الميدان وبعدها
سأخطفها منهم لتنفيذ المفاجأة التي انتويتها. قلت بلوم
- مش كنتي اتعلمتي السواقة عشان تاخدي العربية لما أسافر؟
- والرخصة نجيبها منين ؟ والجبس ده هعمل في ايه يا أم
الذكاء ؟

ردت وهي تضرب على جبيرتها التي ارتفعت لما فوق فخذها
فهزرت رأسي في تفهم ..
- معلش معلش. الورق مسيره يتظبط. والجبس اهو الدكتور
قال هتفكيه كمان أسبوعين.

تحشرج صوتي
- حسام هيبقى معاكي.
هزت كتفها وتجاهلت الدموع في نبرتي
- تحبي نفطر ايه بعد الصلاة؟
تشاغلتم بمتابعة الطريق
- لا أنا هاكل متأخر النهاردة أصلي مش جعانة.

رفعت حاجبها
- ايه مضربة عن الطعام حضرتك؟
افتعلت ضحكة

- لا أبدا هناكل وكل حاجة بس بعدين.
غمزت

- طيب ما تسدي ودانك كده ؟ عايزة أقولك حاجة مهمة.
وهذه المرة ضحكت من قلبي. اه يا ميم اه.

أنهينا الصلاة وخرجنا بالسيارة. أرادت منصوره أن أتركها
مكانها لنمشي ولكني ذكرتها بجبرتها فرضخت مضطرة.
أنزلتها أمام القهوة لتسبقني حتى أصف السيارة وأرجع.
الطاوله كما هي والوجوه المحبه أيضا. الشاعر وعم بلال
وحمويدور بين الزبائن ولكن أين الأستاذ؟ لمحتني منصوره
فلوحت لي بحماس وابتسمت.

تبالغ في مرحها كي تخفي عني حزنها لرحيلي. أيضا كي تقفل
الباب أمام ترددي، أفهمها جيدا. هتفت مازحه
- الناجح يرفع إيده.

وضعت يدي في جيوبي وأخرجت لها لساني
- لا!

فضحكت. سلمت عليهم وسألت

- أمال جدونييه فين؟

- زمانه جاى متقلقيش.

ردت منصوره.

- هتوحشنا يا دكتور.

قال عم بلال بحنان أبوي صادق

- خدي بالك من نفسك.

قال الشاعر وغمز

- هبقى أدكي اسم دوا كده مقوي للأعصاب ..

قاطعته منصوره بنكرة في ركبته

- مقوي ايه ودوا ايه! ماتتهد بقى.

فضحك بخبث.

- إيش فهمك إنتي يا بنت؟

أتى السؤال من الأستاذ الذي وصل وسحب كرسيه ثم شد على يدي بقوة

- ربنا يوفقك يا حبيبتي.

طفت بعيني في المكان أحتفظ بكل ركن فيه في ذاكرتي. لماذا نصبح عاطفيين في أواخر الأمور؟ لم لا نكون عاطفيين في بواورها أيضا؟ كيف كنا لنكون لو ولدنا ونحن نعلم ساعة موتنا؟ هل كان هذا ليكون أفضل لنا؟ هل كانت إنسانيتنا ومشاعرنا لتتضاعف حينها أم أن العكس يحدث ونزداد توحشا؟ هزرت رأسي أطرده الفكرة.

يترك الفراق بصمة لا تمحى في روحك. جزء من قلبك يقتطع ويرمى به في غياهب عالم المفقودات. مثلث برمودا يستحوذ على ركن من مشاعرك. ثقب أسود التهمها ورمى لك بالعظام. قلبك ينقصه شريان وكلما دق كلما شعر بالوجع. وهذا الوجع لا يسكن إلا عندما يَمُن عليك آخر بجزء من مشاعره. حينها فقط تعود لقلبك دقائقه بلا وجع.

أخذوا يتحدثون عن الفروق بين هنا وهناك

- فيه وحش هنا وفيه وحش هناك. وفيه حلوهنا وحلوهناك.

غمز الشاعر

- لا! أحلى هناك.

ضحكت

- بصوا، هو الواحد ميسلمش دماغه للناس وخلاص.

- أيوة متعلميش زى جحا.

- ضحكت فقالوا ألا تحتشم؟ بكيت فقالوا ألا تبتسم؟

قال الشاعر مستشهدا بأبيات الشافعي فردت منصوره

- اه الي هو عايزين مني ايه يا أولاد الجزمة بالظبط؟!

نظر لها عم بلال بعتاب فرفعت يدها
- ايه ! ولاد الجزمة أصلا مش شتيمة.

بقينا معا لساعة أخرى وبعدها تركوني مرغمين. أخذنا السيارة
وانطلقت أنا ومنصورة

- هاه على فين؟

قلت بهدوء

- هنجيب شوية حاجات.

- حاجات ايه تاني؟

التفت لها أجيبها فلم أنتبه لسائق التاكسي الذي كسر علي
وأطلق سبة. قطبت حاجبيها

- سدّي ودانك!

- خلاص يا ميم مش..

صرخت غاضبة

- اسمعي الكلام بقولك.

رفعت يدي عن الدركسيون وسددت أذني حتى انتهت هي من
وصلة ربح معتبرة وسمحت لي بإشارة من يدها بالعودة

لطريقي. ثم سألت بابتسامة واسعة

- هاه حاجات ايه بقي؟

الشوارع مزدحمة. وكلما اقتربنا من منطقة الجامعة كلما ازداد الزحام أكثر.

- إنا رايعين على الجامعة ليه؟ كنا هناك لسه امبارح.
اعترضت فتشاغلت عنها بالطريق. أين سأجد ركنة محترمة الآن؟ قطبت حاجبي أبحت بعيني عن مكان - قلتك عاوزة أشتري شوية حاجات بس.
فهزت كتفها بإستسلام. أمسكت يدها أساعدها على صعود الدرج

- لازم يعني المكان أبوزفت سلم ده؟
مطيت شفتي
- معلىش بقى مافيش وقت نلف وهو ده الى هتلاقي عنده حاجات حلوة.

- أنا هستناكي هنا.
قالت بارتباك. سألتها عن السبب فأشارت للمكان ولملابسها الرثة في توتر. قبضت على كفها
- متشغليش بالك.

همهمت ببعض سبات أثناء صعودها فربت كفها في رفق. تركتها حتى أفتح الباب وساعدتنا العاملات بالداخل حين رأيننا.

- خلاص يا ستى وصلنا.
زفرتُ بحق والتفتت محدثة البنت
- لازمته ايه السلم التسعين متر ده يا ماما! ما تفرشوا في الشارع وانتهينا.
رفعت البنت حاجبيها فتضاحكتُ
- بتهزر معاكي.

افتعلت البنت ضحكة واستأذنت كي تأتي لمنصورة بكرسي.
تمجلست وأشارت لي بيدها أن أبدأ فتركتها وأخذت أتفحص
المعروضات.

أمسكت فستانا طويلا باللون الزيتي. سيتماشي مع عيون
منصورة الخضراء. كماء الطويلان مزينان بنقشات من الورود
الصغيرة. يضيق من الصدر وحتى الخصر ثم ينزل باتساع
للأسفل. صدره مزين بلألئ تدور كالعقد وترتفع للعنق. اه
سيبدورائعا عليها.

- وواسع مش هيضايقها عشان الجبس.
همست وقلبت نظري بينها وبين الفستان أحاول اختيار
المقاس المناسب

- انتي بتكلمي الفستان على ولا ايه؟
سألت متهمكة فضحكت. انتقيت واحدا ولوحت به
- يلا!

- مش هتقيسيه؟
- لا إنتي الي هتقيسيه.
أجبتها بهدوء. تسمرت وقد أخذتها المفاجأة
- أقيس ايه انتي اتهبلتي؟
لم أرد فتابعته

- يلا نمشي بلاش تضييع وقت.
انتفضت من على كرسيها غاضبة لكنني لم أتحرك. اقتربت
مني تشدني من يدي فأمسكت بها
- منصورة!
قلت بحزم فتوقفت

- أنا هجيبلك الفستان وانتي هتقيسيه ولومعجبكيش هنشوف غيره.

همت بالإعراض فأوقفتها بأن وضعت سبابتي على فمي
- هس! وبعدها هنروح نتعشى أنا وإنتي قبل ما نروح.

همست بأنفاس متلاحقة

- نتعشى فين؟

ابتسمت

- في المطعم الي كنا بنتمشى من تحته امبارح ووقفتي
تساوري عليه وتسالي ياترى بياكلوا في ايه؟

مددت لها بالفستان بمرح

- هنعرف كمان شوية بقى.

عينها الخضراوان تلمعان بشكل أخاذ. نكست رأسها وأخذت
مني الفستان دون كلمة وذهبت لتجربته. سألتها

- ميم! إنتي بتلبسي حجاب؟

لم ترد...

دائما ما تلبس طاقية صوف تحت الكاب حتى ونحن في
الصيف، لذا أعتقد بأنها محبة. هزرت كتفي واتجهت للركن
أبحث عن طرحة ملائمة ووجدتها.

أزاحت الستارة وعرجت في ارتباك للخارج وهي تسب في
توتر. توقفت أنا والبنت التي كانت تساعدني في إنتقاء طرحة
مناسبة لها مشدوهتين.

الله! أين كنتِ تخبئين كل هذه الأنوثة يا ميم؟ اه عرفت تحت
أكوام من الملابس الرجالية الرثة. أشرت لمرأة قريبة دون أن
أنطق فالتقت هي نحوها وارتدت للخلف. إن كنا نحن بالخارج

قد أصابتنا الصدمة فماذا عن داخلها هي. لابد وأن براكيننا
تغلي هناك.

انتقيت طرحة واقتربت منها. وبتمهل ، أزاحت الكاب والطاقيـة
الصوف. خصلات شعرها الأسود لم يجرؤ الشيب على
الإقتراب منها. أخذت تنقل بصرها بين المرأة وبينها وبينني
- أنا حاسة إني..

تلعثمت ونظرت لنفسها مبهورة

- إني..

تلعثمت مرة أخرى فأكملت وأنا أناولها الطرحة

- إنك بنت.

لم تحسن لف الطرحة فساعدتها ووقفت هي مستسلمة لي.
انتهيت. أخذنا نحملق في المرأة. وفي عينيها هاجت رياح
عاتية في غابتها الخضراء فأثارت بحرا من الدموع الحبيسة
لسنين طوال. ثار البحر وعلا موجه حتى انساب في خطّين
من الؤلؤ على خديها الناعمين.

تململت منصورة على كرسيها. أشعر بتوترها من طريقة
فركها لكفيها كل دقيقة. يبدو ارتباكها واضحا في أنفاسها
المتلاحقة وحركة عينها السريعة التي لا تقلت شاردة أوواردـة
لأي مار أو عابر.

لحسن الحظ لم يكن المكان مزدحما. ستأخذ على الجوسريـعا
أنا متأكدة. ابتسمت لها مطمئنة فهزت رأسها في حركات
سريعة.

كان المطعم جميلا ويطل على نيل المنصورة. مقسوم لقسمين،
واحد للمدخنين وآخر بدونه. وطبعا جلسنا في قسم المدخنين.
أي شيء لأجل عيونها.

كنت أتابعها بافتتان. كيف لفستان وطرحه أن يغيراها هكذا؟
منصورة هي منصورة بالتأكيد ولكن أقصد مظهرها الخرجي.
تجلس أمامي أنثى كاملة. نظرات عينها وديعة وحالمة. صوتها
شجي حنون. لفاتها ليست عنيفة وكل ما فيها رقيق وهش.
همست

- إنتي عارفة أنا آخر مرة عيط امتي؟

ربت على يدها

- عارفة يا ميم!

أكملت

- أنا عمري ما هنسى الي إنتي عملتيه معايا للي باقي من
عمري.

ضحكتُ وضربت الطاولة أمامي بمرح فضمت حاجبيها في
إستغراب

- لوفكرة إن إنتي مدينة لي تبقي غلطانة جدا.

تابعت بصدق

- أنا ألي مدينة ليكي بحياتي نفسها.

تنهَّدت

- لولا علبة الكشري الي وقعتيها على كان زمانى أنا الي
وقعت من زمان.

مسحت بيدي على طرحتي وقلت أغيظها

- الصلصة كان طعمها تحفة الصراحة.

ضحكت باستمتاع

- أنا كنت هقتلك ساعتها على فكرة!
هزرت كتفي وابتسمت.

الإنسان مدني بطبعه...
عندما قرأتها لأول مرة عقدت مقارنة بين بيت عمتي في
الريف وبيت العيلة في المنصورة وهزرت رأسي معترضة.
فأنا أحب منزل عمتي الريفي على المدينة الصاخبة.
ولكن المدنية هنا لا تقارن بين الريف والحضر. وإنما تعني
بالرغبة في التواصل والمشاركة. نولد ومعنا تلك الرغبة
وتزداد بتقدمنا في العمر. لا لضعفنا ولكن للنضج الذي يلم
بروحنا.

وللأسف إذا ما نضجنا في غير أواننا أوتعرضنا لمواقف
موجعة، فسرعان ما نفضل العزلة على التواصل كما فعلت أنا
وفعلت منصورة. وفعل آلاف غيرنا. الحكمة كلها تكمن في
سؤالين: متى نتواصل؟ ومتى نعتزل؟ ما أن تعثر على التوازن
بين النقطتين سيعمك سلام داخلي يربت على روحك المتعبة
فتسكن. أما هذا التوازن فقد حققناه لبعضنا، منصورة وأنا.

كالصغار نحن، لا نتوقف عن طلب إنتباه من حولنا مهما
كبرنا. ينزل الرضيع من رحم أمه صارخا جاذبا إنتباه من
حوله. وعندما يكتشف الحيلة لا يتوقف عن الصراخ.
فقط تختلف طبيعة الصرخ ونغمته. يكبر قليلا ليصرخ
صاحكا فيبتسم له من حوله. بعدها يرسم رسمة جميلة تقربت
أمه على رأسه ويحتضنه أبوه. اه جميل الإهتمام هذا وسحري.
أدمناه فصرنا نفعل المستحيل من أجل الحصول عليه. لا يهم
إن كان ما نفعله خطأ أو صوابا فالمهم هي الغاية لا الوسيلة.
حتى في عزوفنا وعزلتنا صراخا مكتوما يجذب أيضا الإنتباه
لكن لمن يجيد الإنصات فحسب. فيتوقف وينظر لك بفضول

محاولا سبر أغوار روحك ومعرفة أسباب صمتك وما قد يكون قابعا وراء جدرانك.

تتكرر التجربة كل لحظة وكل دقيقة، كل ساعة وكل يوم. نطلب الإهتمام ولكن لا نجده دوما كما تمنيناه فنصرخ أكثر وأكثر. تنشرخ أحبالنا الصوتية وتتقطع أنفاسنا فننتكور في صندوق عزلتنا نتابع بصمت حتى نسترد قوانا ثم نبدأ في الصراخ من جديد. دائرة لا تنتهي. حتى تنجح في الوصول لمسعاك. بعد كل هذا التخييط تسميه صدفة! أنا أعذك فقد تنقلت بين صناديق عزلتك وبين صرخاتك طويلا حتى فقد عقلك القدرة على التمييز.

الصدفة هي التي جمعتني بمنصورة؟ أم قرار مسبق كتبناه أنا وهي؟ قرار تطوعت لتنفيذه علبة كشري. حتى وإن مشيت معك في طريق الصدفة، فصدقتني الصدفة لم تجربنا على أن نكمل الطريق. أنا من اخترت البقاء مع منصورة وهي من سمحت لي. كلانا اختار ونفذ.

طلبنا أصنافا كثيرة. أريدها أن تتذوق كل شئ.

- مش كثير الأكل ده؟

سألت بقلق فقلت

- لا أبدا أنا جعانة.

ضحكت

- وبعدين مها جاية.

رفعت حاجبيها

- ما كانت معنا امبارح!

غمزت

- ما أنا أصلي قتلها على الي أنا ناوية أعمله فيكي فحلفت ما
تضيع الفرصة دى.

- وأضيعها ازاي!

صرخت مها متفاجأة وهي تتفحص منصوره التي توردت
وجنتيها

- هوأنا كنت معفنة للدرجة دى؟

وضحكنا في جنون. طلبنا شيشة ، منصوره وأنا، واكتفت مها
بمشاركتنا نفسا من هنا ومن هنا. سألتها عن خطتها كيف
تمشي ومن بين سعالها ردت

- تمام جدا. أنا خلاص زى ماقلتك هرجع أكمل السنة
الأخيرة.

هزرت رأسي في تشجيع

- واهوه ربنا يسهل وأشتغل وأفوق بقى.

غمزت منصوره

- مش كنتي سافرتي من زمان كان حالنا انصلح من بدري؟

ضحكنا

- يا سلام ياختي!

- المهم خدي بالك انتي بس من نفسك وتابعي معانا بقى من
هناك.

قالت مها فأشارت منصوره نحوي بإصبعها

- دي ولا هتعبيرنا أول ما تدخل الطائرة هتقفل الباب وترمي
المفتاح من الشباك أنا عارفها.

ما أدركته أن ليس مهما متى بقدر كيف. ستبدأ وقتما تبدأ، لكن
كيفما تقرر أنت وحدك. ساعات تفصلني عن هناك. فورة

حماسة تغمرني وتزيدني قوة وأنا بينهما. لأجلهما وكل من
يهتم لأمرى، وأولا، لأجل نفسي سأنجح.

نكزتنى منصوره تستدعيني من شرودي

- اسمعي!

انتبهت لها

- عند ميت غمر فيه لوحة. معرفش عبقرى مين كتبها؟

- لوحة ايه؟

سألت مها بفضول فأشارت لها منصوره أن تصبر.

- لما تحبى تعيطى عشان أنا عارفاكى نكديه..

ضحكت أنا ومها لكنها أكملت بجديه

- تبقي تبصى للوحة دي وتقريها بخشوع.

نظرنا نحوها باستفهام فرسمت بأيديها

- ابتسم، أنت فى ميت غمر.

احمرت وجوهنا من الضحك وتابعت منصوره فى جدية

مصطنعة

- ليه أبتسم بس هاه؟ الضحك ممنوع مثلا؟ ثم ليه ميت غمر

بالتحديد؟ ايه الموجود فيها ويدعو على الابتسام يعنى؟ هاه؟

- إنتى بس غيرانة عشان مافيش ابتسم أنت فى المنصورة.

زفرت منصوره متصنعة الغيظ. ضحكنا وأمسكنا بأيدي

ثلاثتنا فى حب.

وَفِي الرَّبِيعِ تَفْتَحُ الْقُلُوبَ

بعد أن تَقَلَّبْتُ في فرشتها لشهور، أخيرا سكنت الثلوج بين ذراعي الربيع الذي ضمها في عناق طويل ذابت أمامه عواصفها وموجاتها الباردة.

تنائب الشجر ثم تمطّع ليذهب عنه سبات الشتاء. فاستيقظت السناجب من بيوتها على الشجر وخرجت تتسابق كي تلقي التحية على الزهور التي تفتحت. احمرت خدود الشجر وتوردت أوراقه وتلونت بألوانات الربيع المحببة.

مررت بجحور القوارض. (الوومب ووومب) لازال نائما لربما يخرج في الظهيرة عندما تناديه الشمس. أما السناجب تجري هنا وهناك ولها مطلق الحرية فلا يؤذيها ولا يضيق عليها أحد. يشاع عندنا في قسم اللغة الإنجليزية أن سناجب فاسار ماهي إلا أرواح لمن كانوا يدرسون هنا وتخصصوا في الأدب ثم تخرجوا ولم يستطيعوا الحصول على عمل.

لذا فالمساكين أمثالي الذين أحبوا الأدب واختاروه، قد عادوا في حياتهم الثانية على هيئة سناجب واتخذوا من الشجر في فاسار مسكنا. وبالرغم من جهود زملاء في أقسام الأحياء والعلوم وانشغالهم في إثبات صحة الشائعة، إلا أنه لم يتم التأكد منها للآن.

- سنجاب سنجاب ! أحسن من فأر.
قلتها لنفسى واسترحت على المقعد الخشبي أمام القلعة، انتفنا
أن نتغدى معا. تثانبت أرقب الطلاب الغادون والآتون في
إستماع.

سنبدأ في الرحيل واحدا بعد الآخر بدءا من نهاية مايو. سيعود
كازوإلى اليابان للبدء في الدكتوراة. وماتيلدا إلى فرنسا
للتدريس. أما آن فستنتقل إلى روسيا للعمل هناك. ناتاليا تلقت
عرضا من قسم اللغة الإسبانية وقبلت بالإنداب في فاسار العام
المقبل للتدريس.

أما أنا فسأذهب إلى لندن. تم قبولى للدراسة والعمل بجامعة
درهام لمدة سنة. اه نجحت. لم أعد أشعر بالتية الذي سيطر
عليّ قبلا. ما عدت أخافه ولا أخاف من الغد.

شعوري بالإنجاز يدغدغ حواسي ويفتح مسامي للحب
وللحياة. أم تراه الربيع هو من يتلاعب بعقلي ويؤثر بي؟ ترى
ما السر في ازدياد قصص الحب بالربيع؟ وهل من يبدأ في
الربيع ينتهي في الشتاء حقا؟ إذن ماذا عمن يبدأ حكاية قلبه في
الشتاء؟ تنهدت وأخرجت هاتفى أرسل الشباب
- أين أنتم؟ أنا جعت.

وجه غاضب، إرسال.

هل للحب موسم؟ بدأت بالإعتقاد هكذا خصوصا عندما تلقيت
رسالة من مها بالأمس تخبرني بأنها قد حددت موعد عرسها.
مها ويا للمفاجأة أخيرا وجدت رجلا. سألتها بتشكك
- راجل يا مها؟

فضحكت ضحكة خرجت من قلب قلبها وقالت

- راجل يا نون، راجل!

في هذا الزمن الخروج في رحلة بهدف العثور على رجل أو العثور على الحب أصعب من رحلة مصطفى محمود من الشك إلى اليقين. أتضحك؟ كيف ونحن يومياً نمر بالمرار نفسه من أجل أن ننجو، فقط ننجم من براثن الغدر.

تتلاحق أنفاسنا كي نكمل اليوم وننام على وسادتنا من دون أن نتعرض لطعنة خيانة هنا أو سهم خذلان هناك. نتصارع ونتقاتل فيما بيننا وحتى بيننا وبين أنفسنا للتمسك بما اعتقدناه حبا وما ظنناه سكنا وأمانا. وبعد أن نكون قد فقدنا بعضاً من مبادئنا والكثير من كرامتنا وقوتنا نفاجأ بأن من كنا على استعداد لبيع روحنا من أجله، باعنا هو بأرخص رخيص.

لا، لم يبيعنا حتى وإنما رمانا تحت قدمه ودعس ودعس ثم مشى دون أن يلقي علينا نظرة واحدة. تبخر واستحال سراياً. لذا من الطبيعي جداً أن رحلتنا هذه تصيب أكثرنا بالشك ويتعرض فيها معظمنا للكفران بما خرج أساساً للبحث عنه فيتيه في طريقه إلى يوم الدين. والآن أخبرني ألازلت تضحك؟

وصلتني رنة من ناتاليا

- أنا قادمة.

وبعدها من أن

- وأنا.

وماتيلدا وكازو أيضاً أما آدم فأرسل يقول

- وأنا هنا.

اخ... لم يرسلها وإنما ألقاها على مسامعي فرفعت رأسي ضاحكة..

- مش هتبطل يابنى حركاتك دي؟ أنا سني ميسمحش بالمفاجآت دى.

أخرج لسانه يغيظني

- ليه يا تيتة؟ ده إحنا لسه مختلفين بعيد ميلادك الخمسين من شهرين بس.

قطبت حاجبي ولوحت بسبابتي

- طب اتلم أحسن لك.

انحنى قبالي حتى شعرت بلفح أنفاسه واشتممت عطره الذي يسحبني إلى متاهة من العنبر، وغمز..

- وإن ماتلمتش؟

بسرعة قلت :

- هتبعتر معاك والي يحصل يحصل.

رفع حاجبيه في مفاجأة ومن قلبي ضحكنا معا.

ما الذي يحدث لي؟ أتقوه بحماقات غريبة في حضوره. أشعر بأن الكلمات ليست لي، حتى صوتي يرق وأنا إلى جانبه. جلس

بجواني وتفحصني بعينه

- أخبار دروسك ايه؟

- ماشي الحال، معنديش امتحانات الحمد لله كلها مشاريع تخرج ومقالات.

هززت رأسي في تتابع سريع مثلما يفعل أديتي وضحكنا. لحظات وقمنا نقابل باقي المطايرد ودخلنا للغداء.

- هاه لنراجع الخطة.
- قالت آن
- حفل سترايذر الراقص في الخامسة.
- أوما كازوفي حماس
- سأحضر بالتأكيد.
- قلت ساخرة
- ماهذا يا كازو! لا شغل ولا عمل؟ هل أنت مريض؟
- قلت وأنا أمسد جبينه بيدي محاولة قياس درجة حرارته. قطب
- حاجبه فأخرجت له لساني.
- جلسنا على طاولة في المنتصف. آن وماتيلدا وناتاليا من ناحية
- وكازو وأنا وأدم في الأخرى. سألتني ناتاليا
- هل ستحضرين؟
- أكيد طبعا لابد أن نرى سترايذر وهويرقص باليه. أنا أحلم
- بهذا اليوم منذ زمن.
- وغمرت أضايقها فرمتني بحبة طماطم تلتفتها بخفة وأكلتها.
- أعادت السؤال على أدم فأجبت
- طبعا هيجي.
- رفع يده مستسلما...
- ما رأيكم أن نمر على حديقة شكسبير في طريقنا؟
- صفقت آن بجذل. فكرة رائعة خصوصا وأن زهور التيوليب
- قد تفتحت.
- أتى أوتوي وتوماس فلوحت لهما كي يجلسا معنا.
- تحدثنا عن صفوفنا وعن استعدادتنا للإمتحانات النهائية
- وخططنا لأجازة الربيع..
- سنذهب إلى فلوريدا توماس وأنا.

أعلن أوتوي في فرح...
اتفقنا على الذهاب في النصف الثاني من مايو...
انتهينا من حجز تذاكر الطيران لكن واجهتنا مشكلة أسعار
الفنادق باهظة وحتى النزل الخاص بالطلبة يتعدى الأربعين
دولارا لليلة وهذا سيلتهم نقودنا بالكامل.
- طب مانجرب نأجر كنبه عند أي حد؟
سأل آدم، فرقعت ناتاليا إصبعيها
- ممتاز!

تنتشر هذه البادرة في الكثير من أنحاء العالم couch
surfing. خصوصا أوروبا وأمريكا. موقع مختص بعرض
المنازل التي لا يمانع أصحابها من مشاركتها مع الطلبة أومع
أي مسافر في مقابل رمزي. يؤجرون غرفة لا يستخدمونها
أوالعلية في بيتهم إن كان على دورين مثلا. أوحى الأريكة
في الصالة إن لم تسمح مساحة منزلهم بأكثر من هذا.
الكل يعلم بأن الطالب الجامعي لا يمتلك ما يؤهله لإستئجار
غرفة فندق والكل يعلم أيضا أن هذا العائق لن يوقفه عن السفر
والإستمتاع أبدا. لذا انتشرت الفكرة وتبنّاها الكثيرون.
يعرض صاحب البيت صورا للمكان المتاح عنده ويكتب
المزايا خاصته. مثلا إن كان قريبا من محطة الباص أومن
السوق وهكذا. أحيانا ما يسمح لك صاحب البيت بمشاركته
الطعام إن أحببت. أما المقابل فيكون لا شئ سوى حفاظك على
المكان نظيفا ومرتبنا مثلما دخلته. أومقابل مادي لا يكاد يذكر.
أما الأهم فطبعا وضعك تقييما جيدا على الموقع كي يتشاركه
غيرك.

وفعلا جربنا الموضوع عندما كنا في بورتلاند. تصفحت البنات الموقع واخترن منزلا يقدم العلية خاصته وهي حجرتان واسعتان. بهما مدفأة كبيرة، وسريرين وحمّام منفصل صغير. وكم يطلب صاحبه في مقابل أسبوعا كاملا؟ سلة خبز أوورد ستكون كافية.

كان البيت لزوجين يسكنان وحدهما بعد أن تخرج أولادهما من الثانوية وسافرا للدراسة بجامعة الولاية. كانت السيدة الطيبة تترك لنا طعام الإفطار وتذهب لعملها. فنأكل نحن حينما نستيقظ ونقوم بغسل المواقين وشكرا.

اشترينا لها سلة مملوءة بالبسكويت والمخبوزات الطازجة قد تكلفت خمسة عشر دولارا. وأضافت البنات زجاجة شمبانيا. لازلت أكتب لها وتكتب لي إلى الآن.

الحديقة رائعة في هذا الوقت من العام. تنتشر زهور التيوليب في ألوانها البديعة الأبيض والأحمر والأصفر والأرجواني والتي أرسلت فاسار في طلبها من إنجلترا خصيصا.

عندما قام المؤسس ماثيو فاسار بشراء الأرض للجامعة كانت جرداء بلا شجرة واحدة تقريبا. أما اليوم فحرم الجامعة ممتلئ بشجر البلوط والزان والدردار والقيقب. أيضا شجر الصفصاف الباكي وحتى شجرة زيتون روسية والكثير والكثير من الأشجار النادرة.

في منتصف القرن التاسع عشر، ١٨٦٨ تحديدا شهد ذلك العام على زرع أول شجرة عندما اختار الخريجين وقتها شجرة بلوط بيضاء لزراعتها أمام ممشى المبنى الرئيسي. وبعدها صارت زراعة الأشجار طقسا مقدسا في الجامعة.

في تلك السنوات كانت زراعة الشجر تتم في سرية تامة، حيث يذهب الأستاذ مع نخبة من تلاميذه لزراعة الشتلة الصغيرة ووضع تذكارا باسمهم وباسم صفهم مع البذرة. لازال هذا الطقس ساريا ليومنا هذا ولكن بسرية أقل.

يختار رائد الفصل شجرة قديمة من الموجودات كي تعمل كشجرة ذكرياتهم. أويقوم وزملائه بزراعة شجرة جديدة في منطقة يختارونها. يزخر مشجر الجامعة بأنواع عديدة لكثير من الأشجار والنباتات التي لن تجدها في أي مكان آخر، ويأتي لزيارتها الكثيرين، كما ويحرص على دراستها وتنميتها بستانيون متخصصون ومحترفون.

حديقة شكسبير ثاني أقدم حديقة في الولايات المتحدة. تم بنائها إحتفالاً بالذكرى الثلاثمائة لرحيل الكاتب الكبير ويليام شكسبير. تحوي الحديقة كثيرا من الأشجار التي قد ذكرها في أعماله. أيضا يقوم الطلاب في قسم المسرح بعرض مسرحياتهم في الحديقة. بالأسبوع القادم سيتم تقديم مسرحية حلم ليلة صيف إحتفالاً بالربيع من ناحية وبتخرج طلاب المسرح وقرب إنتهاء الدراسة من ناحية أخرى.

تلاحقت أنفاسي في إنبهار وأنا أنقل خطاي بين الشجرات العتيقة. أكثر من ٢٣٠ نوعا من الأشجار والنباتات المختلفة تضمها الجامعة في مشجرها ومزرعتها اليوم. تبعثرنا في الحديقة وقد بهرتنا بورودها وأشجارها. تحمل كل شجرة ملصقا باسمها وعمرها.

- يااااه الشجرة دى من سنة ١٩٥٠.

قلت مبهورة وأنا أحاول إحاطة جذعها بيدي فلا أقدر. ضحك
عليّ كازو و آدم. استمرينا في المشي. نادى ناتاليا
- وصلنا إيميل تحذيري من الجامعة بإحتمالية تواجد دب في
نطاق الحرم ناحية ملاعب الجولف حيث تم الإبلاغ عن
رؤيته.

أخرجنا هاتفاتنا نتأكد. ليست مزحة. يحذر الأمن بالجامعة من
وجود الدب ويذكرون بعض الخطوات الوقائية إذا ما حدثت
مواجهة وشددوا على ضرورة الإبلاغ عند الإشتباه برؤيته.

- بالأمس رأيت غزالة مع صغيرها.
هز كازو كتفه. صفقت أن بمرح
- اه إنه الربيع والكل استيقظ من سباته الشتوي.
قطب كازو
- أفضل التعامل مع الغزالة !

اتجه كازو ونحو البنات يخبرهم عن الغزالة وبقي آدم معي. سرنا
جنباً لجنب بين صفوف الشجر وحيطان الورد وتذكرت وقت
ذهبت مع سترونج في إحدى رحلات عطلات الأسبوع
الخريفية لقطف التفاح. حكيت لأدم عن اليوم الجميل الذي
قضيناه في المزرعة.

تنتشر مزارع التفاح في وادي هدسون كله ويأتي إليها الناس
من كل المدن في حضن الوادي في فصل الخريف بدءاً من
سبتمبر وحتى نوفمبر ليستمتعوا بطقوس قطف التفاح. ذهبن
لمزرعة تدعى دريسل. جنة تمتد لربعمائة فدان تفتح أبوابها
للزوار وتمنحهم منتجات طبيعية وم مصنوعة من خيرات

الطبيعة. الخضرة والشجر والجمال الربّاني الطبيعي يحيط بك من كل صوب.

أقفاص الفراخ والإوز والبط. السناجب والعصافير حرة على الشجر. إن لم يكفِ هذا فلتعلم أنه لك أن تأكل ماشئت بالمجان، طوال فترة بقائك في الجنة، أقصد المزرعة.

- وأنا صغيرة رحت رحلة مع المدرسة لمصنع الكوكاكولا. وبإختصار الرحلة كلها جلها تلك معوي من كتر الي شربناه. ولكن لا يمكن لكل هذا الجمال أن يلبيك معدتك مهما التهمت منه. نزلنا من الباص ودخلنا المزرعة. لارسوم للدخول ولا شئ. تأخذ دلوا لتضع به تفاحاتك إن أردت الشراء. وإن لا، فلك أن تستمتع بتذوق قدر ما شئت من على الشجر وتستمتع بالجولة وبالطبيعة وبالكثير من التفاح.

أكثر من عشرين نوعا من التفاح. تفاح ماكينتوش ، وليدي، وبولوين ، وموتسوا المعروف أيضا بالتفاح الأخضر، وتفاح الزنجبيل الذهبي وتفاح الحرية وغيرها وغيرها من التفاحات التي لم أرها من قبل.

أيضا يوجد مركزا لتذوق النبيذ الذي تنتجه المزرعة. وفي الخريف يتواجد نكتار التفاح. يصنعون منه الدونات أيضا ويأتي لطلبها الجميع تقريبا. أيضا تنتج المزرعة المربي، مربى اليقطين والشمش والفرولة. وبعض جبن الماعز المميزة. وفي أكتوبر يذهب العامة لجلب ثمار اليقطين من أجل الاحتفال بالهالوين. اه كان يوما رائعا بحق.

أخذنا نثرثر ونثرثر دون إنقطاع. أتعب أنا فأتوقف ليكمل هو. - عارفة المكان ده ناقصه ايه؟

سأل بجدية فضممت شفتي معترضة على الفكرة

- بتهزر صح!
وفردت ذراعي أشير للجنة التي تضمنا فأخذ كفي بيده
واحتضنه. وبيده الحرة أزاح حقيبة ظهره وفتحها ليخرج منها
علبة بلاستيكية متوسطة الحجم. حاولت سحب يدي
- متهربيش!
قال دون أن ينظر لي وقد كان يحاول فتح العلبة بيد واحدة
فضحكت بخفوت وتركت كفتي تستكين في حضن يده. وأخيرا
نجح فرفع رأسه يضمني بعيونه السود
- ناقصه نخلة.
ضحكت فمد بالعلبة لي واتسعت عيني في مفاجأة
- مش كان بلح أسود برده؟
سأل بحنان. لم أرد فقط نقلت عيني بينه وبين علبة التمر
- وكنت بأكلهولك بإيدي صح؟
ترك يدي ليمسك بإحدى التمرات من العلبة ويقسمها نصفين.
مد بنصف لي فمددت يدي أتناوله مشدوهة فهز رأسه نافيا
- في الحلم كنتي بتأكله لوحيدك؟
هزرت رأسي دون أن أنطق فمدّ يده ثانية ووقف منتظرا
بصبر. امتلأت عيني بالدموع
- أنت هنا؟
سؤال سخيף حقا ولكنه فهم معناه تماما كما قصدته داخلي
فأومأ مؤكدا
- وهفضل هنا.
بعدها اقترب مني أكثر ورفع يدي يضعها على صدره
- وإنتي هنا.
تسارعت دقات قلبه تحت كفتي وتنهّد بعمق

- بحبك.

مد يده نحوي بنصف ثمرة أطعمنيها في فمي وأكل هو النصف الآخر. همس

- حلوة يا نون؟

أومأت بالإيجاب...

حلوة حلوة لم أذق مثلها في حياتي، وأما سوادها فلم أر في مثل لمعانه بإستثناء لمعة عيونه السود.

استكملنا جولتنا وبعدها ذهبنا إلى مسرح الجامعة الرئيسي. وقفنا في الطابور. أبواب المسرح لم تفتح بعد. تفرق الحضور على المقاعد المنتشرة. تحدثنا في أمور عدة، وقعت عيني على تاريخ اليوم في الإعلان الدعائي الخاص بالحفلة...
- ثواني هعمل تليفون وأجي.

سأل آدم

- لمصر؟

أومأت موافقة فاستأذن

- ينفع أجي؟

- طبعاً!

وخرجنا معا...

أرغب بمكالمة منصور.

- ممكن أكلهما معاكي؟

ضحكت للفكرة ولم لا؟

سيكون عليهما أن يتحادثا عاجلاً أو آجلاً. ويا لحظي لقد ردت من أول رنة.

عايدتها وأخبرتني أنها أمام القصر فعادت ذكراه لي وضحكت.
كنت قد حكيت لهم عن هدية عيد ميلادي التي قدمتها لي
منصورة

- تخيلوا قعدت تقرأ كتب وتجهز عشان تفاجأني؟
هز كازورأسه في إعجاب وعلقت ماتيلدا
- لم أعلم بأمر هذا القصر وعندما أخبرتيني قمت بالبحث
وانبهرت عندما رأيت تصميمه الرائع.
- قلناك إنه هيعجبك.

أفقت على صوت منصورة تسألني بماذا يدور في بالي.
أخبرتها بأمر قبولي في منحة الدراسة ومنحة الحب. ووافقت
على محادثة آدم.

أرقبه يحادثها الآن وأنا أفرك يدي في قلق. لماذا أشعر بكل
هذا التوتر؟ آدم يبدو مرتاحا نبرة صوته هادئة وعينه ثابتة
علي. ماذا هناك؟ ارتبك وأدار ظهره عني، هل تشتمه يا ترى؟
مر بأصابعه في شعراته، لماذا توتر هكذا فجأة ؟ استدار
نحوي وأخذ نفسا عميقا ثم تثبت عينه علي وهمس
- اه..قوي.

استشعر قلبي ما قاله فدق بقوة وصخب. وتوردت خدودي في
وله. بعدها عاد آدم لهدوئه وتحدثنا قليلا حتى أشرت له
بضرورة الدخول لبدء العرض فسلم عليها وأنهى المكالمة.
هووف وأخيرا، تمت المهمة بنجاح.

مسرح الجامعة رائع ومجهز بإمكانيات مرعبة. مسرح كبير وضخم يتسع لمائتين وأربعة وأربعين فردا ويمتد لمسافة خمسمائة متر. وعليه تتم كل عروض الرقص وبعض من المسرحيات الخاصة بطلاب الجامعة. أما عرض الرقص السنوي فيحضره الكثيرون من خارج الجامعة أيضا.

في إبريل ستقوم الجامعة بعرض رقصاتها في مسرح المدينة. الإضاءة والديكور وأجهزة الصوت والسماعات، كل هذا وأكثر مصمم لخدمة خشبة المسرح. كي نحظى نحن - الجمهور- بتجربة جميلة وممتعة لأي عرض من العروض التي تجرى على خشبته.

لا زالت الناس تتوافد. هذا هو اليوم الأول للعروض التي تتوالى لثلاثة أيام. يأخذ الناس مقاعدهم بهدوء وانتظام. رأينا المطايرد فاتجها لهم كانوا قد جلسوا وتركوا لنا كرسيان.

أطل مدير القسم على خشبة المسرح الواسعة ورحب بالحضور. تكلم قليلا عن العرض ووعدا بالاستمتاع برقصات ستبهرنا وتمتعنا كثيرا. تحدث عن بعض القوانين السريعة مثل خفض الصوت وضبط الهاتف على الوضع الصامت وغيرها من الأمور التي قد تزعج الجيران أو الراقصين أنفسهم.

خفتت الأضواء في تلك اللحظة تنبيهها للجمهور بقرب العرض. همست ناتاليا بحماس

- الراقصون وراء الستار.

همس آدم

- هاخذك مسرح برودواي بعد الإمتحانات، موافقة؟

أومأت بحماس فغمز

- بس بشرط أنا الي أختار المسرحية.
أخرجت لساني أغيظه. شدّ على يدي بحب وابتسم. أظلمت
القاعة وفتح الستار.

ميم

ازدحمت فرشة الكتب بالزبائن. البعض يسأل عن الكتب المدرسية ويمشي. والبعض الآخر يتلّج لتصفح أغلفة بعض الكتب المفروشة على الأرض أو على الرفوف الخشبية. انشغل عم بلال باستلام طلبية جرائد في الجهة المقابلة أمام القهوة. تتأثبت وتململت في قعدتي على الكرسي. الجوحار بعض الشيء خصوصا ومارس في العشر الأواخر يقارب على تسليم الراية لأبريل. وبعدها مايو، الحَر كله على غرار الست. وعند ذكرى العرق وموجات الصهد أمسكت كتابا أستخدمه كمروحة. سألت أم عن قاموس عربي إنجليزي صغير فأشرت لها أوجهها إلى مكان القواميس دون أن اقوم من مكاني. انقضت العصرية في رتابة وملل. أقل من ساعة ويحل المغرب. أنا أنزل من البيت في السابعة صباحا وأغادر في السابعة مساء. كل يوم ما عدا الجمعة آتي بعد العصر لأن الجمعة ميعاد محادثة سكايب جماعية مع نجوى وحسام وسلوى. وميعاد عزومة الغداء الأسبوعي الذي يصبر عليه حسام بتوصية من نجوى طبعاً. طوال الأسبوع تقريبا أنا هنا بين الكتب. ولكن أحيانا كثيرة أستأذن لأطل على أصحاب الشارع. أمر بفرشتي السابقة وأتحسس الموضع الذي كنت أنام به. أقعد مع صابحة ندرش. كبر رضيعها. صلاح والباز ينضمان لنا أو أذهب أنا لهما. لم أخبر نجوى ولكن مرات أرتدي القميص والبنطلون وأخذ أي

مقشّة وأكنس وأكنس حتى أتعب. بعدها أغير ملابسي وأعود لفرشة عم بلال.

نادتني الزبونة التي تبحث عن القاموس فقمت. أشارت إلى قاموس برف علوي، فصعدت على السلم الخشبي وناولته لها. تصفحته لدقائق وبعدها سألت عن سعره ثم دفعت ومشت. أخذت النقود وقبلت ظاهر يدي وباطنها ووضعتها في الدرج. قمت بتقييد اسم القاموس الذي بعته في الدفتر. وعدت ثانية إلى مقعدي. اتسخت ملابسي حينما تسلفت السلم. أزحت التراب عن الجيبة التي أرديتها وعدلت من طرحتي أغطي شعري.

عم بلال حنون ولا يضيق الأمور علي، يسمح لي بأن أستاذن فأمشي حتى توجعني رجلي التي كانت قد كسرت فأقعد على الكورنيش في أي بقعة. بالتأكيد يمكنني أن أتأخر في الإستيقاظ والذهاب في العاشرة مثلا ولكن أنا اعتدت الإستيقاظ باكرا وعندما أصحوفأنا لا أستطيع البقاء حبيسة بين الجدران خصوصا وإن كنت وحدي بلا نون. جذبتني الفكرة فتخيلت اسمي بلا نون وقمت بحذف الميم أيضا فتبقت "صورة". أنا فعلا صورة بلا روح ونون هناك وأنا هنا.

مقسومة أنا بين ضدين. فقداني لها والوحشة التي أشعرها دونها من ناحية. وفخري وفرحتي بها خصوصا عندما رأيتهما في الأجازة- من ناحية أخرى.

كانت قد تبدّلت تماما. تغير كل شئ فيها، بالرغم من أنها هي نفسها. عيناها البنية احتفظتا ببريقهما ولكن لمعانهما ازداد حتى فاض من بين رموشها الطويلة. وجهها استنار كبدر

التمام. هالة من الراحة والسلام تحيط بها فتجعلها خفيفة كالريشة.

كنت ممسكة طوال الوقت بيدها خشية أن تطير إن انشغلت عنها. مرحها تضاعف وضحكها اتسعت لتشمل كل من يحيط بها فتنتقل إليه عدوى سعادتها. اه صغيرتي نجحت في تحقيق الصلح. هي ونفسها رضيता عن بعضهما أخيرا.

لذا كانت تستحق المفاجأة التي حضرتها من أجل عيد ميلادها. أكدت علي بأنها ستأتي لتحفل بعيدها معي. ستترك الخواجات وتأتيني. لم تنس إذن، فلتمت بغیظك يا عبد الحميد. لم يسرقوها مني، الحمد لله.

وفعلا حافظت على وعدها ومن يومها أمازحها
- إنتي أرجل من رجالة كثير يا نون عشان كده مرتبطيش لحد دلوقتي.

هزرت رأسي في إستمتاع للذكرى. وحين أرسلت لي صورة لقلادة مكتوب عليها بالإنجليزية تخبرني أنها هويتي لحين إصدار أوراق لي، قمت بطباعة الصورة ووضعها في إطار على الكومودينوبجوار السرير. وكل ليلة أحتضنها قبل أن أنام. بنت في الثانية عشرة تقريبا اقتربت مني وسألت

- لوسمحتي يا طنط هو عدد ٥١ من رجل المستحيل موجود؟
قهقهت ضاحكة. رجل المستحيل مرة أخرى؟ يبدو أن أدهم مصمم على كسب المزيد من قلوب الفتيات. لا تخف أبدا على بنت كان أدهم صبري أول حب لها. قمت أساعدها بحماسة في العثور على العدد الذي تبحث عنه. وعندما مشت أمسكت أنا الأخرى بعدد وبدأت في قرائته.

حلّت السابعة وأتاني عم بلال

- هاه مش يلا؟

سأل وهو ينظر لما في يدي بفضول فضحكت

- أعمل ايه؟ حنّيت لسي أدهم ثاني.

ربت على كتفي في حنان

- عقبال ماتقابليه في الحقيقة يا منصوره.

رفعت حاجبي فتابع

- وليه لا؟ طول ما لسه فيكي نفس يبقى فيه أمل.

احمر خدائي وتلعثمت. تشاغل بكتاب أمسكه بين يديه وقال

كي يقيني الحرج

- يلا عشان إنتي تعبتي النهاردة.

أومأت موافقة وبسرعة قمت.

ما هذا الذي حدث منذ لحظات؟ أنا خجلت! بإمكانني أن أشعر

بالخجل حين يلوح أحدهم أمامي بسيرة فارس الأحلام؟ يا الله

ما الذي يحدث لي؟ هززت رأسي لأستعيد صلابتي.

للأسف مجتمعنا يسقينا بالملعقة أهمية الرجل وظله الذي يغني

عن ظل الحائط. فنتحول من كائنات تنتج إلى كائنات تنتظر.

لم يعد في وسعي فعل أي شيء، وحتى إن فعلت كل شيء

فهوناقص إلى حين ظهور ظل الرجل. وحتى يحدث ذلك فأنا

أنتظر وأنتظر. ومع طول انتظاري يبدأ شعوري بالنقص يتفاقم

ويتضخم ليلتهم كل آمالي وطموحاتي.

وبعدما كنت أنتظره بشوق ولهفة بتّ أترقبه بخوف وكراهية.

نعم فأنا كرهت من كان السبب في شعوري الدائم بالنقصان.

أحدث المجتمع المريض خللاً في بنيتنا النفسية. نجحت المعايير الانفصالية والتقاليد الميتة في جعلنا نكره الشيء الوحيد الذي أحبيناه من قبل لقياه حتى. كرهنا الرجل وشعرنا بأنه دليل على النقص الذي لا يترك المجتمع فرصة إلا وذكرنا به في شماتة. وتضخم ظله حتى غطى بسواده على كل نجاحاتنا وطموحاتنا. قالت لي نجوى بأننا ينطبق علينا وصف المستضعفين في الأرض، وبأن الحل الوحيد للنجاة من الظلم الذي لا طاقة لنا به هو الهرب بعيداً للحفاظ على ما تبقى من نفوسنا المهذرة. إن حدث وقررتي الهرب فلا تهربي للصين. أخبرتني نون أن إحدى صديقاتها الصينيات أسرت لها بأن الصين يقام بها سوق يذهب إليه الآباء والأمهات للوقوف وعرض ميزات بناتهم على لائحة كبيرة بحثاً عن الخطاب. أخبرتها أيضاً أن كبرى المطاعم في الصين يقدمون لحم الأجنة في قائماتهم. وكلما كان الجنين صغير العمر كلما علا ثمنه. يبيعع! أنا أصلاً لست مرتاحة لأي شيء صنع في الصين.

- وهي مصر والصين ايه مش واحد؟ على الأقل هناك يأكلون الكلاب ويعرفون أنها كلابا. هووف فقدت تركيزي. ما الذي ذكرني بالكلاب؟! اه النقص. وللأسف ساعد أنصاف الرجال على تأكيد هذا النقص، فبدلاً من أن يؤدي دوره التكميلي الذي انتظرته طويلاً، تتصل منه وهرب. فشل بأن يضمني بين ضلوعه مثلاً فعل أبوه آدم. أصبح هو الآخر يعايرني بأنه أنقذني من المجتمع والناس. وطالبني ببجاجة غير مسبوقة بضرورة الشعور بالعرفان

وتقديم القرابين للغازي الأبيض الذي حرر الإماء من المجتمع الشرير.

وهل يكون الإنقاذ إنقاذاً إن النُّقْط بغلظة من (الوَحْش) لأقع فريسة بين أظفار الوَحْش؟ أنا كُفرتُ بالرجل ولم أعد أوْمن بوجوده. وبناء عليه فقد قررت قراراً لا رجعة فيه ،وحفاظاً على كرامتي فقد كبحت إحتياجي للرجل وخجلت من رغبتني في التقائه. وداعاً أدهم!

لا رغبة لي في النوم لذا سأمشي حتى يهدني التعب. قادتني قدماي هناك. حيث أخذتها أنا ليلة عيد ميلادها. كانت كالفراشة في حركتها وضحكتها وكل شئ بها كان جميلاً.

أنهينا السهرة مع حسام وقطعنا التورته. وخرجنا لأكل جاتوه مع من بالقهوة. بعدها أكلنا مزيداً من الجاتوه مع مها. وأخيراً حبسنا بالشيشة والشاي مع صابحة والرجال.

- عملنا دماغ من كثر السكر.

قالت بمرح وضحكت ثم تنأبت

- لا يا ماما متفكريش في النوم. لسه فيه أهم حاجة.

- يا منصوره ارحميني هوأنا ههرب؟

قاطعتها بنفاذ صبر

- ماليش فيه. بقولك أهم حاجة.

تنهدت ورفعت يدها مستسلمة

- حاجة ايه حضرتك؟

غمزت

- هدية عيد ميلادك يا نونتي.

فصفقت وتقاشرت حولي بمرح. قلت متخابثة
- ولا أقولك؟ خليها بعدين بقي شكلك تعبان.
- ايه! مين قال؟ يلا يلا!
دفعنتي أمامها بقوة فضحكت وأخذتها تحت ذراعي ومشينا.

اتجهنا للمشاية السفلية وتمشينا حتى وصلنا للبارون فصعدنا
الشارع المتجه للأعلى وسحبنا يميننا. سألت بفضل
- إحنا رايعين فين؟
- هتعرفي دلوقتي.
قلت وأنا أرقب الطريق. اقتربت الساعة من التاسعة مساء.
الجو برد وينذر بسقوط أمطار لذا قلّ عدد المارة في تلك البقعة.
الجامعة اسكت هس. رائع!
- انتي بتتلفتي كده ليه؟ هو إحنا هنقتحم بيت ولا ايه؟
التفت لها بدهشة
- عرفتني مينين؟
ضحكت

- لا بجد قولي بقي.
- ما أنا بتكلم بجد. بس إحنا مش هنقتحم بيت.
فغرت فاها فأشرت للمبنى على يميني
- إحنا هنقتحم القصر ده.
رفعت رأسها تنظر حيث أشرت ولم تنطق.

قصر الشناوي تحفة معمارية تقع في أهم شوارع المنصورة.
أجمل قصر بتصميم وإيادي مهندسين إيطاليين خارج إيطاليا
وذلك بشهادة خبراء الهندسة وشهادة موسوليني نفسه.

تم بناء القصر عام ١٩٢٨. كان تحفة ووجهة لكبار الزوار من ساسة وأمراء ومشاهير الفن. وعلى امتداد طابقين، وقف وحده في عشرينات القرن الماضي يطل على نيل المنصورة. أما الآن ففي الشارع المقابل من واجهته امتدت جامعة المنصورة وزحفت البيوت والمحال التجارية حتى أحاطت به من كل جانب. تم التخلص من ملاعب التنس التي امتدت حتى شط النيل، ولولا حديقة صغيرة أبقوا عليها وأحاطوها بسور، كان ليتم التهامه بالكامل.

محمد بك الشناوي رجل الأعمال وأحد زعماء الحزب السعودي إبان الاحتلال. كان قد تقلّد وساما تقديرا من الدولة واعترافا بكونه عضوبارز في مجلس النواب والشيوخ. قام ببناء القصر ليكون وجهة ومركزا لإجتماعات الحزب.

نزل به الملك فاروق. وأيضا سعد زغول ومصطفى النحاس وعقدت به كثير من إجتماعاتهم، لذا فقد أطلق عليه أهل المنصورة بيت الأمة.

شدتها من يدها واتجهنا جانبا إلى بقعة بعينها من السور كان الباز قد أخبرني بها. دققت النظر حتى وجدتھا - هي دي الحطة الي هندخل منها.

أشرت نحو فراغا بين عمدان السور الحديدية ووضعت يدي على رأسها حتى عبرت القضبان. عبرت ورائها ووقفنا نتلفت على الشارع من خلفنا. لم يلاحظنا أحد.

نافورة كبيرة في المنتصف لكنها لا تعمل. تخيلتها وهي تنثر رذاذها في إحدى الأمسيات العطرة والمصحوبة بنغمات عود عبد الوهاب. صعدنا السلم الرخامي وأشرت للحجرة على اليسار، حجرة الضيوف.

- عارفة مين كان بينزل هنا؟
سألته فهزت رأسها نافية.
- عبد الوهاب والنحاس باشا.
أجبتها فزفرت في انبهار.

أرضية التراس التي نخطو عليها كسيت برخام من نفس الرخام
الموجود بقصر المنتزه.
- أما دي بقى تبقى أوضة المكتب بتاعة الشناوي بيه.
قلت وأنا أشير للحجرة على اليمين. اتجهت للباب وحاولت
فتحه، بالتأكد لا يفتح.
- هحاول نفتحه من جوة.
- ايه؟ ازاي هوا هنا هندخل؟!
ضحكت وجذبتها ورائي.

الباب الرئيسي مغلق كما أخبرني الباز. اتجهنا للباب الخلفي.
دفعنا الباب بهدوء فانفتح وقبل أن نخطو للداخل توقفت
وأخرجت الموبايل الذي اشتريته لي وأنرت كشافه. أمسكت
بيدها المرتعشة ودخلنا.
ساد الظلام فرفعت الكشاف أمامنا يكشف لنا أين نخطو.
صعدنا درجا صغيرا وواجهنا بابا آخر دفعته دون أي مجهود
فانفتح.
دخلنا بهو القصر الواسع ذو التصميم الخلاب.
بهو سداسي الأضلاع، وكل ضلع فيه يحفل بزخارف وتحف
رائعة. لازال يحتفظ بأثاثه القديم الفاخر.

مشت نجوى بيدها الحرة على الأعمدة المرمرية الخالصة وإيطالية المنشأ التي انتشرت في أرجائه. وجهت الكشاف للجدران التي استندت إليها لوحات زيتية جميلة جدا وكثيرا من التحف الرخامية لتماثيل تحمل عبق الزمن القديم.

أما السقف فقد تزيّنت حوافه بزخارف صممت وصنعت بأيدي إيطالية محترفة وجمعت في أصالتها مزيجا رائعا بين الذوق العربي والأوروبي في العمارة والبناء.

ثريا ضخمة وهائلة الحجم بها مئات من القناديل الصغيرة تتدلى في بهاء وتحتل جزئا كبيرا من السقف.

- شغل نقاشة عالي قوي.

نكزتها في كتفها

- عقبال ما نعملك شفتك يا أختي.

لم ترد فقد كانت مشغولة بتفقد المكان وقد بهرها تماما.

-عبد الوهاب وسومة كانوا ييلعلعوا هنا.

هزت رأسها في انفعال فقلت أستفزها على النطق

- أنا الي هغنيلك في فرحك بقي؟

هزت كتفها وهي تقلب عينها فيما حولها وأيضا دون أن تنطق.

دخلنا الصالون الذي لا يقل روعة عن البهو. أعمدة رخامية وحواف مذهبة

- وكله إيطالي تقفيل بلده.

لوحة زيتية كبيرة تصدرت الجدار لرجل ممتلئ بعض الشيء يرتدي بدلة تبدو عليها الأبهة. يضع يده بجيبه في رفعة وحول

كتفه تعلق وسام أخضر ذوحواف حمراء. يعلو الوسام هلال
ضم ثلاث نجومات.

رمز علم الدولة وقتها.

- ده أكيد صاحب المحل!

أشرت أنبهها للوحة. فراقبتها لحظات ثم رفعت رأسها للسقف
وشهقت في إنفعال. ثبت كشافي حيث تنظر وابتسمت

- عارفة إن لوحة السقف دي هتعجبك.

كانت لوحة مرسومة على غرار لوحة مايكل أنجلوفي كنيسة
سيستينا. ثلاث فتيات ملائكيات يطفن في السقف وعلى وجههن
ابتسامات حالمة. غمرت

- البنوتة الي هناك دي شبهك يا نون.

فشدت على قبضتي

- والي هناك دي شبهك انتي.

اتجهنا جانبا لحجرة الطعام الكبرى. مائدة كبيرة تراصت
الكراسي حولها. وأعمدة رخامية بيضاء تلمع تحت وهج
الكشاف الصغير. أشارت للصالون

- هناك قعدوا.

وتلفتت بعينها تلتهم الغرفة حولها

- حاسة إنني لسه شامة ريحة الأكل.

همست بمرح وهي تتحسس بطنها. فضحكنا بخفوت وخرجنا.

أشارت للسلم ترغب بالصعود فتقمصت دور المرشد السياحي

- وفي مركز البهونرى سلّما من خشب الأبنوس الخالص الذي لم يُدق به مسمار واحد وإنما أتى خصيصا من إيطاليا في قطعة واحدة وتم تركيبه هنا.

تتنحنت

- عبدالحميد الشاعر قالي إن أبوه كان واحد من العمال الي ركبوا سلالم القصر ده يا نون.

التفتت لي باندهار فسألتها مغيظة

- هوانتي اتخرستي يا بنتى؟

همست

- يلا نكمل.

ابتسمت لها بحنان وشدت على يدها نصعد للطابق الثاني.

باب مقوس عند نهاية السلم فتحته نجوى وخطينا للداخل نحو غرفة المعيشة. تزينت جدرانها باللوحات الزيتية الجميلة. هذه لوحة لطاووس يرعى في مروج خضراء جميلة. وتلك لأولاد وبنات يجرون وراء الفراشات.

- بصي دى!

جذبتني نجوى من يدي مشيرة إلى كسوة الكعبة الشريفة التي تصدّرت الجدار المقابل فاتجها نحوها مشدوهتين.

- ياني يامّة!

همست وأنا أفكر بستي وجدى. ترى هل تمكنا من الوصول والطواف بالكعبة؟ واثقة بأن نون أيضا كانت تفكر بأبيها وأمها مددت أصابعي أتحنس الكسوة برفق وتمتمت بدعوات رجوت فيها الله أن يريح قلبي وقلب من أحب. واسترقت السمع لنجوى فوجدت شفّتها تتحركان هي الأخرى بدعاء هامس.

دخلنا إلى صالون آخر صغير وحجرة طعام أصغر من التي
بالأسفل

- دول مخصوصين بأصحاب القصر، الأسرة بتاعته يعني.
هزت رأسها في تفهم. سمعنا جلبة بالأسفل فانتفضت يد نجوى
القابعة في يدي

- ده من الشارع؟

قطبت حاجبي عندما تكررت الجلبة

- لا دي من هنا.

شهقت نون وكتمت فمها بيدها.

- القصر شكله مسكون!

قلت بخوف فتشبثت بعنقي

- يادي النيلة! هنعمل ايه؟

افتعلت ضحكة

- يابنتي صدقتي؟ ده أنا بهزر.

ثم زفرت بئأس

- دي تلاقيها الشرطة.

- يا صلاة النبي!

هتفت فكتمت فمها بيدي وهمست

- إنتي اتجننتي؟ علي صوتك كمان شوية خليه يقبضوا علينا

والنبي!

هزت رأسها ورفعت يدها بإستسلام فأفلتتها.

- هنعمل ايه دلوقتي طيب؟

سألت بصوت مرتعش. هزرت كتفي

- عادي هننزل. لوبوليس هيتقبض علينا."

وكتمت ضحكة إلا أنها لم تلحظ

- يادي النيلة ! يا منصوره هتسجنيني قبل ما سافر؟ لا وسفر ايه بقى ما بح كده خلاص.
- أخفيت فمي بيدي أداري ابتسامتي التي تأبى ألا تطلّ منه
- إن شاء الله مبيقوش بوليس.
- ولوعفاريت يبقى عادي يعنى؟
- سألتني بفزع فاصطنعت اللامبالاة
- هتشوفهم عايزين ايه ونحل الموضوع.
- نكزتني في كتفي
- ايه البرود ده؟
- طب خلاص خلاص، يلا!

أمسكت يدها ونزلنا السلم في بطة. تتلفت حولها في كل ثانية.
الباب الذي دخلنا منه على بعد خطوات فاتجهت نحوه ولكني
جذبتها
- استتي أنا افكرت حاجة.
نظرت مستفهمة
- أنا وعدت عبدالحميد إني هدور له على حاجة في أوضة
المكتب.
- نعم يا اختي وده وقته وعد ايه؟ بس و..
- مين هناك؟!
صرخت نجوى حين سمعت الهاتف ، وحينها لم أعد أقدر
على كتم ضحكاتي فتركته تصدح في القصر الخالي.
اقترب رجل ضخم الجثة يفتل شاربه في تكاسل وبالرغم من
ضحكاتي فلم تفلتني نجوى من قبضتها الفزعة حتى قال
الضخم

- ايه رأيك يا ست منصوره عجبتيك؟
- نقلت نجوى نظرها بيني وبين الضخم
- مية مية يا سباعي!
- عجبك القصر يا ميس؟ اه صح كل سنة وانتي طيبة. هابي نيوبيرس!
- صدرت همهمات غير مفهومة من نجوى
- اه هي اتبسّطت قوي وبتشكر بالإنجليزي يا سباعي.
- فتحت فمها بذهول فضحكت لمرآها وتابعت
- الميس بس عايزة تشوف أوضة المكتب.
- قتل سباعي شاربه
- بس دي مقفولة.
- غمزت
- ومين معاه المفتاح؟
- ضحك بتناحة
- أنا اه.
- هنشوف بس المكتب ونمشي على طول والميس هتدعيلك بالإنجليزي.
- لا أنا مش عايز دعوة هنا.
- أمال فين؟
- رفع يده وفردها وضم شفثيه مقلدا صوت الطائرة
- هناك في بلاد برة.
- اه اه طبعا يا سباعي أول ما الميس تسافر هتبعثلك.
- هرشت رأسي وغمزت
- بس هو احتمال الفيزا تتأخر شوية على بال ما يتحروا عن
- شنبك، ما تحلقه يا سباعي؟

ضحكت باستمتاع والتفت لنجوى لأجد أمارات الفهم والغضب واضحة على محياها فأشرت ناحيته - اشكري سباعي بالإنجليزي يا ميس. لم ترد لكن وقفة سباعي المستميتة ككلب مخلص أرغمتها - ثأنك يو! يا سباعي. هز رأسه بابتسامة واسعة تضخم لها شاربه أكثر.

دخلنا الغرفة وأقفلت الباب. المكتب أمامي والكتب كما وصفها عبدالحميد تمام. كرسي جلد أسود كبير وراء المكتب وموضوع عليه الوسام الذي رأيناه في الوحة الزيتية ولكنه بهت وفقد بريقه حزنا على صاحبه لاشك.

نموت ونوضع في التراب وتهترئ أجسادنا ونتحلل فنتبخر تماما إلا من كومة عظام ويبقى سريرنا وكرسينا وفرشاة أسناننا. كراسة العربي من كي جي توءالمقلمة التي خبأتها في كرتونة تحت السرير. قميصك الذي تلبسه في المناسبات. نوتة تليفونات احتفظت فيها بأرقام العيال في ابتدائي. أملا في أن تكلمهم يوما ولكن يومك أتى وسبقك وقطع الطريق على باقي أمنياتك فتركنتها مكومة ومتربة تحت السرير.

بأصابع مرتعشة تفحصت الكتب على المكتب. ما اسم الكتاب؟ هووف نسيت. يا للخيبة! سأفحصها كلها إذن. هناك كتاب بلا عنوان ونسخة من مصحف قديم. بعض مخطوطات قديمة لأفكار الحزب.

نوتة أخرى بالاجتماعات القادمة. الاثنين القادم يستقبل القصرالمطرب الشاب عبد الحليم في سهرة كبيرة إحتفالا بعيد الربيع.

قلبت في النوتة حتى وقعت من بين صفحاتها. صرخت
 بحماس فأقبلت نحوي نجوى. اه نجوى! لقد نسيتها تماما.
 فضضت الورقة برفق كيلا تتقطع وأطلت علي كلمات شعرية
 تصرخ بصوت عبدالحميد. إذن لم يكن يهذي. ضحكت بجنون
 وأخذت الورقة. ثنيتها بتأني لأضعها في جيبى
 - بتعملي ايه يا مجنونة؟
 سألتني نجوى فقلت بجدية
 - دي بتاعة عبدالحميد وهو أحق واحد بيها.
 هزت كتفها في إستسلام
 - تمام جدا!
 ثم أخذت نفسا عميقا وانهارت علي بالضربات فجريت
 - يابنتي اعقلي الراجل هيقول علينا ايه؟
 لا فائدة تجري ورائي كالمجنونة
 - أنا تعملي على فيلم وتقوليلي عفاريت وبوليس؟ وفي الآخر
 يطلع سباعي؟ وبعدين عرفتي كل ده امتى وظبطي الدنيا دى
 ازاي؟
 انهالت أسألتها دون أن تتوقف عن الجري حتى حاصرتني في
 الركن فوقفت وأمسكت بفخذي متألمة ، ترقبني بشك
 - بتمثلي طبعا؟
 لم أرد فاندفعت نحوي بخوف
 - منصوره بجد..
 قاطعتها
 - بمثل أيوة طبعا.
 رفعت يدها تضربني فأمسكت بها
 - إنتي الكبيرة بقى خلاص.

هدأت أنفاسها فقلت
- كل سنة وانتى ونفسك طيبين يا نون.
وضممتها في عناق طويل.

أخذت أطوف حول القصر أتذكر تلك الليلة الجميلة. أفنقد
صغيرتي جدا.
أستطيع الدخول ولكن ماذا أفعل بالداخل بدونها؟
وقفت أرقب القصر الشامخ حتى أتتني صوت رنة. يا للصدفة
إنها صغيرتي
- حزري فزري أنا فين؟

أخبرتها فضحكت وقد تذكرت هي الأخرى تلك الليلة المجنونة.
سألنتي عن أخباري وأخبار المنصورة وأهلها. تحدثنا قليلا ثم
تحنحت. تريد إخباري بأمر ما لكنها مترددة
- نتيجة المنحة الجديدة باننت؟
ضحكت

- دايمافقسانى كده؟ الحمدلله يا ميم اتقبلت في جامعة كويسة
قوي في لندن.

وضعت يدي على قلبي

- الحمدلله يا نجوى!

تحنحت مرة أخرى. هناك أمر آخر إذن فسألت

- أخبار الواد بتاع البلح ايه؟

ضحكت بانفعال

- إنتي ازاي يابنتي ؟ طيب اديني فرصة أقولك.

ضحكت بدوري وضربت على قلبي برفق

- يبقى هو.

همست

- اه هو.

- اديهوني.

- حاضر.
- ولكنها استبقت السماعة قليلا ثم نادتنى
- منصوره!
- نعم يا نجوى!
- أنا بتصل أصلا عشان أقولك كل سنة وانتي طيبة، النهاردة عيد الأم.
- زادت دقات قلبي في انفعال ،وبصوت مبحوح رددت التهئة.
- فتابعت هي بحب
- ربنا ما يحرمينش منك.
- ضربت قلبي برفق كي أسطر على دقاته
- ولا منك يا نونتي.
- ثم أتاني صوته
- ازيك يا منصوره!.
- هادئ ومرح. من الأصوات التي تألفها أذنك فورا فيقع قلبك
- أسيرا للحنها ونبرتها.
- بتحبها؟
- سألته مباشرة فتلعثم
- اه ولا لا؟
- اه
- وسكت لحظات يسيطر على أنفاسه، ثم أكد
- قوي.
- فتتهدت وأخذنا نتكلم معا بهدوء. تحدثنا لفترة وحين هممت
- بإنهاء المكالمة تذكرت أمرا
- طبعا مش محتاجة أقولك إنك لوجرحتها أو أذيتها أو فكرت
- مجرد تفكير إنك تعمل ده أوده أنا هعمل فيك ايه؟

سمعت صوت أنفاسه وقد انقطعت في ترقب فأكملت أنا بهدوء
- هطّلع...
قطعت كلامي وغمزت محذرة
- سد ودانك الأول.

بُحَيْرَة العُرُوب

أخذت قزمة من التفاحة في يدي وأكملت كتابتي المحمومة على جهاز الكمبيوتر بالمكتبة. مكتبة تومبسون، وهي المكتبة الرئيسية بالجامعة.

وتعتبر من أعرق المكتبات وأقدمها بالولايات المتحدة الأمريكية كلها. ويرجع تميزها إلى عدة عوامل منها التصميم القوطي الفريد الذي يأخذك في رحلة إلى عبق الماضي ما أن تخطوا بقدملك إلى المكان.

وأیضا ترجع قوة المكتبة في إمتلاكها ما يقرب من مليون كتاب ومخطوطة. وتعتبر المكتبة حصنا ضخما لكثير من المطبوعات للكتب النادرة والمخطوطات القديمة غير الموجودة بأي مكتبة أخرى، كما تحوي نماذج لعديد من الجرائد والمذكرات والحقائق المأرشفة الأصلية.

وعراقتها هذه لا تعني أبدا ضعفها في المجال التكنولوجي، فعلى النقيض تماما المكتبة الرقمية والموقع الإلكتروني الهائل يربط كل هذا عبر نظام إتصالات قوي ومتطور، لا يستهان به.

تمتد المكتبة لثلاثة طوابق بالإضافة إلى القبو الذي يعج بالكتب والمخطوطات المختلفة. تصميم المكتبة من الداخل لا يقل أبهة عن خارجها. كل دور من أدوارها الثلاثة به طاولات عديدة للإطلاع ومقاعد فردية لمن يفضل العمل وحده. بالإضافة

لإمتلاكها أعدادا كبيرة من الطابعات الورقية التي يحتاجها الطلاب ويستخدمونها لطبع الأوراق أو تصوير الكتب. القبويضم أجهزة الكمبيوتر التي يتصل كلا منها بقاعدة بيانات لكل ورقة ومخطوطة صغيرة بالمكتبة. أما الطابق الأول فيضم حجرات فردية أكثر خصوصية للدراسة. نسميها بالشرنقة وعادة لا تفتح إلا لطلاب السنة النهائية.

ما يميزها حقا أن تصميمها يضمن لك الهدوء والراحة التامة. فهي عبارة عن أريكة مستديرة كبيرة، ترتفع لتقفل عليك إلا من جهة واحدة تطل على مشجر الجامعة.

وإن لم يكن كل هذا كافيا لحثك على الإستذكار فالمنظر الطبيعي أمامك سيفعل. فإلى جانب إمتلاك الجامعة لأكثر من مائتي نوع من الأشجار النادرة، فقد دخلت فاسار موسوعة جينيس لإمتلاكها شجرة بعينها يمتد فرعها أمام مكتبتها لمسافة ثلاثين مترا تقريبا.

شجرة الحياة أو السيكامور الأمريكية، وهي شجرة هجين، تفخر الجامعة بضم واحدة منها والتي تحمل بين فروعها أطول فرع في العالم تم تسجيله في جينيس.

معي ربع ساعة باقية. أنهيت كتابة آخر سطر من مشروع التخرج. راجعته وقمت بضغط زر الإرسال. اه انتهيت. أخذت أرقب شجرة السيكامور الممتدة أمامي. فرعها يمتد طويلا متحديا ومخرجا لسانه لعوائق عديدة. يعاند الجاذبية ويبقى معلقا دون يأس. يعاند الرياح في الشتاء، تسقط أوراقه ربما، فيعود وعلى ظهره براعم جديدة مزهرة في الربيع. ولكن لا يقع.

تنهكنا شتاءات كثيرة ، تسقط أوراقنا وتهز جذعنا بعنف حتى تكاد أن تقطع روحنا. بعضنا يستسلم حتى تذروه الرياح فلا يبقى له أثر وبعضنا يبقى. وأما أنا فباقية.

لملمت حاجياتي وأخذت المصعد للقبو. سأنزل إلى الحجرة الصامتة. بالضبط مثلما فهمت تماما، مسموح فيها بأي شيء إلا الكلام.

تقف صامتا ومتحلقا في دائرة مع آخرين أتوا لنفس السبب الذي أتيت لأجله: التخلص من أي مما يوترك أو يسبب ضغطا عليك. والتأكد من أنك لست وحيدا. أيا كان ما يورقك فأنت لست وحدك.

تقف لأي وقت تريده وبعدها تخرج. لا أحد هناك. أغمضت عيني ووقفت فاردة ذراعي أتنفس بتؤدة وعمق. لست أدري لكم وقفت ولكني شعرت بيد تمسك بيدي ففتحت عيني وابتسمت لصاحبيتها التي بادلتني الابتسام. وقفت معي للحظات وبعدها خرجت. بقيت واقفة في مكاني لازلت. أنا أتنفس.

خرجت وقد شعرت بالجوع فجأة. سأخرج على أستاذي أولا. عندي مقابلة شخصية للمناقشة وتلقي ملاحظاته على أوراقتي. كل طالب من حقه ربع إلى نصف ساعة مع أستاذه. وإن احتجت أستاذك لأي موضوع آخر في أي وقت فإمكانك مراسلته وحجز موعدا والذهاب في وقت ساعاته المكتبية. حدد لي موعدا في الرابعة والربع وقبلت. الساعة الرابعة الآن موعد زميلي الذي يسبقني قارب على الإنتهاء. وصلت إلى

فصل ساندروز وصعدت للطابق الثالث حيث مكتبه. تسربت
همهمات مع الزميل الذي يناقشه. انتظرت خارجا.

أنتني رنة رسالة

- الغداء الأول بعد الإمتحانات؟

سأل كازو

- في الخامسة؟

- هووف وأخيرا انتهينا.

- لم نتجمع منذ بدأت الامتحانات يا مطايرد دائما ما نقص منا

واحد أو اثنين لتضارب المواعيد.

كتبت ناتاليا وأرسلت وجها عابسا

- اه منذ ليلة الصرخة!.

ليلة الصرخة من التقاليد المجنونة التي تزخر بها فاسار
والخاصة بفترة الامتحانات. في الجمعة الأخيرة التي تسبق
شهر الإمتحانات النهائية يتجمع الطلاب بعد العشاء ويبدأون
في التوافد أمام القلعة لنصرخ صرخة رجل واحد. صرخة
نتخلص فيها من التوتر والضغط وكل ما يؤرقنا. صرخة
تمكننا من اجتياز فترة الصمت الإمتحاني بأمان. إجراء وقائي
ممتع جدا في الحقيقة.

- سأنهي المقابلة وسنتجه إلى البحيرة أنا وآدم ، بعدها نلحق
بكم.

وجه آخر باسم، إرسال.

الرابعة والرابع، خرج زميلي وأقفل الباب ورائه. تنحنحت
ودققت الباب

- تفضلي يا نون!
جلست على المقعد المقابل لمكتبه. حجرة صغيرة ولكن
مريحة. تمتلئ بالكتب والأوراق والمخطوطات ولكن كل في
مكانه. لا فوضى ولا هرجلة.
استرخيت وسط رائحة الكتب. ابتسم لي
- إذن النقاش الأخير هاه؟ ما رأيك؟
هزرت رأسي
أمسك بأوراقى وحدثني عن بعض ملاحظاته المهمة. كما
واستفسر مني عن بعض الملحوظات. أكملنا النقاش لربع
ساعة أخرى وانتهى وقت مقابلتي فشكرته واتجهت نحو الباب
أفتحه
- هنفصل نتكلم لما أسافر صبح؟
رد بابتسامته المشجعة مؤكدا
- ومن غيري سيقراً قصصك التي تكتبينها في درهام إذن؟
بادلته الابتسام وفتحت الباب وخرجت.

أه ..

وأخيراً...

تقافزت على السلم. وجريت كي الحق بآدم. وحشني. وحشوني
كلهم جدا وأنا للصراحة جعانة جدا.

لماذا يشعرك النجاح دائماً بالجوع؟ ليس جوعاً للأكل فحسب
وإنما جوع لمزيد ومزيد من النجاح. أكلة دسمة لا تزيد من
وزنك وإنما من طموحاتك. الأكلة الوحيدة التي كلما أكلت منها
جعت.

ينتظرني آدم أمام البناية...

جريت نحوه في فرح ومشينا للبحيرة، البحيرة قد خلعت ثوبها
الأبيض الثلجي وارتدت آخر ربيعها مزهراً ومشجراً أظهر
تضاريسها وركع أمام روعة حرمها في تقديس.

جلسنا على المقعد الخشبي...

تناثر الطلاب هنا وهناك...

يفترشون المروج الخضراء ويمددون أجسادهم تحت الشمس
في تكاسل...

تنهدت فرفع يدي نحو صدره وضمها في عناق طويل

- وحشتيني.

حاولت سحب كفتا يدي فاستبقاهما

- متهريش.

أشحت بعيني فضم حاجبيه

- قلقة له؟

نكست رأسي ورغما عني تقوست شفطاي إستعداداً للبكاء
فعضضتهما في غضب. اقترب مني وضم كلنا راحتي بيد ،
وبالأخرى رفع رأسي حتى واجهته

- طيب ممكن أفهم؟
ومن بين أنفاسي المرتعشة قلت
- البرنامج الجديد.. سنة.. بعيد.. إحنا.. أنت.. أنا.. أنا..
وأخيرا غلبتني دموعي لكنني فوجئت به يضحك فدققت صدره
بغضب ودفعته أحاول تخليص يدي فما كان منه إلا أن شدد
قبضته عليها فاستكانت له مرغمة. ربت على رأسي كمن
يصالح ولدا صغيرا
- طيب خلاص حقك علي.
استمررت في نهضاتي فأردف
- خلاص بقي أحسن هبوسك والله!
نجح تهديده المشاغب في تهدأتي ووجدت نفسي أضحك
بخفوت، فغمز هو وأردف..
- أقل من ثلاث ساعات!
نظرت له مستفهمة فأوضح..
- بيني وبينك.
تنهد وبأصابعه الطويلة مسح دمعاتي
- ثم فكرك يعني ثلاث ساعت أو ثلاثين تقدر تبعدني عنك؟
حتى لو كنتي رجعتي مصر كنت هروح وراكي.

قبض على يدي ومشينا جنباً إلى جنب، وعلى المرج الأخضر
مررنا بمجموعة من الطلاب الذين يتقافزون على مجموعة من
المكانس والمقشّات في مطاردة محمومة للحصول على كرة
من الإستيل...

أخذت أشرح لآدم في حماس وأخلق بيدي إشارات وأشكال.
من إذن سيضم بين فرقه الرياضية فريقا خاصا برياضة
الكويديتش، أشهر رياضة في تاريخ السحر كله؟
من غير فاسار الحبيبة؟ ثم وهل مدرسة هوجوارتس للسحر
أفضل منا في شيء؟

بالطبع لا... الفاساريون أهل السحر وفقاعة فاسار ملاذنا
السحري.

الشباب فعلا يطيطرون ليرموا بضغوط مقالاتهم التي يجب
تسليمها قبل الميعاد النهائي.. ويتناحرون مزحزين التوتر من
فوق أكتافهم.

هذه البنت طارت فعلا للحاق بالكرة الصغيرة. هل تقترب مني
أم...

دفعني آدم بعيدا ولكن طالنتي الكرة فصرخ
- نجوى!.

- يا الله هل ضربتك الكرة؟

- هل فقدت الوعي؟

سمعت أسئلتهم الملتاعة وقد جروا نحوي. حاولت القيام
فترنحت. برفق أقعدني آدم وأراحني على صدره
- فيكي حاجة بتوجعك؟

أمسكت برأسي مترنحة أنا من ضربة الكرة أم من ضربات
قلبه الفزع؟ ضرباته سريعة ملتاعة وعيونه السود يتقلب فيها
موج قلق.

قربني منه وطبطب بيده حيث أشرت فأغمضت عيني
مستسلمة لتربيته..

- أنا كويسة!

همست...

- هل تستطيعين القيام؟
سأل واحد على مقشة فضحكت، سند آدم ظهري بيد وبيده
الأخرى أقامني بروية دون أن يفلت يدي وسألني بهمس:
- تمام؟

هزرت رأسي له مطمئنة، أعادوا علي ألف سؤال ..
- بتهزروا يا جدعان؟ ده أنا ضحكت عليكم وكسبت.
قلتها وجريت من وسطهم بالكرة الإستيل الصغيرة التي
يتقاتلون من أجلها، وتعالى الصرخات المرحية، لا اعرف أيا
منهم ولكن وجوههم مألوفة. كذلك لا أعرف قواعد الكويديتش
ولكن كل ما أعرفه هو أنني أطيّر.
أنا أحلق عاليا وهم يحاولون اللحاق بي....

مياه البحيرة انفكت من جمودها فانسابت حرة تعكس أشعات الشمس التي تستعد للنوم. أسراب البط والإوز يسكرون وورائهم أفرأخهم.لست متأكدة مما إذا كانوا يقومون فرحانيين من النوم لكني أراهم يعومون ويبلبطون أمامي. امممم أعتقد أنهم فرحانيين.

- عارف ايه الحاجة الي كل ما ناخذ منها تكبر؟

حك رأسه

- ثواني! أنا عارف الفوزرة دي.

ضحكت فتابع

- ثواني بجد، اه افكرت الحفرة صح؟

- تؤ

أجبتة بمكر فمرّ بأصابعه بين خصلات شعره مفكرا.

- مش قلناك تبطل الحركة دى؟

سألته بغضب مصطنع.

رفع يديه مستسلما ولكني كنت قد سبقته. وقفت على أطراف أصابعي وبيدي قمت باللعب في شعراته حتى نكشتها تماما وبظفر قلت:

- كده أحلى بكثير.

ضحك

- يا مجنونة!

رفعت حاجبي وضممت شفثاي

- مش هقولك حل الفوزرة.

- لا خلاص نعكشيه وفركشيه براحتك بس قولي.

رفعت يدي نحوه فأحنى رأسه ودنا مني كي أتمكن من الوصول له. مررت بأصابعي أعيد ترتيب شعراته واستسلم لي كتلميذ مطيع

- بقى يا سيدي الحاجة الي كل ماتاخذ منها تكبر هي...
همست وأنا غرقى في عيونه السود
- حبي ليك.

ارتفع حاجباه في مفاجأة وضم يدي إلى صدره في حزن طويل.

اه لمي فتافيتك يا نجوى فلا مزيد من الهرب والوجع. هتف
بمرح

- طب أنا كمان عندي فزورة.

نظرت له مستفهمة

- عرفتي سمّوها بحيرة الغروب ليه طيب؟

سأل بتخابث فضحكت

- عرفت ياخويا.

غمز واقترب بوجهه مني

- طب ايه؟

رفعت سبابتي

- ايه انت؟

- مش هننفذ التقليد المتبع يعني؟

قلت مهددة

- اتلم يا آدم!

غمز يغیظني
- ولومتلمّیتش یا نجوی؟
أعرضت عنه بظهري
- حاسس بابتسامتك من غير ماشوفها على فكرة.
التفت أواجهه بابتسامة خجلى توردت لها وجنتاي. وبحب فتح
لي يده فناولته يدي يضمها، ومشينا.

تحلقنا حول الطاولة في القلعة...
امتلاً المكان عن آخره بالضحكات والصرخات المرحّة فرحاً
بإنّهاء الإمتحانات.
- لماذا تأخرتما؟ أين كنتما يا ترى؟
غمزت أن بتخابث، فضحكت
- كنا في ماتش كويديتش سريع.
- كويديتش؟!
سأل كازو بفضول وخبرته ناتاليا بماهيته فضحك.
عوّضنا ما فاتنا من ثرثرة. يااه أوحشتني لمّتنا وجمعتنا
وأحاديثنا التي لا تنتهي. هتفت ماتيلدا
- هيا لنلحق دق الجرس.

ودق الجرس طقس خاص بطلاب السنة النهائية...
نصعد لسطح المبنى الرئيسي لدق الجرس إحتفالاً بإنهاء
الدراسة. جرينا نحو المبنى الرئيسي. استقلينا المصعد. واستقبلنا
الطلاب المنظمون.

لخمس دقائق ندخل اثنين باثنين فهذا ماتسمح به المساحة الآمنة
حول الجرس المعلق. زحفنا في ممر ضيق يفضي إلى مربعا
من الجدران الخشبية والتي انتشرت عليها توقيعات وكلمات
لمن كانوا هنا...

ودون اتفاق منا أمسك آدم بالقلم وكتب:
- وبين هنا وهناك سيتواجد دوما المكان الذي تشعر فيه بالحب
مع من تحب...

توقيع: المطاريد.

قرأتها في همس وابتسمت له...
اتجهنا نحو سلم من الخشب. اعتلى آدم درجاته واحدة بواحدة
ووقف في الأعلى منتظرا إياي.
تلقفتني يده واقتادني نحو الجرس...
مشهد رائع للجامعة كلها من أعلى...
نسمات من الهواء البارد تلفحني فنتخضب لها خدودي بدماء
الحياة...

أم هي يد آدم التي تبعث في جسدي كل هذا الدفء؟
اقتربت من الحافة محتمية بيده التي تشدني وتثبتني مكاني.
مختبئة بين ضلوعه والتي حين أتبعثر تلملمني بحنو.
نظرت للأسفل فوجدت النقاط الصغيرة للغادين والآتين وقد
تفرقت في أرجاء الحرم من تحتنا...

سحابات بيض تحوم فوق رؤسنا كقطع من غزل البنات، أمد
يدي فلا أكاد أصل...
أشب على أطراف أصابعي فأتعثر ويسندني آدم بيديه...
أشير إلى البحيرة تشرق مياهها في ألق سحري حين تنعكس
عليها شمس الغروب...
وتعالت دقات الجرس تزغرد بفرح.....

خَاتِمة . . .

منذ لحظات أخبرت ميم بأنها قد صارت جدة...
طارت من الفرحة...
تقافزت وأوقعت اللاب توب...
بكت وضحكت وأطلقت الزغاريد...
ضحكتُ وأدم حين زغردت...
ولكن الممرضة فزعت حين (رقعت) منصوره الزغرودة...
فاستأذنت وخرجت..
اه هل لفرحتي حدود؟
بالطبع لا...
لا مزيد من الحدود والحواجز...
هل أطمع بشئ آخر؟
رفعت عيني نحو آدم ومشيت بأصابعي بين شعراته فقبلني قبلة
طويلة ذبنا فيها معا...
صرخت فينا منصوره "اختشوا يا أولاد! أنا هنا."
كانت قد عدلت من اللاب توب الذي وقع...
ضحكنا...
لا ، بالتأكيد لست أرغب بشئ آخر...
اه ربما شيئاً واحداً فحسب "اختاري اسم للبنوته يا ميم."
قلت وأنا أضمها بيد وأضم آدم بالأخرى...
فتحت منصوره ذراعيها تستقبل نور الصباح الذي انتشر
حولها في غرفة نومي القديمة وابتسمت...
اه.. نون أخرى تأتي للعالم إذن...

ولكن هذه المرة لن تتوه أبدا...
فأنا وأبيها إلى جانبها هنا من ناحية، وجدّتها هناك من الناحية
الأخرى...
أحاط بنا آدم وأخذني وصغيرتنا في حضنه...
قربت إصبعي من كفتّها الصغيرة فتشبّثت به تلتمس مني
الأمان والدفع...
فلتخطِ بأمان نحو النور يا نُور.....

" تمت بحمد الله "

المحتويات

مقدمة

(بداية)

١- بحيرة الغروب

٢- ميم

٣- القلعة

٤- نون

٥- ١٢٤ جادة رايموند

٦- ميم

٧- المطاريد

٨- نون

٩- موسم الهجرة إلى أين؟!

١٠- ميم

(صعود)

١١- طبع أم تطبع؟

١٢- نون

١٣- كي تعبر الجسر

١٤- ميم

١٥- أصحاب الحلم

١٦- ميم

١٧- مملكة الحب

(وصول)

١٨- نون

- ١٩- بلا حدود
٢٠- ميم
٢١- رجل أبيض وآخر أحمر ومغناطيس
أسود
٢٢- نون
٢٣- وفي الربيع تتفتح القلوب
٢٤- ميم
٢٥- بحيرة الغروب
- خاتمة